

١٤
٥١٤
٢٠٠٦
٢

جامعة القديس يوسف
كلية الآداب والعلوم الانسانية
فرع الآداب العربية
بيروت

الموفق بن التوكل

أطروحة دكتوراه
اختصاص في التاريخ

أعدها :
محمد الحمري حياجه
إشراف

لأب الدكتور ج. م. م. فيه

فهرس المحتويات

صفحة		
٥ - ١	المقدمة	*
٤١ - ٦	الفصل الاول :	*
	- استاذ الموفق الزهير بن بكار	
	- تحليل كتاب الاخبار الموفقيات	
٦٢ - ٤٢	الفصل الثاني :	*
	- الهيكل التاريخي لحياة الموفق	
	- نشأة الامير الموفق	
	- حصار بغداد	
	- النواحي العملية والمجتمع البغدادي	
١١٤ - ٦٣	الفصل الثالث :	*
	- الثورات الداخلية	
	١. ثورة الزنج	
	٢. ثورة يعقوب بن ليث الصفار	
	٣. ثورة الحسن بن زيد العلوي	
	٤. ثورة ساور الشاري الخارجي	
١٣٦-١١٥	الفصل الرابع :	*
	- العلاقات الداخلية والخارجية	
	أ - في المجال الداخلي :	
	١. ابن طولون	
	٢. يعقوب الصفار	
	٣. الاغالبة	
	ب - في المجال الخارجي :	
	- العلاقة مع الدولة البيزنطية	

الصفحة

١٥٧-١٣٧

الفصل الخامس :

*

- الحياة الثقافية
- تطور التعليم
- المساجد
- خزائن الكتب
- اقوال الشعراء في الموقف

١٨٣-١٥٨

الفصل السادس :

*

- الحياة الاقتصادية
- الزراعة وتطورها
- الصناعة : صناعة العطور، الحصر، الآلات، الورق
- التجارة : مراكزها، طرقها

١٨٦-١٨٤

الخاتمة

*

٢٠٦ - ١٨٧

المصادر والمراجع والكتب المعربة الاجنبية

*

مقدمة

ان تاريخ الامم والشعوب هو تاريخ الانسان نفسه ، اعطني به منذ ولادته واخذ يتطور بتغير نمط حياته ، او حسب اسلوب الحياة التي يعيشها في الاقليم او المنطقة . فزخرت المكتبة بدراسة بعض الامور دون البعض الآخر وكشف اللثام عن قسم وبقي القسم الثاني دفن المخطوطات او داخل مكتبات مغلقة ، او مجهول لقسم كبير من الناس ، الا ان البحث بدأ يزداد وينشط وخاصة بتاريخ بني العباس الذي بدأت الكتب تصدر عنه تباعا كموضوعات بحث سواء حضارية او اقليلية او اشخاص .

فالدراست عن تاريخ اشخاص بني العباس كثيرة وعديدة الا انها محدودة ، عن اشخاص ليسوا خلفاء ، ومن المؤسف ان الموفق بالله لم ينل من الدراسة الا اشارات ومواقف ، وبقيت دراسته مهمة لم تنل العناية والبحث .

ويعود ذلك الى اشارة من المشرف الذي ارشدني مشكورا لهذه الشخصية . فقلت بتقد يمه عنوان بحث الدراسة .

ويحضرني هنا قول السيوطي : " كانت دولة المعتمد عجيبة الوضع ، كان هو واخوه الموفق طلحة كالشريكين في الخلافة ، للمعتمد الخطبة والسكة والتسمي بأبمير المؤمنين ، ولأخيه الموفق بالله الامر والنهي ، وقيادة العساكر ومحاربة الاعداد ، ومرابطة الثغور ، وترتيب الوزرا والامراء " .^(١)

لقد كانت تلك الحقبة حافلة بالاحداث الجسام ، فلم يستطع المرء التنبؤ او الجزم واعطاء صفة للواقع ، فلم يكن امامه الا ثورات هنا وهناك . ثورة في البصرة وسوادها^(٢)

(١) السيوطي : تاريخ الخلفاء ص ٢٤٣ ،

الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٧ ص ٥٩٨ ،

ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٥ ص ٣٤٧ ،

ابن كثير : البداية والنهاية ج ١١ ص ٢١١ .

(٢) ثورة محمد بن علي صاحب الزنج (٢٥٥-٢٧٠هـ) .

الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٧ ص ٤٧٠-٥٢٨ ، ٥٤٣ ،

ج ٨ ص ١-١٤١ .

وعلى مقربة منها في فارس وسجستان ^(١) الصغار وفي الديلم ^(٢) شرقاً وابن طولون غير محدود الهدف لدى السلطة إذ رسخت قدمه في مصر وبدأ يتطلع الى مزيد من القوة والرهبة ، حتى وصل به الامر ان راسل الخليفة المعتمد للسفر الى مصر ليتم الطسوق على الخلافة .

هذا من جانب واما الجانب الآخر فالخليفة ومؤسسات الدولة كلها رهينة بأيدي القواد الاتراك وتحت رحمتهم ، بل عصرا تراك . ولقد جرت احداث منها : موت الواثق وقتل المتوكل على الله وعزل وتنصيب خلفاء .

هذه الفترة الحلكة حقا انها بحاجة الى دراسة وتحصيل فقد تكون دراستها ، بدراسة شخص كال موفق الذي عاصر كل هذه الامور وقطف مرها بعدما ساعد في ترسيخ قدم الامن بعض الوقت ثم ابعد فترة ليست بالقصيرة ، الا ان اشتداد الاحداث وقسوتها دفعت الآخرين للبحث عن انسان يستطيع ان يجعل من هذه الماراة والتسلط نوعا من الهدوء والاستقرار والامن .

لقد تم بذل كل جهد ممكن بالجمع والبحث والتعليق والاستنتاج والتريث والتزمّت مبدأ المحايدة ما قدرت على ذلك سبيلا .

ولقد جاء موضوع البحث في ست فصول وخاتمة . فالفصل الاول يبحث الزبير بن بكار وكتابه الاخبار الموفقيات ، الموضوعات ومصادر الكتاب والعصور التي دار حولها الكتاب ثم الاماكن التي اخذت منها الروايات ثم ختم الفصل بالاهداف التي من اجلها الف الكتاب ويقع في خمسة عشر هدفا .

ويبحث الفصل الثاني الهيكل التاريخي لحياة موفق ، حياته وحصار بغداد وحبسه ونفيه ثم حياته العملية وما صاحب ذلك من عودته للسوء ولية ثم دوره في ادارة الدولة وعلاقته بالوزراء والكتاب بينما يبحث الفصل الثالث الثورات الداخلية : ثورة الزنج بالبصرة وما رافقها من حروب وقتل واستيلاء على الاراضي وظهور طبقة جديدة مثل الزنج .

(١) ثورة يعقوب بن ليث الصغار .

الطبرى : تاريخ الام والملوك ج ٨ ص ٢١٠ .

ياقوت الحموى : معجم البلدان ج ٢ ص ٨٠ .

(٢) الحسن بن علي

الطبرى : تاريخ الام والملوك ج ٧ ص ٤٣١ .

وشيرة يعقوب بن ليث الصفار وتوسعاته ونشاطاته ضد السلطة . وكذلك ثورة الحسن بن زيد العلوي بطبرستان والد يلم ثم ثورة سرور الشاري بالموصل .

وتناولت بالفصل الرابع العلاقات العامة وبحثت في مجالين : الاول العلاقات الداخلية — علاقة الدولة العباسية بالدول المنشقة والشبه مستقلة مثل الدول — الطولونية والغالبة والصفارية . اما المجال الثاني فكان علاقة الدولة العباسية بالدولة البيزنطية .

اما الفصل الخامس : الحالة الثقافية فشمـل تهـيـد ، والتربية والتعليم ، والمسجد والكتاتيب وخزائن الكتب ثم اقوال الشعراء مثل ابن الرومي والبحتري وأحمد الشعراء ويحيى بن خالد بن مروان ويحيى بن محمد ويحيى بن خالد .

وتناولت بالفصل السادس الحياة الاقتصادية ، تهـيـد ثم الزراعة والصناعة والتجارة وبينت واقع كل قسم من هذه الاقسام .

ثم الخاتمة والمصادر والمراجع العربية والمترجمة والمعربات والتراجم .

مصادر البحث :

لقد بذلت كل جهد سواء بالمطالعة او البحث والاستقصاء والسفر فجمعت كلمات وعبارات وجمل واقوال وافعال عن هذا ، ولقد بذلت هذا الجهد اكثر من سنتين متواصلتين بالبحث والجمع علني احصل على ادق المعلومات واوثقها من مصادرها الاصيله ، لذا سافرت الى بغداد واطلعت على ما يمكن الحصول عليه سواء من مكتبة الاوقاف ذات المخطوطات والمعلومات الزاخرة وكذلك مكتبة جامعة بغداد — كلية الآداب ومكتبة المتحف العراقي الوطني .

ونتيجة لهذا لم اعثر على مصدر اكثر دقة واسهابا في تلك الفترة أوفى وأوفر من كتاب محمد بن جرير الطبري صاحب كتاب الامم والملوك فكانت جمل المعلومات في المجلدين السابع والثامن ، طبعة المعارف ، فكانت معلوماته مسهبة ودقيقة التفاصيل وخاصة العسكرية والامدادات التموينية لكل من ثورة الصفار وصاحب الزنج ، الا ان معلومات الاخيرة كانت اكثر دقة وتفصيلا وربما انها استمرت ماينيف على اربع عشر سنة بل كانت ذات خطر جسيم بعيد الاهداف وترتيب الحصول على هذه الاهداف . وهو المؤرخ للاحداث والمصدر المعاصر لها ، فكان يميل الى الصمت في نقل الاحداث ولم يشر الى اي تعليق .

واما المصدر الثاني والذي فصل العلاقة ما بين احمد بن طولون والموفق بالله

هو سيرة احمد بن طولون للبلوى . فحقا اسهل الغطا* على جميع التفصيلات من هذا الجانب من سو* مواقف ودسائس وعلاقات وامدادات وتمردات وصلت حد مراسلة الخليفة المعتمد واللاحق بصر .

ثم ان ابا الحسن علي بن الحسين المسعودى صاحب كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر يعتبر من عين المصادر وخاصة بتسديد الشغرات التي يسكت عنها الطبرى . لذا نراه يستطرد في بعض الامور ويمتاز بذكر بعض المواقف دون غيره من المؤرخين .

وللمسعودى كتاب التنبيه والاشراف يتكلم فيه عن الاقاليم والمناطق والمقاطعات والنجوم والرياح والارض والسكان والانهار . ويحتوى هذا الكتاب على اخبار لم توجد في مروج الذهب .

وهناك الجهشيارى صاحب كتاب الوزرا* والكتاب فهو من طبقة ابن جرير الطبرى ويركز بهذا على المعلومات الخاصة بالوزار* والكتاب ويشاركه بهذا الاسلوب . وكذلك هلال بن محسن الصابي في كتابه تحفة الامراء* في تاريخ الوزرا* فهو يتناول تاريخ الخلفاء .

واما بقية الكتب فلا تقل شأننا وقيمة عما سبق . اما تصحح او تدقق كلمة او تضيف معنا وهذه الكتب كثيرة جدا نذكر على سبيل المثال لا الحصر : الكامل في التاريخ والبداية والنهاية وكتاب الخلفاء .

وبالاضافة الى ما سبق فالاجدر بالباحث في تاريخ الدولة العباسية ان يرجع الى هذه المصادر المتأخرة لالقاء نظرة سريعة عليها ، وان المصادر المتأخرة ذات العلاقة مثل كتب ابن الطقطقي ، ابن خلدون ، المقرئى ، الذهبي ، المقدسى ، وابن الجوزى ، والقلقشندي ، والنويرى ، والخزرجي ، والعثبي .

الفصل الأول

صفحة	
٨ - ٦	الزبير بن بكار (١٢٢ - ٢٥٦ هـ) .
٩ - ٨	مؤلفه (الاخبار الموقيات)
١٠ - ٩	الموضوعات
١٣ - ١٠	مصادر الكتاب
١٥ - ١٣	العصر التي دار حولها الكتاب
١٩ - ١٥	الاماكن التي اخذت منها الروايات
٤١ - ١٩	اهداف تأليف الكتاب ويقع في خمسة عشر هدفا .

الفصل الأول

مربي الموفق : الزبير بن بكار :

من مشاهير علماء عصره ، ومن المع الفقهاء والمربين ، لهذا اختاره المتوكل على الله ، مرياً لولده الموفق .

حياة الزبير بن بكار :

هو ابو عبد الله الزبير بن بكار بن مصعب بن ثابت بن عبد الله ، احد اعلام الرواية في القرن الثالث الهجري (١٧٢ - ٢٥٦ هـ)^(١) واحد الاخباريين المتقنين لها .

عرف بالفضل والتقوى من صغره ، حتى اصبح من اهل الفضل ، وقطع شوطاً كبيراً في العلم ، حتى اصبح مقدماً ، ونال حظوة عظيمة لدى السوءولين ، واصبح من أعيان عصره ، وعلماء زمانه . ووصف انه اخباري واحد النسابين ، وكان شاعراً صدوقاً راوية نبيل القسدر^(٢) .

(٣)
لقد اجمع من ترجم اليه ، انه صادق الرواية ، معتمد التوثيق ، قيل انه ثقة وكان ثبناً عالماً^(٤) ، وكان من اوعية العلم^(٥) وقال البغدادى (كان ثقة ثبناً)^(٦) .

وتجلى علمه وطول باعه في هذا الميدان ، وخاصة الانساب في كتابه (نسب قريش واخبارها) فهو يسوق النسب على نحو ما فعل عمه المصعب في كتابه ، ثم يتخلل

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١١ ص ٢٤ ،

البغدادى : تاريخ بغداد ج ٨ ص ٤٦٧ ،

ابن النديم : الفهرست ص ١٢٣ ، ص ١٦٦ ،

ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ٢ ص ٦٨ .

(٢) ياقوت الحموى : معجم الادباء ج ٢ ص ١٤٦ .

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١١ ص ٢٤ .

(٤) البيهقي : تهذيب التهذيب ج ٢ ص ١١٥ .

(٥) المصدر نفسه

(٦) البغدادى : تاريخ بغداد ج ٨ ص ٤٦٩ .

النسب باخبار كثيرة للرجال والنساء ، الا انه زاد على اخبار عمه بشرة ظاهرة بجنوحه الى تخير اخبار دالة على عقول اصحابها ونفوسهم وصفاتهم وشمالهم^(١) حتى اصبح كتابه الانساب اوفى من كتاب عمه (نسب قریش) المصعب^(٢) .

أما كتابه الاخبار الموفقيات ، فلقد كان بهستوى كتابه السابق ان لم يزد ، فلقد جمع به الكثير الكثير من الروايات الهادفة والدالة على المعنى ، والمحددة الهدف والتي تربي في النفوس الاصاله والامانة وتشير فيها الدافع والحافز المحرك لها ، لتتكون عنده الشخصية المستقلة المبنية على العلم والتقوى والاستقصاء الصحيح من المصدر الموثوق به .

فكتاب الموفقيات كتاب تاريخ وقصص واخبار ام وحوادث مجالس ولقاء ، بسل وثيقة مأخوذة من الواقع العملي وعن مجالس الملوك والامراء والسادة والقادة ، ولم تكن نسج خيال بل مشاهدة وسماع ورواية من اهل ثقة للأخذ والنقل .

ومن خلال دراستنا لحياة الزبير بن بكار وتتبعها من بطون الكتب ، فلقد ارشدنا النديم في كتابه الفهرست الى من روى عنهم^(٣) وهم ثقة ولا تمس من روايته بل معتمدون لدى المؤرخين والرواة في صدقهم وثبتهم وحفظهم وهذا مما زاد في ثقة الزبير بن بكار لدى من اخذ عنه . وبقي اكثر من ستمين عاما عمدة الرواة في زمانه ومرجعا في عهده وبعده من حيث السند والاصل والثقة للمختلفين .

(٤)
ولي قضاء مكة ودخل بغداد مرات عديدة منها سنة ٢٤٢ هـ وآخرها سنة ٢٥٣ هـ ولما قدم بغداد عام ٢٤٢ هـ كان الامير محمد بن عبد الله بن طاهر ، فاستأذن عليه الزبير فأذن له واكرمه ورفع منزلته عنده وقال له : لئن باعدت بيننا الانساب فلقد قرئت

(١) الزبير بن بكار : نسب قریش واخبارها ص ١٢ .

(٢) ابن خلکان : وفیات الاعیان ج ٢ ص ٤١٨ ،

المصعب : (١٥٦ - ٢٣٦ هـ) ابن كثير : الهداية والنهاية ج ١٠ ص ٣١٥ .

(٣) ابن النديم : الفهرست ص ١٢٤ ،

وكانوا حسب ما جاء في الفهرست : عمه مصعب ، احمد بن الحسن

المخزومي ، محمد بن الضحاک بن عثمان ، مسلم بن عبد الله بن مسلم بن

جندب ، ابراهيم بن المنذر ، يحيى بن محمد بن عبد الله بن ثوبان ، عبد الملك

بن عبد العزيز ، بكار بن رباح .

(٤) ابن النديم : الفهرست ص ١٢٤ .

(١) بيننا الآداب وان امير المؤمنين ذكره فاخترت لتأديب ولده . واجزل له بالعطاء ، وربما كانت هذه المقولة قبل هذا التاريخ .

وقال محمد بن داود وكان فقي في شعره ومروته مع سنه وغفاه
ومن شعره :

يرجو عواقب دولة الدهر	عفا الصبي فتحمل الصبر
فيما يسكن لوعة الصدر	جعل العنى سببا لراحته
(٢) قطع المنى فتبين الهجر	حتى اذا ما الفكر راجعه

وتوفي الزهير في مكة سنة ٢٥٦ هـ وهو قاض عليها ودفن بها وبلغ من السنين اربعاً وثمانين سنة ودفن الى جانب قبر علي بن عيسى الهاشمي في مقبرة الحسين ، وله مجموعة من الكتب لم يصل منها الا القليل ، وكان أهمها الاخبار الموفقيات .

مؤلفه ابن بكار : الاخبار الموفقيات :

- تدور حول اخبار وقصص تاريخية وادبية ونوادر وحكم وقعت في ٢٩٤ رواية . ويمكن تصنيفها الى ثلاثة اصناف من حيث روايتها :
- ١ . قسم أخذه من الرواة الذين عاصروه ^(٣) ، واتفق معه بعض المؤلفين كالطبري وابن قتيبة والبيهقي والاصفهاني ^(٤) .
 - ٢ . قسم انفرد به ، ولم يرو عن احد وربما كان هذا القسم قد شاهده او سمعه بنفسه ^(٥) وهذا يتجاوز ربع روايات المتن .
 - ٣ . اما القسم الثالث فجاء في مصنفات اخرى مختصره او مفصله لكنها مختلفة في

(١) ابن النديم : الفهرست ص ١٢٣ .

(٢) المصعب : نسب قريش ص ١٥٦ - ١٦٢ .

ابن كثير : الهداية والنهاية ج ١٠ ص ٣١٥ .

(٣) عمه مصعب ، محمد بن سلامة الجمعي ، ابو بكر وغيرهم .

(٤) كتاب تاريخ الامم والملوك ، المعارف ، المحاسن ، والاغانى ، ولا يستبعد انهم اخذوا عنه ما جاء في هذه الكتب .

(٥) روى الزهير بن بكار في الاخبار الموفقيات اكثر من مئة خبر لأنه سمعها او اقتصر الرواية عليه بنفسه .

الرواية عما جاء في الاخبار الموفقيات (١).

ولا يفوتنا الإشارة ، ان كثيرا من الاخبار ، انفرد بها ولم نجدها في مصنفات الآخرين وخاصة بعض الاشعار ان يورد اكثر مما اورد ، عنه المصعب في كتابه بل يقول سمعنا ويفصل الامر تفصيلا واضحا تعطي الدلالة على انه قد سمع او شاهد عن انشدها فيورد النص والشخص الراوي لها او القائل لها وهو المصدر الاصيل . وهذا يدل على تمكنه وقوة استطلاعہ وتثبته في الرواية والنقل .

ومن خلال دراستنا للاخبار الموفقيات تبين انها لم تدور حول موضوع معين ولا مكان ولا بيئة بعينها بل كانت وعاء ضم اكثر من موضوع ، وقيل في اكثر من مكان ، ومثل لأكثر من بيئة يعيشها ، وتحدث عن اكثر من شخص ، سواء كان خليفة او ادبيا او شريفا .

الموضوعات :

فالموضوعات كانت حسب الروايات كالآتي :

- التاريخ وكان عددها ٢٦٠ رواية ،
- الشعر وكان عددها ١٠٢ رواية ،
- الفقه وكان عددها ٢٦ رواية ،
- الادب نثرا وكان عددها ٢٦ رواية ،
- حكم ونوادر وكان عددها ١٥ رواية .

ولقد اعطى بهذه الموضوعات ضوا للدارس والمعتلذ ، بل طريقا يرجع اليه وخاصة فيما يتعلق بتاريخ الخلفاء والامم والحكام وعما كانت عليه مجالسهم من اهل العلم والقصاصين والاخباريين ، لأن في الاخبار اهمية ذات اثر بعيد في حياة الامم ، على مختلف طبقاتها ومستوياتها الحضارية والثقافية ، وان اختلفت من امة لاخرى الا ان

(١) قيل الدعاء عند الدخول على السلطان ابو جعفر . انظر : ابن عبد ربه :

العقد الفريد ج ٣ ص ٢٢٤ ، رقم الرواية ٧٣ ص ١٤٩ من كتاب الاخبار الموفقيات وهذه الرواية جاءت مختصرة في العقد الفريد بعكس ما جاء في الاخبار الموفقيات ، لا يستبعد انها اخذت من الاخبار الموفقيات لأن ابن عبد ربه جاء بعدما ألف الكتاب بفترة طويلة من الزمن وهذا ما يؤيد انه اخذ من الموفقيات .

هناك محصلة يجتمع عليها او عندها الجميع في تقدير الاخبار بمقدار ما تقدمه لهم من معرفة ، وما تطلعهم على اخبار الامم السابقة والحاضرة^(١) فتعتبر سجلا حفظ كثيرا من الاحداث للامم على مر التاريخ وربما تشير دوافع البحث وتنمي جانب المعرفة لدى الابناء اضافة على ما تطلعهم على فترة مرت بها امتهم (او الامم الاخرى) ، وما قامت به من عوامل التصدي والتحدى سواء كانت للبيئة التي عاشوا بها او للاحداث التي تعرضوا اليها من الصراعات البشرية في سبيل العيش او السيطرة على مجموعة اخرى وربما تكون حافزا للاجيال نحو الايجابية الصحيحة بما يتفق وحياة الانسان .

وكذلك الشعر والادب يعطي الدارس مزيدا من الثقافة وخاصة فيما يتعلق بثقافة بلده واهله ، ويكون سجلا لحفظ انتاجه وادبه ، وهذا يبدو ماركز عليه المؤلف لأن البيئة في تلك الآونة ، كانت لا تزال مشدودة الى البيئة التي عاشها الاجداد وربما كان الشعر لا يزال يعتبر تاريخا لها^(٢) ، فلا عجب ان يركز عليه المؤلف في رواياته الكثيرة والذي اعطاه الانتباه والرعاية بعد الاخبار وكذلك الفقه والحكم والنوادر لما لها من اهمية قصوى وبعد نظر في تثقيف وتعليم التلميذ في حياته الدراسية والعلمية ولما لها من متعة عقلية ولذة فكرية في تغذية وامداد العقل بهذا التراث لتكون رصيда له وقت الحاجة .

مصادر الكتاب :

من الدراسة لاخبار الموفقيات لم اجد كتابا يشير او انه رجع او اعتمد عليه الا روايات من حدث عنهم او سمع منهم باسانيد متصلة متكاملة .

ولقد درست الروايات وفرزتها حسب المصادر التي رجع اليها فوجدت انه جمع او روى ما يقارب عن ثمانين راو الا انهم لم يكونوا بدرجة واحدة من حيث العدد الذي روى او اخذ عنهم وهم حسب عدد الروايات التي اخذت عنهم :

١ . عمه مصعب بن عبد الله ٦١ رواية علما ان محقق الكتاب يقول انه روى عن عمه اكثر من مائة وعشرين خبرا الا انني لم اجد اكثر من واحد وستين خبرا وربما

(١) الفراغة ، الفرس ، اليونان ، الاغريق . فالتاريخ هو سجل للاحداث واليوميات .

(٢) كان يفتخر به ومنه درس بعض جوانب تاريخ العصر الجاهلي وكذلك تاريخ

الاجداد . انظر الطبري ج ٨ ص ١٤٥ . تاريخ الامم والملوك

- ان المحقق من جمع الى ما روى عن عمه قسما ما انفرد به نفسه - الزبير بن بكار - والتي بلغت ١٠٣ خبرا .
- ٠ ٢ ابو الحسن علي بن محمد المدائني روى عنه ٥٠ خبرا (ويقول المحقق اكثر من اربعين خبرا) .
- ٠ ٣ عمر بن ابي بكر المؤملي روى عنه ٢٥ خبرا (ويقول المحقق روى عنه اكثر من عشرين خبرا) وهذا ربما يطابق الواقع لأن اكثر من عشرين تحتتمل وصول خمس وعشرين .
- ٠ ٤ ابو عبد الله محمد بن سلام الجمحي روى عنه ٢٢ خبرا (يقول اكثر من عشرين خبرا) ص ٢٢ .
- ٠ ٥ محمد بن الحسن المخزومي روى عنه ١٥ خبرا (لم يذكر الا ١٣ خبرا) ص ٢٢ .
- ٠ ٦ علي بن صالح روى عنه ١٤ خبرا (لم يذكر الا ١٢ خبرا) ص ٢٢ .
- ٠ ٧ مبارك الطبري روى عنه ١٣ خبرا (لم يذكر الا ١١ خبرا) ص ٢٢ .
- ٠ ٨ ابو عبد الرحمن محمد بن عبد الله العتيبي روى عنه ١٣ خبرا (لم يذكر الا ١٠ أخبار) ص ٢٢ .
- ٠ ٩ ابو الحسن الاثرم روى عنه ١٠ أخبار (لم يذكر الا ٩ أخبار) ص ٢٢ .
- ١٠ اسحاق بن ابراهيم التميمي روى عنه ٦ أخبار (يذكر ٧ أخبار) ص ٢٢ (١)
- ١١ سفيان بن عتبة روى عنه ٦ أخبار (لم يذكره) .
- ١٢ محمد بن اسحاق روى ٥ أخبار (لم يذكره) .
- ١٣ ابن عباس روى عنه ٤ أخبار (لم يذكره) .
- ١٤ الحسن البصري روى عنه ٤ أخبار (لم يذكره) .
- ١٥ جهيم بن سعد روى عنه ٤ أخبار (لم يذكره) .
- ١٦ ابو غزية روى عنه ٤ أخبار (لم يذكره) .
- ١٧ محمد بن الضحاك روى عنه ٤ أخبار (لم يذكره) .
- ١٨ ابراهيم بن المنذر روى عنه ٣ أخبار (لم يذكره) .
- ١٩ عبد الله بن قريش روى عنه ٣ أخبار (لم يذكره) .
- ٢٠ الكلبي روى عنه ٣ أخبار (لم يذكره) .

الرقم	المصدر	عدد الاخبار	ملاحظات	الصفحة
٠١	عمه بن مصعب عبد الله	٦١	يذكر المحقق اكثر من (١٢٠)	٢٢
٠٢	ابو الحسن علي بن محمد المدائني	٥٠	يذكر المحقق اكثر من (٤٠)	٢٢
٠٣	عمر بن ابي بكر	٢٥	يذكر المحقق اكثر من (٢٠)	٢٢
٠٤	ابو عبد الله محمد بن سلام الجمحي	٢٢	يذكر المحقق اكثر من (٢٨)	٢٢
٠٥	محمد بن حسن المخزومي	١٥	لم يذكر الا (١٣) خبرا	٢٢
٠٦	علي بن صالح	١٤	لم يذكر الا (١٢) خبرا	٢٢
٠٧	مبارك الطبري	١٣	لم يذكر الا (١١) خبرا	٢٢
٠٨	ابو عبد الرحمن محمد بن عبد الله العتبي	١٣	لم يذكر الا (١٠) اخبار	٢٢
٠٩	ابو الحسن الاثرم	١٠	لم يذكر الا (٩) اخبار	٢٢
١٠	اسحاق بن ابراهيم	٠٦	ذكر (٧) اخبار	(١) ٢٢
١١	سفيان بن عتبة	٠٦	لم يذكره	
١٢	محمد بن اسحاق	٠٥	لم يذكره	
١٣	ابن عباس	٠٤	لم يذكره	
١٤	الحسن البصري	٠٤	لم يذكره	
١٥	جهم بن سعد	٠٤	لم يذكره	
١٦	ابو غزية	٠٤	لم يذكره	
١٧	محمد بن الضحاك	٠٤	لم يذكره	
١٨	ابراهيم بن المنذر	٠٣	لم يذكره	
١٩	عبد الله بن قريش	٠٣	لم يذكره	
٢٠	الكسبي	٠٣	لم يذكره	
مجموع الروايات		٢٦٩		

الربيع بن بكار:
(١) الاخبار الموقفات ص ٢٢٠

وأما البقية فلقد رواها الزبير بن بكار دون الإشارة لأحد وهذا يدل على أنه سمعها من مصدرها أو جلس على روايتها مباشرة . أما الرواة الستون فتتسراج رواياتهم في الكتاب ما بين الرواية الواحدة والاثنتين والأغلب الواحدة .

العصور التي دار حولها الكتاب :

لقد اخذت الروايات التي جاء بها كتاب الاخبار الموفقيات من مصادر متعددة من حيث الرواية أو الأماكن أو الموضوعات ، إلا أنها جاءت حسب التحليل :

- روايات نقلها الزبير بن بكار باسانيدها عن العصر الاموي وعدد ها ١٤٨ خبرا .
- روايات نقلها الزبير بن بكار باسانيدها عن العصر العباسي وعدد ها ١٢٢ خبرا .
- روايات نقلها الزبير بن بكار باسانيدها عن العصر الاسلامي وعدد ها ١٠١ خبرا .
- روايات نقلها الزبير بن بكار باسانيدها عن العصر الجاهلي وعدد ها ٣٤ خبرا .
- روايات نقلها الزبير بن بكار باسانيدها عن الامم السابقة وعدد ها ٢٤ خبرا .

والمقصود بالعصر هو البيئة التي قيلت به الرواية ، وخاصة بمجالس الخلفاء والملوك والولاة ولقد كانت نتيجة خبرتهم وتناقلهم لها من حيث الامثال والاشعار والقصص وربما كانت اقتداء بما كان يتم سابقا لدى الروم والفرس فكان معاوية بن ابي سفيان يقسم ليله الى ثلاثة اقسام ، قسم يقرأ عليه اخبار الامم والملوك السابقين ثم يقرأ عليه بعد صلاة الفجر كيف كانت حياة الملوك ومعاملتهم للرعية وحياته في القصر وسفاراتهم وجيوشهم ومكرهم وخداعهم^(١) . كل هذه الصفات ربما كانت منقولة شكلا إلا ان مضامينها كانت مستوحاة من البيئة التي يعيشونها وملائمة لحياتهم التي لا تزال مشدودة الى الماضي وخاصة الصحراء بما فيها من صفاة وعدم التكلف . بل تعتمد على الايحاء واللمحة الخاطفة والوعي المدرك المبني على شدة الملاحظة والحسذر فقسم منها وليد الساعة وحسب الاحداث والافعال التي كانت تتم في البيئة . ومن خلال المقاملات عند حضور الوفود سواء في المناسبات كالاعيان او الوفاة والتعزية والثناء والتهنئة والسلام على الخليفة او الامير او الوالي .

والصحيح لهذه الروايات يشاهد بوضوح دور الزبير بن بكار بما اوردته من اخبار وما جمعه من اشعار وتفصيلات زادت عما جاء به عمه على الرغم انه اخذ عنه وعاصره

(١) الزبير بن بكار : الاخبار الموفقيات رقم (٣٨٧) .
أما الثلث الثالث فكان للنوم .

جدول رقم (٢)

الرقم	المصدر	عدد ها
٠١	العصر الاموي	١٤٨ خبرا
٠٢	العصر العباسي	١٢٢ خبرا
٠٣	العصر الاسلامي	١٠١ خبرا
٠٤	العصر الجاهلي	٣٤ خبرا
٠٥	الامم السابقة	٢٤ خبرا
المجموع		٤٢٩ خبرا

جدول رقم (٣)
توزيع الروايات حسب الاماكن

الرقم	المكان	عدد الروايات
٠١	العراق	١٦٧
٠٢	الحجاز	١٥٦
٠٣	الشام	٧٥
٠٤	اماكن اخرى	٣١
المجموع		٤٢٩

الا ان كتاب الاخبار انفرد به الزبير دون غيره من المؤلفين والرواة ، وكان الكتاب مصدرا لمن جاء بعده ، وهناك دلائل قاطعة على ان الكتاب من جهود الزبير ، ولا مجال للشك في ذلك لأن كثيرا من النص يؤكد ويبعد الشك عنه .

الا ان الكتاب لم يهمل بل اخذ منه وعنه الكثير من المؤلفين الذين جاءوا من بعده فحوروا وضافوا ونمقوا الا ان الشهادات قاطعة بجهود الزبير في كتابه وانه لا يدانيه فيه احد بل كان الكتاب منهلا اخذ الكثير منه مثل المسعودي وابن ابي جديد وغيرهما .

الاماكن التي اخذت منها الروايات :

وكما ذكر سابقا فان الكتاب كانت رواياته قد اخذت من اقطار متعددة وكانت

كالآتي :

- | | | | |
|-----|------------|-----|--------|
| ١ . | العراق | ١٦٧ | خبرا . |
| ٢ . | الحجاز | ١٥٦ | خبرا . |
| ٣ . | الشام | ٧٥ | خبرا . |
| ٤ . | اماكن اخرى | ٣١ | خبرا . |

فالمؤلف كما انه جمع في الكتاب لاكثر من موضوع وبيئة وعصر فلقد نوع في الاماكن حسب اتصاله ومعاملاته فكانت العراق هي صاحبة السبق بهذا الميدان وخاصة في العصر الاموي والعباسي وربما يدل هذا على ان رحلات مؤلفنا كانت كثيرة الى العراق وخاصة في عصر المتوكل على الله وهذا يقودنا لالقاء السؤال : متى وضع الزبير بن بكار كتابه (الاخبار الموفقيات) ؟

سؤال يعترض كل باحث ، ثم لا محيص عن جوابه . فترجمة الزبير ، وما عندنا من اخباره لا تمدنا بجواب هذا السؤال جوابا صريحا فربما نستطيع استنباط تاريخ تأليف الكتاب من الاخبار القليلة التي رويت بترجمته ، يقول الخطيب البغدادي (١) : " ولي القضاء بمكة ، وورد بغداد وحدث بها " لكنه لم يذكر متى ولي القضاء بمكة ، ولا متى ورد بغداد ، ولا كم بقي فيها ، ولا كم مرة ردها ، الا انه يورد خبرا وهو حديثه مع الامير محمد بن عبد الله بن طاهر ، فهذا الخبر يبدوا انه فيه الخلط وعدم الوضوح .

(١) الخطيب البغدادي ج ٨ ص ٤٦٧ تاريخ بغداد .

ويبدو ذلك من رواية الخطيب البغدادي^(١) بأسناده عن الحسين بن محمد بن سليمان الكاتب عن جحظة وهو الحسن احمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك الهرمكي الذي ولد سنة ٢٢٤ هـ وتوفي سنة ٢٤٠ هـ فيورد قال جحظة (كنت بحضرة الأمير محمد بن عبدالله بن طاهر فاستأذن عليه الزهير بن بكار حين قدم من الحجاز ، فلما دخل عليه اكرمه وعظمه وقال له : لئن باعدت بيننا الانساب ، لقد قربت بيننا الآداب ، وان أمير المؤمنين ذكرك فاخترتك لتأديب ولده ، وأمر له بعشرة آلاف درهم . . . ولحق بأمر المؤمنين بسر من رأى^(٢) .

الا ان ابو الفرج الاصفهاني^(٣) يقول : " حدثني جحظة قال : حدثني حرم بن ابي العلا ، قال : حدثني موسى بن هارون ، فيما اروى ، قال : كنت عند عبيد الله بن عبدالله بن طاهر ، وقد جاء الزهير بن بكار فأعلمه ان المتوكل (او المعتز وآراه المعتز) بعث الى اخيه محمد بن عبدالله بن طاهر يأمره باحضاره وتقليده القضاء ، فقال الزهير بن بكار : قد بلغت هذه السن واتولى القضاء أو بعد ما رويت ان من ولي القضاء فقد ذبح بغير سكين ، فقال له : فتلق بأمر المؤمنين بسر من رأى فقال أفعّل فأمر له بمال ينفقه ويغير محله ويحمل ثقله .

فأول اختلاف بين هذين الخبرين من ان خبر الخطيب في ان جحظة حدث انه شهد دخول الزهير على محمد بن عبدالله بن طاهر ، اما ابو الفرج فيروي عن جحظة نفسه : ان حرم بن ابي العلا حدثه عن موسى بن هارون او غيره انه هو الذي شهد دخول الزهير لا على (محمد بن عبدالله طاهر) بل على اخيه عبيد الله بن عبدالله بن طاهر . والاختلاف الثاني هو : ان محمد بن عبدالله بن طاهر قال : ان أمير المؤمنين اختاره لتأديب ولده في خبر الخطيب . اما خبر ابي الفرج ففيه التصريح بأن أمير المؤمنين هو ، مع التردد بين المتوكل والمعتز وانه أمر محمد بن عبدالله بن طاهر أن يأمر باحضاره وتقليده القضاء . بيد ان الذي يقرب الاختلاف خبر لا اسناد له نقله ياقوت الحموي في معجم الادباء^(٤) في ترجمة الزهير بن بكار وهو (حدث موسى بن هارون قال : كنت بحضرة الأمير محمد بن عبدالله بن طاهر ، فاستأذن

(١) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، ج ٨ ص ٤٦٧ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ٨ ص ٤٦٨ .

(٣) الاصفهاني : الاغانى ، ج ٩ ص ٤١ ، ٤٢ .

(٤) ياقوت : معجم الادباء ، ج ٤ ص ٢١٨ .

عليه الزبير ، ولما دخل عليه اكرمه وقال له : ان باعدت بيننا الانساب ، فقد قاربت بيننا الآداب ، وان امير المؤمنين امرني ان ادعوك واقلدك القضا ، فقال له الزبير : أبعد ما بلغت هذه السن ، ورويت أن من ولي القضا فقد ذهب بخبر سكين ، أتولى القضا ، فقال له : فتلحق بأمر المؤمنين بسر من رأى ، فقال أفعل . وهو اشبه برواية الخطيب في بعض ماسلف ، كما انه يشابه في اوسطه خبر ابي الفرج مشابهة تامة .

وبدل هذا على ان اسناد الخطيب فيه بعض الخلل ويرجح ان يكون : " حدثنا الحسين بن محمد بن سليمان الكاتب ، حدثنا جحظة (حدثني حرمي بن ابي العلاء قال حدثني موسى بن هارون) كما روى ابو الفرج في اغانيه عن جحظة نفسه فاذن صرح فان الخلل انما وقع من الخطيب نفسه .

وخبر ياقوت عن موسى بن هارون ، اشبه بخبر الخطيب البغدادي عن جحظة الا في قوله " ان امير المؤمنين امرني بعد ذكرك فاخترتك لتأديب ولده " حيث قال في مكانه " ان امير المؤمنين امرني ان ادعوك واقلدك القضا " وترجيح احد القولين على الآخر يقتضي ان نعرف متى ولي الزبير القضا وزار بغداد .

قال وكيع في كتاب القضا^(١) حين ذكر قضاة مكة " وولي عمار بن ابي مالك الخشني سنة ثمان وثلاثين ومئتين^(٢) وتوفي سنة احدى واربعين ومئتين ثم ولي الزبير ابن بكار قضا مكة وبقي حتى توفي سنة ست وخمسين ومئتين وهو آدب الناس واعلمهم في زمانه .

وهذا يدل انه زار بغداد ، وولايته للقضا كانت في اوائل ٢٤٢ هـ وربما انه زارها قبل هذا التاريخ فاستدعاه امير المؤمنين^(٣) لتأديب ولده كما انه ورد بغداد واليها محمد بن عبدالله بن طاهر بن الحسين الخزاعي لانه قدم من خراسان الى بغداد فولاه امير المؤمنين المتوكل الشرطة والجزية واعمال السواد^(٤) وخلافة امير المؤمنين بمدينة السلام^(٥) وبقي عليها حتى مات سنة ٢٥٣ هـ ثم استخلف على

(١) وكيع : القضا ج ١ ص ٢٦٩ .

(٢) ميزان الاعتدال ج ٢ ص ٢٤٣ .

(٣) المتوكل على الله .

(٤) الاخبار الموفقيات ج ٣ ص ١٢ .

(٥) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٧ ص ٣٦٧ سنة ٣٣٧ هـ .

عمله اخاه "عبدالله" باذن امير بغداد وكان هو محمد بن عبدالله بن طاهر لا "عبدالله بن طاهر" لأنه لم يل اماره بغداد وكان صغيرا على ما يبدو (٢٢٣ - ٣٠٠ هـ).^(١)

وكان امير المؤمنين المتوكل هو الذي ولاه القضاء صراحة كما سبق وعهد اليه بتأديب ولده الموفق وليس كما قيل "المعتز" فما جاء في خبر ابي الفرج في اغانيه من التردد بين المتوكل والمعتز لا يحمل من الصواب شيئا فالخبر مرفوضا شكلا ومضمونا .

فيكون تكليف الزبير بن بكار بتأديب ولد الخليفة قد جاء قبل تاريخ ٢٤٢ هـ وهو تاريخ توليه القضاء لأن الزبير زار بغداد اكثر من مرة فوضع كتاب الاخبار الموفقيات دليلا على الوفاء وحفظ الجميل كما انه اشرف على تأديب ولد الخليفة وزوده به هذا الكتاب وسماه باسمه . ولا يفوتنا التنويه ان المتوكل توفي سنة ٢٤٧ هـ فالارجح ان يكون تأديب ولده تم قبل هذا التاريخ سنة ٢٤٢ هـ وهو الاقرب الى الواقع ، اما تولية القضاء فكان سنة ٢٤٢ هـ .

فالزبير بن بكار صاحب كتاب الاخبار الموفقيات ومؤدب ولد الخليفة الموفق ، الذي سمي كتاب الاخبار الموفقيات باسمه هو محمد بن جعفر بن محمد بن المعتصم بالله بن هارون الرشيد . . . العباسي^(٢) . لقب بالامير الموفق بالله ويكنى ابا احمد ولد سنة ٢٢٩ هـ بسر من رأى في بيت الخلافة وعاصر عددا من الخلفاء فلقب بالامير الناصر لدين الله ولي عهد المسلمين واخا امير المؤمنين ولم يتسلم الخلافة ومات سنة ٢٧٨ هـ . وقام بدور فعال اثنا خلافة اخيه المعتد واطهر ضروها بارزة من الشجاعة والحنكة الادارية والقيادة العسكرية برزت في اخماده الثورات والفتن الداخلية .

ويبدو انه كان مولعا باللغة والادب والنحو والشعر والاخبار فبالاضافة الى الاخبار الموفقيات الفله ابن كيسان النحوي كتاب الموفقي في النحو ، ولم اعثر على هذا الكتاب اللغوي وربما ان الكتاب لم يحقق او انه لم يوجد تحت الايدى او انسه فقد مع بقية مؤلفاته .

ومن خلال تحليل الروايات حسب الاهداف والمغزى يبدو ان كتاب الاخبار

(١) الطبري : تاريخ الامم والملوك ، ج ٧ ص ٣٦٧ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ٨ ص ١٥٨ .

الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، ج ٢ ص ١٢٧ .

الموفقيات كان مدرسة خلقية وتهوية الى جانب انها تربية نفسية وحسية معا تلبي على صاحبها الفضائل الخلقية من صراحة و ارادة وقوة نفس ومحاسبة لها والانصاف منها ، فنرى المؤلف قد ركز على صفات كثيرة كان يرى انها الاسس التي يجب ان يقيم عليها البناء الشامخ ، فلا عجب ان نرى هذه الاسس التي وضعها لتكون صفات مثالية او قريبة من المثالية للملك او الحاكم النموذجي والذي بموجبها يكون حاكما مثاليا ، اذا سار عليها وعمل بها وفهم اهدافها وغاياتها والمقاصد التي تسعى اليها .

فهذه الاسس التي ركز عليها المؤلف من خلال ما اورده من روايات واخبار بلغت ٤٢٩ رواية ضمنها افكاره ووضعها في كتاب اسماء باسم (الاخبار الموفقيات) وفا^١ للجميل لما نال من مكرمة وتقدير لدى الخليفة العباسي - المتوكل على الله - فقدم هذا الكتاب بهذا الاسلوب المتع البعيد عن التكلف والتعقيد ، المميز بالبساطة والمشرّب باللمحة والايمان ، والمفعم بالعفة والاستقامة والخالي من التكلف والتزلف

أهداف تأليف الكتاب :

لقد جاءت هذه الاسس مرتبة حسب مانالت من الاهتمام كل واحدة منها

كالاتي :

الرقم	الاسس	العدد
٠١	الوفا [*]	٨٠
٠٢	العلم	٤٦
٠٣	التقوى	٤٥
٠٤	الصبر	٣٦
٠٥	الكرم والسخا [*]	٣٢
٠٦	الدها [*]	٢٩
٠٧	الامانة	٢٥
٠٨	الصدق	٢٤
٠٩	الشجاعة	٢١
١٠	المفاخرة	٢١
١١	الحلم	٢٠
١٢	العدل	١٥
١٣	القافة والفراسة	١٥
١٤	التسامح والعفو	١٠
١٥	الارتجاج	١٠

جدول رقم (٤)
تحليل الروايات حسب الاهداف

الرقم	الاسس	عدد الروايات
٠١	الوفاء	٨٠
٠٢	العلم	٤٦
٠٣	التقوى	٤٥
٠٤	الصبر	٣٦
٠٥	الكرم والسخاء	٣٢
٠٦	الدهاء	٢٩
٠٧	الأمانة	٢٥
٠٨	الصدق	٢٤
٠٩	الشجاعة	٢١
١٠	المفاخرة	٢١
١١	الحلم	٢٠
١٢	العادل	١٥
١٣	القيافة والفراسة	١٥
١٤	التسامح والعفو	١٠
١٥	الارتجاج	١٠
	المجموع	٤٢٩

١. الوفا :

قاعدة من قواعد الحكم وركيزة اساسية لدى الحاكم المثالي الذي يضع نصب عينيه رعيته وبلده ، والذي يمثل دوره بصدق وامانة ويعطي كل ما عنده لمن يقصده ، منفذا الوعد ومحققا الالاماني المعقودة على ما اعطاء ووعد به . ومن اخلاق الملك اكرام اهل الوفا وهرهم والاستمالة اليهم ، والثقة بهم وتقديمهم على العامة والخاصة ، وذلك لانه لا يوجد في الانسان فضيلة اكبر ولا اعظم قدرا ولا اجل منزلة من الوفا^(١) . كما ان الشكر ليس باللسان فقط بل بالافعال والاعمال واسم الوفا شاملا على صفات ، ومنها يذكر من انعم عليه وقدمه ، او من اسدى اليه نصحا ، او دفع عنه مكروها ، او حمى له غيبة او حجز عنه شرا في مجلس السلطان او غيره ويكون في مواساته في المال اذا اصيب به او شاركته بالا حزان اذا تعرض لنوائب الدهر ، ويخلفه في العيال في حالة الجذب او المكروه .

فالوفا قمة شامخة لا يدانية شي ، ولا الاقتراب منه الا بالعمل والصدق والجلد المستمر لمن اسدى نصحا ، او عرض معروفنا سوا في المكروه او المنشط ، والمكروه هو الاله والاقوى .

فنرى المؤلف يورد شواهد على هذا ويذكر الحجاج بحضرة المنصور ويثني عليه حتى ان المنصور أيد الطرف الآخر وقال : " رجل استكفاه قومه فكفاهم ، والله لوددت اني وجدت مثل الحجاج حتى استكفبه امرى ، وانزل الحرمين حتى يأتيني اجلي " .^(٢) كما انه يذكر وفا الزوجة لزوجها وهكذا حتى انه يذكر الوفا لأكثر من شخص ولا كثر من جانب ، بل يعرضه في جوانب متعددة حتى انه يكثر الامثلة المتعددة على الوفا في اكثر من صورة ، علما انها تؤدى الى هدف واحد وهو الوفا ، لكن التكرار والتنويع ، اسلوب من الاساليب التربوية العلمية لتزيد بالفهم وتعطي توضيحا بالتعداد والتشثيل فنرى المؤلف يركز الى جانب تنوع الروايات ، حتى يستقيم المعنى

(١) وفي الوفا نال سليمان بن عبد الملك ولاية العهد يقول : لو جز بالسيف رأسي في مودتها - لمال يهوى سريعا نحوها رأسي .

الزبير : الاخبار ص ١٣ رقم ٥١ .

الاصفهاني : الاغاني ج ٥ ص ١٢ .

(٢) الزبير بن بكار : الاخبار الموفقيات ص ٣١ رقم الرواية (١) .

وتظهر الصفة مجسمة كأنها ناطقة لدى التلميذ ، وحتى تنغرس في نفسه ويوجد لها صدى واستجابة من الطرف الآخر ، فلا تكون مجرد رواية جامدة لا حراك فيها ، بل أنها متحركة ، متجددة ، متنوعة بالأسلوب والموضوع ومتناولة لأكثر من بيئة ومناسبة وزمان .^(١)

فالوفا* من الحاكم لرعيته ، يكون ابعاد اثرا ، واكثر شمرا ، وانجع عطا* لرعيته ، فنرى الكثير قديما وحديثا من اولئك النفر الذين خدموا امتهم كانوا اوفيا* لشعوبهم وامتهم ، لكنهم لم يسمحوا لأحد ان يتطاول على مراتب غيره فهذا شيرويه يطلب من حاجبه ان يحمل رجلا تلقاه بعد قتله " ابرويز " ويتهمه . الا ان شيرويه لم يأخذها منه صادقة واعتبره ليس من الوفا* ، لأن الآخر لم يضيق عليه بالرزق فلم يكن له ونيا ، فخلع لسانه من قفاه .^(٢)

وكذلك احترام الخلفاء* لا هل الوفا* ولو كان عدوهم ، ويبدو ذلك من موقف سعيد بن جعدة بن هبرة المخزومي من رأس مروان الجعدى في حضرة ابي العباس فانكب على الرأس وقال (هذا رأس ابي عبد الملك خليفتنا بالامس رحمه الله) الا ان ابا العباس اعتبره وفا* ووفا* لعدوه فقال : " والله ما أخرج ذلك الكلام من الشيخ الا الوفا* ، ولا هو اقرب منا قرابة ، وامس بنا رحما منه بمروان ، ان احسن اليه) قال : (اجل والله)^(٣) . والشواهد كثيرة على الوفا* وهذا ليس مجالا لسردها هنا . وبالجانب الآخر يجب ان يكون الوفا* من الرعية لحاكمها ، اذا كان هذا الحاكم يقيم الامر ويصلح من احوال الرعية ، ويسعى لاسعاد رعيته ، ويدفع عنهم الشر ويخسبهم لمستقبلهم وقوة بلدهم ، فوجب عليهم الوفا* له بالدفاع عنه ونصرته والتعاون معه ليستقيم الصف وتصلح الامور ، لأن الحاكم اذا لم يساعده الآخرين فلم يستطع ان يعمل ويخدم رعيته وشعبه وبلده .^(٤)

(١) بلغ عدد روايات الوفا* ٨٠ رواية حسب ما جاء : (٤١ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٩ ، ٢٣٦ ، ٢٩١ ، ٢٩٧ ، ٣١٤ ، ٣١٨ ، ٣٢٧ ، ٣٤٩ ، ٣٦٤ ، ٤١١ .

(٢) ردائيس رقم [١٥٥]

(٣) = [٢٧٦]

(٤) = [٢٧٧]

٠٢ . العلم :

هو الصفة الثانية ، هي درجة يرتقي عليها ليتم الاولى وهي الذكاء والفطنة اللتان تساعدان على التفكير بقضايا الامة ، وايجاد الحلول المناسبة لها . وعلى الرغم من توفر الذكاء والفطنة ، اذا لم تكن هذه الامور مؤهلة ومزودة بالعلم الصحيح فلا يكون لها قيمة ولا وزن لانها تبقى بدون استغلاله كأنها تربة خصبة لم ترو من الماء مقدارا كافيا لتحريك محتوياتها وازدهارها حتى تستغله في تغذية النبات . وكذلك العلم فهو الماء المحرك والممول لكل من الامور لدى المسؤول . بالعلم يعرف امور رعيته ، ويعرف اهل الفضل والفقه ، ويعرف اهل الشر ، ويميز الصالح من غيره . فنرى المؤلف يركز برواياته على العلم وهذا ابن خلدون في مقدمته يضع شروطا للحاكم الصالح ومنها العلم بل من اولوياتها ^(١) . كما ان العلم شرط التكليف ، ولا يجوز ولاية مجنون ، لأن الله اذا اخذ ما اوجب اسقط ما اوجب ، والمجنون لا يطك التصرف بماله الذي ورثه من ابيه فكيف يمكنه من التصرف باموال الامة واعراضها ومقدراتها ، فهو الذي يشن الحروب ويبرم المعاهدات ، ويتضح ذلك من رد المأمون على يحيى بن اكرم قال : يا ابا محمد ، ان الانسان انما فضل على غيره من الهوام بفعله وعقله وتسميته ، ولولا ذلك لم يكن لحم اطيب من لحم ولا دم اطيب من دم ^(٢) .

فهذا الحاكم يعرف جميع الاصناف من الاطعمة التي قدمت على مائدته وينصح كل نوع يصلح لنوع من الامراض . . . وهكذا ولولا العلم ما استطاع المأمون ان يقول ذلك ولا يقدر ان يجالس فطاحلة العلم حتى انسه ادانهم وكانوا يصغرون امام علمه وفهمه . وهذا عبد الملك بن مروان يناظر اولاده في الشعر والادب فنراه يشعرهم انهم انشدوا لكل شاعر الا الاعشى واتهمهم بهجره ، مع انه اخذ بكل فن فأحسن ، فما امتدح رجلا قط الا جعله مذكورا ومشهورا وما دم رجلا قط الا جعله مغفورا ^(٣) .

- (١) ابن خلدون : مقدمته ص ١٩٣ . ويقول شروط هذا المنصب فهي اربعة : العلم والعدالة والكفاية وسلامة الحواس والاعضاء . ما يؤثر في الرأي والعمل .
 (٢) الزبير بن بكار : الاخبار الموفقيات ص ٤١ رواية رقم (٩) .
 (٣) المصدر نفسه ص ٤٩ : رواية رقم (١٣) ويكمل ذلك فهذا عامر بن الطفيل وعلقمة من بيت واحد هجا علقمة فأخمله ، وكان شريفا مذكورا ، ومدح عامر بن الطفيل فرفعه :

الناقص الاوتار والواتر
 وعامر ساد بني عامر
 صفرا مثل المهر الضامر
 في مشرق ذي بهجة ناضر

علقم ما انت الى عامر
 ان تسد الحوض فلم نعدهم
 عهدى بها في الحي قد ورعت
 قد حجم الثدى على نحرها

فنرى المؤلف يركز على العلم لدى تلميذه لانه اعتبره شرط اساسي من شروط التأهيل للحاكم حتى انه اعتبر العالم الذي وصل درجة الاجتهاد وقطع شوطا كبيرا فيه ليكون ملما بالامور المستجدة ويضع لها القوانين والاسس التي تناسبها ويكيفها مع الحياة المتطورة ولا يقع في مشتبه يعود عليه بالسخط من الرعية وخاصة الفقهاء . وذهب البعض الى ان الحاكم يجب ان يكون علمه وصل الى درجة الاجتهاد والاستنباط .^(١)

ولا احسب مقالة زياد بن ابيه الا شرحا وافيا للعلم ومثالا لمن يريد ان يتعلم وخاصة الحاكم، ان يضع المثال شخصا الحال بين الحاكم والمحكوم وكيف انه يستعمل العلاج في القضاء على الفتنة والخارجين بأسلوب يناسب العقل الذي صدر من اهله (الجزء من جنس العمل) .

فنراه ينتقل برواياته التي تحت على العلم والتعلم من فن آخر من العلم بالاشياء الى العلم بالفقه والبلاغة الى جوامع الكلم^(٢) والحديث ، حتى ينير عند القارى - التلميذ ابن الخليفة - الدافع والحافز بالمثابرة والمواصلة بالقراءة ثم العمل فنراه يتجول من عصر الى عصر ومن مكان لاخر ومن لون الى لون حتى حسبه طائرا يغرد على كل غصن ويسمع كل صوت ولا يخشى احدا من البشر، دعاه القراءة وتسبيحه السماح ، وعلمهم العمل .

لذا لا عجب وهذه الصفة ركيزة اساسية في بناء الشخصية المسؤولة ان تأخذ العناية بالتنوع والتبديل والتغيير بالعرض مع المحافظة على الغاية والهدف وان تلونت الروايات والاخبار وهذا ماتم فعلا .^(٤)

(١) الماوردي : الاحكام السلطانية ص ٦ ،

البغدادي : اصول الدين ص ٢٧٧ ،

الفراء : الاحكام السلطانية

وكتاب المواقف وشرحه ص ٦٠٥ .

(٢) الزهير بن بكار : الاخبار الموقفيات ص ٣١٠ - ٣١١ رقم ١٦٦ .

(٣) قول الاعرابي عتبة بن ابي سفيان ياعم : بعد خطبته عام ٤١ هـ . . . فرد عليه

من صحن المسجد وقال : ايها الخليفة فرد عليه لست به ، ولكنك لم تهجد ، فقال : يا اخا الخليفة قد سمعت فقل : والله لئن تحسنوا وقد اسأنا خير من ان تسيئوا وقد احسنا ، فان يكن الاحسان منكم فما احقكم باستتمامه ، وان يكن منا فما احقكم بمكافأتنا) هو رجل من بني عامر بن صعصعة .

الزهير بن بكار : الاخبار الموقفيات ص ٣٢٧ رقم ١٨٢ .

(٤) رقم الروايات : ١٥ ، ١٧ ، ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٥ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٢ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٤٥ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٥١ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٥٩ ، ٦١ ، ٦٣ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ٧٧ ، ٧٩ ، ٨١ ، ٨٣ ، ٨٥ ، ٨٧ ، ٨٩ ، ٩١ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ٩٧ ، ٩٩ ، ١٠١ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١٠٩ ، ١١١ ، ١١٣ ، ١١٥ ، ١١٧ ، ١١٩ ، ١٢١ ، ١٢٣ ، ١٢٥ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٣٥ ، ١٣٧ ، ١٣٩ ، ١٤١ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٥١ ، ١٥٣ ، ١٥٥ ، ١٥٧ ، ١٥٩ ، ١٦١ ، ١٦٣ ، ١٦٥ ، ١٦٧ ، ١٦٩ ، ١٧١ ، ١٧٣ ، ١٧٥ ، ١٧٧ ، ١٧٩ ، ١٨١ ، ١٨٣ ، ١٨٥ ، ١٨٧ ، ١٨٩ ، ١٩١ ، ١٩٣ ، ١٩٥ ، ١٩٧ ، ١٩٩ ، ٢٠١ ، ٢٠٣ ، ٢٠٥ ، ٢٠٧ ، ٢٠٩ ، ٢١١ ، ٢١٣ ، ٢١٥ ، ٢١٧ ، ٢١٩ ، ٢٢١ ، ٢٢٣ ، ٢٢٥ ، ٢٢٧ ، ٢٢٩ ، ٢٣١ ، ٢٣٣ ، ٢٣٥ ، ٢٣٧ ، ٢٣٩ ، ٢٤١ ، ٢٤٣ ، ٢٤٥ ، ٢٤٧ ، ٢٤٩ ، ٢٥١ ، ٢٥٣ ، ٢٥٥ ، ٢٥٧ ، ٢٥٩ ، ٢٦١ ، ٢٦٣ ، ٢٦٥ ، ٢٦٧ ، ٢٦٩ ، ٢٧١ ، ٢٧٣ ، ٢٧٥ ، ٢٧٧ ، ٢٧٩ ، ٢٨١ ، ٢٨٣ ، ٢٨٥ ، ٢٨٧ ، ٢٨٩ ، ٢٩١ ، ٢٩٣ ، ٢٩٥ ، ٢٩٧ ، ٢٩٩ ، ٣٠١ ، ٣٠٣ ، ٣٠٥ ، ٣٠٧ ، ٣٠٩ ، ٣١١ ، ٣١٣ ، ٣١٥ ، ٣١٧ ، ٣١٩ ، ٣٢١ ، ٣٢٣ ، ٣٢٥ ، ٣٢٧ ، ٣٢٩ ، ٣٣١ ، ٣٣٣ ، ٣٣٥ ، ٣٣٧ ، ٣٣٩ ، ٣٤١ ، ٣٤٣ ، ٣٤٥ ، ٣٤٧ ، ٣٤٩ ، ٣٥١ ، ٣٥٣ ، ٣٥٥ ، ٣٥٧ ، ٣٥٩ ، ٣٦١ ، ٣٦٣ ، ٣٦٥ ، ٣٦٧ ، ٣٦٩ ، ٣٧١ ، ٣٧٣ ، ٣٧٥ ، ٣٧٧ ، ٣٧٩ ، ٣٨١ ، ٣٨٣ ، ٣٨٥ ، ٣٨٧ ، ٣٨٩ ، ٣٩١ ، ٣٩٣ ، ٣٩٥ ، ٣٩٧ ، ٣٩٩ ، ٤٠١ ، ٤٠٣ ، ٤٠٥ ، ٤٠٧ ، ٤٠٩ ، ٤١١ ، ٤١٣ ، ٤١٥ ، ٤١٧ ، ٤١٩ ، ٤٢١ ، ٤٢٣ ، ٤٢٥ ، ٤٢٧ ، ٤٢٩ ، ٤٣١ ، ٤٣٣ ، ٤٣٥ ، ٤٣٧ ، ٤٣٩ ، ٤٤١ ، ٤٤٣ ، ٤٤٥ ، ٤٤٧ ، ٤٤٩ ، ٤٥١ ، ٤٥٣ ، ٤٥٥ ، ٤٥٧ ، ٤٥٩ ، ٤٦١ ، ٤٦٣ ، ٤٦٥ ، ٤٦٧ ، ٤٦٩ ، ٤٧١ ، ٤٧٣ ، ٤٧٥ ، ٤٧٧ ، ٤٧٩ ، ٤٨١ ، ٤٨٣ ، ٤٨٥ ، ٤٨٧ ، ٤٨٩ ، ٤٩١ ، ٤٩٣ ، ٤٩٥ ، ٤٩٧ ، ٤٩٩ ، ٥٠١ ، ٥٠٣ ، ٥٠٥ ، ٥٠٧ ، ٥٠٩ ، ٥١١ ، ٥١٣ ، ٥١٥ ، ٥١٧ ، ٥١٩ ، ٥٢١ ، ٥٢٣ ، ٥٢٥ ، ٥٢٧ ، ٥٢٩ ، ٥٣١ ، ٥٣٣ ، ٥٣٥ ، ٥٣٧ ، ٥٣٩ ، ٥٤١ ، ٥٤٣ ، ٥٤٥ ، ٥٤٧ ، ٥٤٩ ، ٥٥١ ، ٥٥٣ ، ٥٥٥ ، ٥٥٧ ، ٥٥٩ ، ٥٦١ ، ٥٦٣ ، ٥٦٥ ، ٥٦٧ ، ٥٦٩ ، ٥٧١ ، ٥٧٣ ، ٥٧٥ ، ٥٧٧ ، ٥٧٩ ، ٥٨١ ، ٥٨٣ ، ٥٨٥ ، ٥٨٧ ، ٥٨٩ ، ٥٩١ ، ٥٩٣ ، ٥٩٥ ، ٥٩٧ ، ٥٩٩ ، ٦٠١ ، ٦٠٣ ، ٦٠٥ ، ٦٠٧ ، ٦٠٩ ، ٦١١ ، ٦١٣ ، ٦١٥ ، ٦١٧ ، ٦١٩ ، ٦٢١ ، ٦٢٣ ، ٦٢٥ ، ٦٢٧ ، ٦٢٩ ، ٦٣١ ، ٦٣٣ ، ٦٣٥ ، ٦٣٧ ، ٦٣٩ ، ٦٤١ ، ٦٤٣ ، ٦٤٥ ، ٦٤٧ ، ٦٤٩ ، ٦٥١ ، ٦٥٣ ، ٦٥٥ ، ٦٥٧ ، ٦٥٩ ، ٦٦١ ، ٦٦٣ ، ٦٦٥ ، ٦٦٧ ، ٦٦٩ ، ٦٧١ ، ٦٧٣ ، ٦٧٥ ، ٦٧٧ ، ٦٧٩ ، ٦٨١ ، ٦٨٣ ، ٦٨٥ ، ٦٨٧ ، ٦٨٩ ، ٦٩١ ، ٦٩٣ ، ٦٩٥ ، ٦٩٧ ، ٦٩٩ ، ٧٠١ ، ٧٠٣ ، ٧٠٥ ، ٧٠٧ ، ٧٠٩ ، ٧١١ ، ٧١٣ ، ٧١٥ ، ٧١٧ ، ٧١٩ ، ٧٢١ ، ٧٢٣ ، ٧٢٥ ، ٧٢٧ ، ٧٢٩ ، ٧٣١ ، ٧٣٣ ، ٧٣٥ ، ٧٣٧ ، ٧٣٩ ، ٧٤١ ، ٧٤٣ ، ٧٤٥ ، ٧٤٧ ، ٧٤٩ ، ٧٥١ ، ٧٥٣ ، ٧٥٥ ، ٧٥٧ ، ٧٥٩ ، ٧٦١ ، ٧٦٣ ، ٧٦٥ ، ٧٦٧ ، ٧٦٩ ، ٧٧١ ، ٧٧٣ ، ٧٧٥ ، ٧٧٧ ، ٧٧٩ ، ٧٨١ ، ٧٨٣ ، ٧٨٥ ، ٧٨٧ ، ٧٨٩ ، ٧٩١ ، ٧٩٣ ، ٧٩٥ ، ٧٩٧ ، ٧٩٩ ، ٨٠١ ، ٨٠٣ ، ٨٠٥ ، ٨٠٧ ، ٨٠٩ ، ٨١١ ، ٨١٣ ، ٨١٥ ، ٨١٧ ، ٨١٩ ، ٨٢١ ، ٨٢٣ ، ٨٢٥ ، ٨٢٧ ، ٨٢٩ ، ٨٣١ ، ٨٣٣ ، ٨٣٥ ، ٨٣٧ ، ٨٣٩ ، ٨٤١ ، ٨٤٣ ، ٨٤٥ ، ٨٤٧ ، ٨٤٩ ، ٨٥١ ، ٨٥٣ ، ٨٥٥ ، ٨٥٧ ، ٨٥٩ ، ٨٦١ ، ٨٦٣ ، ٨٦٥ ، ٨٦٧ ، ٨٦٩ ، ٨٧١ ، ٨٧٣ ، ٨٧٥ ، ٨٧٧ ، ٨٧٩ ، ٨٨١ ، ٨٨٣ ، ٨٨٥ ، ٨٨٧ ، ٨٨٩ ، ٨٩١ ، ٨٩٣ ، ٨٩٥ ، ٨٩٧ ، ٨٩٩ ، ٩٠١ ، ٩٠٣ ، ٩٠٥ ، ٩٠٧ ، ٩٠٩ ، ٩١١ ، ٩١٣ ، ٩١٥ ، ٩١٧ ، ٩١٩ ، ٩٢١ ، ٩٢٣ ، ٩٢٥ ، ٩٢٧ ، ٩٢٩ ، ٩٣١ ، ٩٣٣ ، ٩٣٥ ، ٩٣٧ ، ٩٣٩ ، ٩٤١ ، ٩٤٣ ، ٩٤٥ ، ٩٤٧ ، ٩٤٩ ، ٩٥١ ، ٩٥٣ ، ٩٥٥ ، ٩٥٧ ، ٩٥٩ ، ٩٦١ ، ٩٦٣ ، ٩٦٥ ، ٩٦٧ ، ٩٦٩ ، ٩٧١ ، ٩٧٣ ، ٩٧٥ ، ٩٧٧ ، ٩٧٩ ، ٩٨١ ، ٩٨٣ ، ٩٨٥ ، ٩٨٧ ، ٩٨٩ ، ٩٩١ ، ٩٩٣ ، ٩٩٥ ، ٩٩٧ ، ٩٩٩ ، ١٠٠١ ، ١٠٠٣ ، ١٠٠٥ ، ١٠٠٧ ، ١٠٠٩ ، ١٠١١ ، ١٠١٣ ، ١٠١٥ ، ١٠١٧ ، ١٠١٩ ، ١٠٢١ ، ١٠٢٣ ، ١٠٢٥ ، ١٠٢٧ ، ١٠٢٩ ، ١٠٣١ ، ١٠٣٣ ، ١٠٣٥ ، ١٠٣٧ ، ١٠٣٩ ، ١٠٤١ ، ١٠٤٣ ، ١٠٤٥ ، ١٠٤٧ ، ١٠٤٩ ، ١٠٥١ ، ١٠٥٣ ، ١٠٥٥ ، ١٠٥٧ ، ١٠٥٩ ، ١٠٦١ ، ١٠٦٣ ، ١٠٦٥ ، ١٠٦٧ ، ١٠٦٩ ، ١٠٧١ ، ١٠٧٣ ، ١٠٧٥ ، ١٠٧٧ ، ١٠٧٩ ، ١٠٨١ ، ١٠٨٣ ، ١٠٨٥ ، ١٠٨٧ ، ١٠٨٩ ، ١٠٩١ ، ١٠٩٣ ، ١٠٩٥ ، ١٠٩٧ ، ١٠٩٩ ، ١١٠١ ، ١١٠٣ ، ١١٠٥ ، ١١٠٧ ، ١١٠٩ ، ١١١١ ، ١١١٣ ، ١١١٥ ، ١١١٧ ، ١١١٩ ، ١١٢١ ، ١١٢٣ ، ١١٢٥ ، ١١٢٧ ، ١١٢٩ ، ١١٣١ ، ١١٣٣ ، ١١٣٥ ، ١١٣٧ ، ١١٣٩ ، ١١٤١ ، ١١٤٣ ، ١١٤٥ ، ١١٤٧ ، ١١٤٩ ، ١١٥١ ، ١١٥٣ ، ١١٥٥ ، ١١٥٧ ، ١١٥٩ ، ١١٦١ ، ١١٦٣ ، ١١٦٥ ، ١١٦٧ ، ١١٦٩ ، ١١٧١ ، ١١٧٣ ، ١١٧٥ ، ١١٧٧ ، ١١٧٩ ، ١١٨١ ، ١١٨٣ ، ١١٨٥ ، ١١٨٧ ، ١١٨٩ ، ١١٩١ ، ١١٩٣ ، ١١٩٥ ، ١١٩٧ ، ١١٩٩ ، ١٢٠١ ، ١٢٠٣ ، ١٢٠٥ ، ١٢٠٧ ، ١٢٠٩ ، ١٢١١ ، ١٢١٣ ، ١٢١٥ ، ١٢١٧ ، ١٢١٩ ، ١٢٢١ ، ١٢٢٣ ، ١٢٢٥ ، ١٢٢٧ ، ١٢٢٩ ، ١٢٣١ ، ١٢٣٣ ، ١٢٣٥ ، ١٢٣٧ ، ١٢٣٩ ، ١٢٤١ ، ١٢٤٣ ، ١٢٤٥ ، ١٢٤٧ ، ١٢٤٩ ، ١٢٥١ ، ١٢٥٣ ، ١٢٥٥ ، ١٢٥٧ ، ١٢٥٩ ، ١٢٦١ ، ١٢٦٣ ، ١٢٦٥ ، ١٢٦٧ ، ١٢٦٩ ، ١٢٧١ ، ١٢٧٣ ، ١٢٧٥ ، ١٢٧٧ ، ١٢٧٩ ، ١٢٨١ ، ١٢٨٣ ، ١٢٨٥ ، ١٢٨٧ ، ١٢٨٩ ، ١٢٩١ ، ١٢٩٣ ، ١٢٩٥ ، ١٢٩٧ ، ١٢٩٩ ، ١٣٠١ ، ١٣٠٣ ، ١٣٠٥ ، ١٣٠٧ ، ١٣٠٩ ، ١٣١١ ، ١٣١٣ ، ١٣١٥ ، ١٣١٧ ، ١٣١٩ ، ١٣٢١ ، ١٣٢٣ ، ١٣٢٥ ، ١٣٢٧ ، ١٣٢٩ ، ١٣٣١ ، ١٣٣٣ ، ١٣٣٥ ، ١٣٣٧ ، ١٣٣٩ ، ١٣٤١ ، ١٣٤٣ ، ١٣٤٥ ، ١٣٤٧ ، ١٣٤٩ ، ١٣٥١ ، ١٣٥٣ ، ١٣٥٥ ، ١٣٥٧ ، ١٣٥٩ ، ١٣٦١ ، ١٣٦٣ ، ١٣٦٥ ، ١٣٦٧ ، ١٣٦٩ ، ١٣٧١ ، ١٣٧٣ ، ١٣٧٥ ، ١٣٧٧ ، ١٣٧٩ ، ١٣٨١ ، ١٣٨٣ ، ١٣٨٥ ، ١٣٨٧ ، ١٣٨٩ ، ١٣٩١ ، ١٣٩٣ ، ١٣٩٥ ، ١٣٩٧ ، ١٣٩٩ ، ١٤٠١ ، ١٤٠٣ ، ١٤٠٥ ، ١٤٠٧ ، ١٤٠٩ ، ١٤١١ ، ١٤١٣ ، ١٤١٥ ، ١٤١٧ ، ١٤١٩ ، ١٤٢١ ، ١٤٢٣ ، ١٤٢٥ ، ١٤٢٧ ، ١٤٢٩ ، ١٤٣١ ، ١٤٣٣ ، ١٤٣٥ ، ١٤٣٧ ، ١٤٣٩ ، ١٤٤١ ، ١٤٤٣ ، ١٤٤٥ ، ١٤٤٧ ، ١٤٤٩ ، ١٤٥١ ، ١٤٥٣ ، ١٤٥٥ ، ١٤٥٧ ، ١٤٥٩ ، ١٤٦١ ، ١٤٦٣ ، ١٤٦٥ ، ١٤٦٧ ، ١٤٦٩ ، ١٤٧١ ، ١٤٧٣ ، ١٤٧٥ ، ١٤٧٧ ، ١٤٧٩ ، ١٤٨١ ، ١٤٨٣ ، ١٤٨٥ ، ١٤٨٧ ، ١٤٨٩ ، ١٤٩١ ، ١٤٩٣ ، ١٤٩٥ ، ١٤٩٧ ، ١٤٩٩ ، ١٥٠١ ، ١٥٠٣ ، ١٥٠٥ ، ١٥٠٧ ، ١٥٠٩ ، ١٥١١ ، ١٥١٣ ، ١٥١٥ ، ١٥١٧ ، ١٥١٩ ، ١٥٢١ ، ١٥٢٣ ، ١٥٢٥ ، ١٥٢٧ ، ١٥٢٩ ، ١٥٣١ ، ١٥٣٣ ، ١٥٣٥ ، ١٥٣٧ ، ١٥٣٩ ، ١٥٤١ ، ١٥٤٣ ، ١٥٤٥ ، ١٥٤٧ ، ١٥٤٩ ، ١٥٥١ ، ١٥٥٣ ، ١٥٥٥ ، ١٥٥٧ ، ١٥٥٩ ، ١٥٦١ ، ١٥٦٣ ، ١٥٦٥ ، ١٥٦٧ ، ١٥٦٩ ، ١٥٧١ ، ١٥٧٣ ، ١٥٧٥ ، ١٥٧٧ ، ١٥٧٩ ، ١٥٨١ ، ١٥٨٣ ، ١٥٨٥ ، ١٥٨٧ ، ١٥٨٩ ، ١٥٩١ ، ١٥٩٣ ، ١٥٩٥ ، ١٥٩٧ ، ١٥٩٩ ، ١٦٠١ ، ١٦٠٣ ، ١٦٠٥ ، ١٦٠٧ ، ١٦٠٩ ، ١٦١١ ، ١٦١٣ ، ١٦١٥ ، ١٦١٧ ، ١٦١٩ ، ١٦٢١ ، ١٦٢٣ ، ١٦٢٥ ، ١٦٢٧ ، ١٦٢٩ ، ١٦٣١ ، ١٦٣٣ ، ١٦٣٥ ، ١٦٣٧ ، ١٦٣٩ ، ١٦٤١ ، ١٦٤٣ ، ١٦٤٥ ، ١٦٤٧ ، ١٦٤٩ ، ١٦٥١ ، ١٦٥٣ ، ١٦٥٥ ، ١٦٥٧ ، ١٦٥٩ ، ١٦٦١ ، ١٦٦٣ ، ١٦٦٥ ، ١٦٦٧ ، ١٦٦٩ ، ١٦٧١ ، ١٦٧٣ ، ١٦٧٥ ، ١٦٧٧ ، ١٦٧٩ ، ١٦٨١ ، ١٦٨٣ ، ١٦٨٥ ، ١٦٨٧ ، ١٦٨٩ ، ١٦٩١ ، ١٦٩٣ ، ١٦٩٥ ، ١٦٩٧ ، ١٦٩٩ ، ١٧٠١ ، ١٧٠٣ ، ١٧٠٥ ، ١٧٠٧ ، ١٧٠٩ ، ١٧١١ ، ١٧١٣ ، ١٧١٥ ، ١٧١٧ ، ١٧١٩ ، ١٧٢١ ، ١٧٢٣ ، ١٧٢٥ ، ١٧٢٧ ، ١٧٢٩ ، ١٧٣١ ، ١٧٣٣ ، ١٧٣٥ ، ١٧٣٧ ، ١٧٣٩ ، ١٧٤١ ، ١٧٤٣ ، ١٧٤٥ ، ١٧٤٧ ، ١٧٤٩ ، ١٧٥١ ، ١٧٥٣ ، ١٧٥٥ ، ١٧٥٧ ، ١٧٥٩ ، ١٧٦١ ، ١٧٦٣ ، ١٧٦٥ ، ١٧٦٧ ، ١٧٦٩ ، ١٧٧١ ، ١٧٧٣ ، ١٧٧٥ ، ١٧٧٧ ، ١٧٧٩ ، ١٧٨١ ، ١٧٨٣ ، ١٧٨٥ ، ١٧٨٧ ، ١٧٨٩ ، ١٧٩١ ، ١٧٩٣ ، ١٧٩٥ ، ١٧٩٧ ، ١٧٩٩ ، ١٨٠١ ، ١٨٠٣ ، ١٨٠٥ ، ١٨٠٧ ، ١٨٠٩ ، ١٨١١ ، ١٨١٣ ، ١٨١٥ ، ١٨١٧ ، ١٨١٩ ، ١٨٢١ ، ١٨٢٣ ، ١٨٢٥ ، ١٨٢٧ ، ١٨٢٩ ، ١٨٣١ ، ١٨٣٣ ، ١٨٣٥ ، ١٨٣٧ ، ١٨٣٩ ، ١٨٤١ ، ١٨٤٣ ، ١٨٤٥ ، ١٨٤٧ ، ١٨٤٩ ، ١٨٥١ ، ١٨٥٣ ، ١٨٥٥ ، ١٨٥٧ ، ١٨٥٩ ، ١٨٦١ ، ١٨٦٣ ، ١٨٦٥ ، ١٨٦٧ ، ١٨٦٩ ، ١٨٧١ ، ١٨٧٣ ، ١٨٧٥ ، ١٨٧٧ ، ١٨٧٩ ، ١٨٨١ ، ١٨٨٣ ، ١٨٨٥ ، ١٨٨٧ ، ١٨٨٩ ، ١٨٩١ ، ١٨٩٣ ، ١٨٩٥ ، ١٨٩٧ ، ١٨٩٩ ، ١٩٠١ ، ١٩٠٣ ، ١٩٠٥ ، ١٩٠٧ ، ١٩٠٩ ، ١٩١١ ، ١٩١٣ ، ١٩١٥ ، ١٩١٧ ، ١٩١٩ ، ١٩٢١ ، ١٩٢٣ ، ١٩٢٥ ، ١٩٢٧ ، ١٩٢٩ ، ١٩٣١ ، ١٩٣٣ ، ١٩٣٥ ، ١٩٣٧ ، ١٩٣٩ ، ١٩٤١ ، ١٩٤٣ ، ١٩٤٥ ، ١٩٤٧ ، ١٩٤٩ ، ١٩٥١ ، ١٩٥٣ ، ١٩٥٥ ، ١٩٥٧ ، ١٩٥٩ ، ١٩٦١ ، ١٩٦٣ ، ١٩٦٥ ، ١٩٦٧ ، ١٩٦٩ ، ١٩٧١ ، ١٩٧٣ ، ١٩٧٥ ، ١٩٧٧ ، ١٩٧٩ ، ١٩٨١ ، ١٩٨٣ ، ١٩٨٥ ، ١٩٨٧ ، ١٩٨٩ ، ١٩٩١ ، ١٩٩٣ ، ١٩٩٥ ، ١٩٩٧ ، ١٩٩٩ ، ٢٠٠١ ، ٢٠٠٣ ، ٢٠٠٥ ، ٢٠٠٧ ، ٢٠٠٩ ، ٢٠١١ ، ٢٠١٣ ، ٢٠١٥ ، ٢٠١٧ ، ٢٠١٩ ، ٢٠٢١ ، ٢٠٢٣ ، ٢٠٢٥ ، ٢٠٢٧ ، ٢٠٢٩ ، ٢٠٣١ ، ٢٠٣٣ ، ٢٠٣٥ ، ٢٠٣٧ ، ٢٠٣٩ ، ٢٠٤١ ، ٢٠٤٣ ، ٢٠٤٥ ، ٢٠٤٧ ، ٢٠٤٩ ، ٢٠٥١ ، ٢٠٥٣ ، ٢٠٥٥ ، ٢٠٥٧ ، ٢٠٥٩ ، ٢٠٦١ ، ٢٠٦٣ ، ٢٠٦٥ ، ٢٠٦٧ ، ٢٠٦٩ ، ٢٠٧١ ، ٢٠٧٣ ، ٢٠٧٥ ، ٢٠٧٧ ، ٢٠٧٩ ، ٢٠٨١ ، ٢٠٨٣ ، ٢٠٨٥ ، ٢٠٨٧ ، ٢٠٨٩ ، ٢٠٩١ ، ٢٠٩٣ ، ٢٠٩٥ ، ٢٠٩٧ ، ٢٠٩٩ ، ٢١٠١ ، ٢١٠٣ ، ٢١٠٥ ، ٢١٠٧ ، ٢١٠٩ ، ٢١١١ ، ٢١١٣ ، ٢١١٥ ، ٢١١٧ ، ٢١١٩ ، ٢١٢١ ، ٢١٢٣ ، ٢١٢٥ ، ٢١٢٧ ، ٢١٢٩ ، ٢١٣١ ، ٢١٣٣ ، ٢١٣٥ ، ٢١٣٧ ، ٢١٣٩ ، ٢١٤١ ، ٢١٤٣ ، ٢١٤٥ ، ٢١٤٧ ، ٢١٤٩ ، ٢١٥١ ، ٢١٥٣ ، ٢١٥٥ ، ٢١٥٧ ، ٢١٥٩ ، ٢١٦١ ، ٢١٦٣ ، ٢١٦٥ ، ٢١٦٧ ، ٢١٦٩ ، ٢١٧١ ، ٢١٧٣ ، ٢١٧٥ ، ٢١٧٧ ، ٢١٧٩ ، ٢١٨١ ، ٢١٨٣ ، ٢١٨٥ ، ٢١٨٧ ، ٢١٨٩ ، ٢١٩١ ، ٢١٩٣ ، ٢١٩٥ ، ٢١٩٧ ، ٢١٩٩ ، ٢٢٠١ ، ٢٢٠٣ ، ٢٢٠٥ ، ٢٢٠٧ ، ٢٢٠٩ ، ٢٢١١ ، ٢٢١٣ ، ٢٢١٥ ، ٢٢١٧ ، ٢٢١٩ ، ٢٢٢١ ، ٢٢٢٣ ، ٢٢٢٥ ، ٢٢٢٧ ، ٢٢٢٩ ، ٢٢٣١ ، ٢٢٣٣ ، ٢٢٣٥ ، ٢٢٣٧ ، ٢٢٣٩ ، ٢٢٤١ ، ٢٢٤٣ ، ٢٢٤٥ ، ٢٢٤٧ ، ٢٢٤٩ ، ٢٢٥١ ، ٢٢٥٣ ، ٢٢٥٥ ، ٢٢٥٧ ، ٢٢٥٩ ، ٢٢٦١ ، ٢٢٦٣ ، ٢٢٦٥ ، ٢٢٦٧ ، ٢٢٦٩ ، ٢٢٧١ ، ٢٢٧٣ ، ٢٢٧٥ ، ٢٢٧٧ ، ٢٢٧٩ ، ٢٢٨١ ، ٢٢٨٣ ، ٢٢٨٥ ، ٢٢٨٧ ، ٢٢٨٩ ، ٢٢٩١ ، ٢٢٩٣ ، ٢٢٩٥ ، ٢٢٩٧ ، ٢٢٩٩ ، ٢٣٠١ ، ٢٣٠٣ ، ٢٣٠٥ ، ٢٣٠٧ ، ٢٣٠٩ ، ٢٣١١ ، ٢٣١٣ ، ٢٣١٥ ، ٢٣١٧ ، ٢٣١٩ ، ٢٣٢١ ، ٢٣٢٣ ، ٢٣٢٥ ، ٢٣٢٧ ، ٢٣٢٩ ، ٢٣٣١ ، ٢٣٣٣ ، ٢٣٣٥ ، ٢٣٣٧ ، ٢٣٣٩ ، ٢٣٤١ ، ٢٣٤٣ ، ٢٣٤٥ ، ٢٣٤٧ ، ٢٣٤٩ ، ٢٣٥١ ، ٢٣٥٣ ، ٢٣٥٥ ، ٢٣٥٧ ، ٢٣٥٩ ، ٢٣٦١ ، ٢٣٦٣ ، ٢٣٦٥ ، ٢٣٦٧ ، ٢٣٦٩ ، ٢٣٧١ ، ٢٣٧٣ ، ٢٣٧٥ ، ٢٣٧٧ ، ٢٣٧٩ ، ٢٣٨١ ، ٢٣٨٣ ، ٢٣٨٥ ، ٢٣٨٧ ، ٢٣٨٩ ، ٢٣٩١ ، ٢٣٩٣ ، ٢٣٩٥ ، ٢٣٩٧ ، ٢٣٩٩ ، ٢٤٠١ ، ٢٤٠٣ ، ٢٤٠٥ ، ٢٤٠٧ ، ٢٤٠٩ ، ٢٤١١ ، ٢٤١٣ ، ٢٤١٥ ، ٢٤١٧ ، ٢٤١٩ ، ٢٤٢١ ، ٢٤٢٣ ، ٢٤٢٥ ، ٢٤٢٧ ، ٢٤٢٩ ، ٢٤٣١ ، ٢٤٣٣ ، ٢٤٣٥ ، ٢٤٣٧ ، ٢٤٣٩ ، ٢٤٤١ ، ٢٤٤٣ ، ٢٤٤٥ ، ٢٤٤٧ ، ٢٤٤٩ ، ٢٤٥١ ، ٢٤٥٣ ، ٢٤٥٥ ، ٢٤٥٧ ، ٢٤٥٩ ، ٢٤٦١ ، ٢٤٦٣ ، ٢٤٦٥ ، ٢٤٦٧ ، ٢٤٦٩ ، ٢٤٧١ ، ٢٤٧٣ ،

٣. التقوى :

صفة عظيمة وركيزة اساسية في تدعيم الحكم وطول بقاء السادة والحكام لأن الله امر بها واكثر الآيات فيها وحض عليها . . . واتقوني يا اولي الالباب ، وجاءت بالفاظ معناها التقوى ، اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون .^(١) والا حاديت وافرة في الحث على التقوى . . . فسئل الرسول من اكرم الناس قال : (اتقاهم) .^(٢)

لذا فالزهير بن بكار يكثر من الاخبار والروايات التي تشجع وتحث على التقوى ويورد شواهد حية من حياة القصور ومجالس الحكام وكيف كانوا يسمعون لنصائح العلماء والحكام حتى ان الامر يصل الى شخصهم كما انهم انفسهم كانوا يوصون اولادهم ورعاياهم بالتقوى فهذا عمر بن الخطاب يكتب الى ولده في غيبته يقول : اما بعد فان من اتقى الله وقاه ، ومن اتكل عليه كاه .^(٣)

وكذلك علي بن ابي طالب يوصي ولده الحسن ثم محمد بن الحنفية ويركز على التقوى^(٤) لانها عماد العمل واصل الوفاء ، فلا وفاء لمن لا تقوى عنده ، كما انه يورد شواهد على مواقف الخلفاء مع العلماء وسماعهم لهم ثم تنفيذ ما ارشدوا اليه لأن التقوى تفتح ابواب الحكام وتبعد الظلمة وتقسو عليهم ، وتدفع الحاكم ليزع الاموال بحققها ولا هلبها ولا تكون العوبة بين يديه واسرته ويحرم الشعب واصحاب الحقوق منها . ومن بات غاشا لرعيته اكلا لاموالها ، مفترطا في تحصينها حرم الله عليه رائحة الجنة . وحرى بالوالي ان يكون لرعيته بارا ولعموراتهم ساترا ، ولالحق فيهم قائما وكذلك عالمنا يقول للمهدي . . . فاوصيك بتقوى الله ، فعليكم نزلت ، ومنكم اخذت واليكم ترد .^(٥)

(١) " يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته . . . " سورة آل عمران آية ١٠٢ .

" فاتقوا الله ما استطعتم . . . " سورة التغابن آية ١٦ .

" ومن يتق الله يجعل له مخرجا . . . " سورة الانفال آية ٢٩ .

(٢) رياض الصالحين ص ١٧ باب التقوى .

(٣) ومن شكر له زاده ومن اقضه جزاءه ، فاجعل التقوى عمارة قلبك وجلا بصرك .

انظر ابن عديريه : العقد الفريد ج ٢ ص ١٥٥ .

(٤) المصدر نفسه ، ج ٢ ص ١٥٥ - ١٥٨ .

(٥) المصدر نفسه ، ج ٢ ص ١٦٥ .

رواية رقم ١٥٧ تقول : . . . سمع ابو جعفر المنصور رجلا يقول ظهر الفساد في البر وهو يطوف حول البيت ، فاستدعاه المنصور وسأله : فقال أنت ، ثم أكمل القصة ، فبكى ابو جعفر المنصور .

ولقد ركز على التقوى لأنها مفتاح الجنة وبها تجنى الحسنات ، وتجمع الأموال وترى الصالحات ، وبها يدخل الناس أبواب الجنة من حيث شاءوا ، لكنها بالأعمال الحسنة تدرك وبالفعل تنال وليس بالتمني ، فلا ريب أن ترى المؤلف يركز في الروايات على هذا الجانب الأساسي في بناء الطلح وفي تكوين الحاكم الذي يعتبر المجسم لمعنى التقوى سواء في القول أو السلوك وفي إجراء الأمور في أماكنها وفي تقييم الأمور في مواضعه لا يظلم ولا يهبط ولا يهتك إلا بحق ، ويبدو هذا جليا من الأخبارية التي تصور كيف كان موقف أمير المؤمنين عمر عندما جاءت غنائم العراق وفي القادسية ، فوضعت في المسجد فلما ظهرت عليها الشمس رآها عمر كأنها جمر مشتعلا ، فقال لخازن بيت المال ويحك ، ارحني من هذا ، واقسمه بين الناس ^(١) . ولولا التقوى لحمله عمر إلى بيته وجعل مداخله وزين جدرانها وأغرق نساءه بالحلي والجواهر ، ولكنها التقوى وخشية الله لم تسمح له أن يدخله بيته ، حتى أنه لم يلمسه بل التح على الخازن أن يقسمه بين الناس . هذه الأمانة وهذه التقوى ولولا هذا كله لما قال عمر قوله . فأراد المؤلف أن يغرس في نفس التلميذ الأسس القوية المبنية على الشواهد الحية والتي تقع تحت البصر ، ولمس اليد ليكون ذا اثر في نفسيته ، وتكون مؤشرا يدفع به نحو الإيجابية ويهيئ فيه العفة ، وبعد النظر ، وحفظ حق الله والناس في كل أمر ، وظهر هذا في حره مع الزنج عندما انتصر عليهم واستولى على ما جمعه صاحب الزنج من مدينته المختارة والتي غصت بغرائب الجواهر والأموال فمرى الموفق يوزعه على الجيش وخاصة على الذين لحقوا به من الزنج والذين انفصلوا عن صاحبهم المتمرد ، لأنه كان يرى أن المال وسيلة وليس غاية وهذا ، بل سبيلا ليوصل الإنسان لهدفه أو يخفف عليه بأس الحياة ، أو يرد أصحاب النفوس المتعلقة بالعمل ليوقف شرورها ويضع حدا لجشعها حتى لا تأكل الآخرين وتظلم الرعية .

ثم يورد رواية مثل هذه الرواية وملخصها موقف عثمان وعلي ثم طلب عثمان من العباس أن يصلح الأمر بينهما ثم تراجع عثمان بناء على تدخل مروان بن الحكم . . . لكن العباس استنكر ذلك وعز عليه القول ونصح ولده عبد الله بن العباس بأن يمسك عليه لسانه ثم رفع يديه وبال : اللهم أسبق لي ما لا خير لي في إدراكه فما حضرت جمعة حتى مات العباس رحمه الله ^(٢) ، وهذا منتهى التقوى وخشية الله حتى لا يكون له سهم

(١) الزبير بن بكار: الأخبار الموفقيات ص ٦١٢ - ٦١٣ رقم ٣٩٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٦١١ - ٦١٢ رقم ٣٩٤ .

في الفتنة أو القول ، وهو لا يدري عليه أم له فاستجاب الله دعاه . (١)

٤٠ . الصبر :

لغة اشتق من صبر ، يصبر ، صابر . ويدل على معاني جمعة لا تحصى عند معنى بل تحمل معان كثيرة ، إلا أن الصبر ركيزة لما سبقه من الوفاء والعلم والتقوى والارجح انه وعاء يجمعهم جميعا ، فالوفاء من الصبر لأن الاداء تتنازع الجوارح والنفس ولا يمكن الاداء إلا لمن يصبر او يتصابر حتى يجبر النفس على قبول الأمر بأنه حق للآخرين .

فالصبر ذو اثر وقيمة في الحياة ، فيبدو انه لا يخلو امر من امور الحياة إلا ويتطلب الصبر والدليل على اهميته انه ذكر في كثير من الآيات والسور القرآنية تجاوز الثمانين آية ومنها قول الله عز وجل : " يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا " (٢) وقوله عز وجل " انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب " (٣) وقال تعالى " ولمن صبر وغفر ان ذلك من عزم الامور " (٤) وقال تعالى : " استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين " (٥)

كذلك اولته السنة المعمدية عناية فائقة واعطته الاولوية مع الاولويات الاساسية وهذا الحديث الذي سأل به الانصار رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاهم حتسى نفذ ما عنده ، إلا انهم استمعوا بالطلب حتى رد عليهم " . . . ومن يستغن يغنه الله ومن يتصبر يصبره الله ، وما أعطي احد عطاء خيرا وأوسع من الصبر " . (٦)

وقال ايضا (لأمرأة تبكي عند قبر اتقي الله واصبري) . . . انما الصبر عند الصدمة الاولى (٧) ، وهناك احاديث كثيرة تعرض الصبر بأساليب متنوعة ومعان عظيمة تنهي في النفس بناء قويا من التقوى وتروضها لمواجهة الاحداث الجسام وتحمل الصدمات والمصائب ، فالنفس التي تصبر او تتصابر فهي التي تستطيع ان تواجه الصعاب وتدير

- (١) رقم الروايات : ٢٢ ، ٢٩ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ٤١ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٥٢ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ١٨٨ ، ٢١٣ ، ٢١٨ ، ٢٠٤ ، ٢٠١ ، ٢٠٠ ، ١٩٩ ، ١٩٨ ، ٢١٦ ، ٢٣٠ ، ٢٢٩ ، ١٥٤ ، ١٦٠ .
- (٢) سورة آل عمران آية ٢٠٠ .
- (٣) سورة الزمر آية ١٠ .
- (٤) سورة الشورى آية ٤٣ .
- (٥) سورة البقرة آية ١٥٣ .
- (٦) الامام النووي : رياض الصالحين ، باب الصبر ص ٢٥ .
- (٧) المصدر نفسه ، ص ٢٩ ، ٣٠ .

المسؤوليات ، لأنه يستبعد ان يكون حاكما او اى شخص في دور المسؤولية لا يصبر او يتظاهر على الاقل بالصبر فان الامور ستتعداه ولم يستطع ان يتعامل معها حتى تقضي عليه وتتركه اثرا بعد عين ، وكذلك فان الصبر نصف الايمان . ويبدو ان الزبير بن بكار رأى ان يكون الصفة الرابعة التي وُدَّ أن يفرسها لدى تلميذه ولدى كسل من يتعامل مع كتابه الاخبار الموفقيات . فلم يترك مجالا الا وعرض الصبر به كما عمل في التقوى . والمعتب لحياة الموفق العملية يرى انه اعطى الصبر نصيبا كبيرا بل شطرا وافرا من حياته ان لم تكن جميعها ، ويبدو واضحا من مواقفه من اخيه المعتز الذي طوع له الخليفة المستعين واهل بغداد وتنازل للمعتز واخذ البيعة من اهل بغداد الا انه كافأه على ذلك بالعيس والنفي الى واسط ثم البصرة ثم رده ^(١) الى بغداد ، هذه المواقف لا يمكن تحملها الا بالصبر بل الصبر الشديد وكان اهلا له فصرا لا أن المحنة لم تقف عند هذا الحد ان جاء خليفة بعد المعتز فنفاه وحبسه بمكة وبسقي صابرا حتى جاء اخوه المعتمد فاحضره من مكة ، ليس حبّا به وانما حاجته اليه ، ان الامور ادلهمت واشتدت الخطوب وكثر الخارجون على السلطة ، ولم يكن هو على مستوى هذه الاحداث فوجد ان هذا الفتق لا يرتق الا به ، فجئى به وسلم مقاليد الامور الحربية وخاصة مقاومة ثورة الزنج التي اقلقت الدولة زمانا ليس بالقصير كما انها اكلت الاموال والرجال وكادت تعصف بالخلافة ويكون المتصرف بالدولة الاسلامية صاحب الزنج ، الا ان صبر الموفق وادارة المعركة بالتروى والغطنة والتريث حتى تسم بصبره ومتابعته الامور بحزم وثبات شيئا فشيئا فلم يترك حيلة الا احتال بها ولا خلقا الا تخلق به ، من نشر الامان وتقدير العطاء الجزيل ، لتقريب القلوب وتأليفها الى ارسال الرجال وتشجيع الآخرين الالتحاق بجيشه ، ويبدو صبره جليلا للعيان ، هروب اخيه الى الشام ليلحق باهن طولون لانه شعر ان الامور كانت تسير الى الموفق ولم يكن له من الخلافة الا الاسم والخطبة ، وعلى الرغم من شدة هذا الموقف فاننا نلاحظ ان الموفق صبر وابدى كل ثبات فلم يترك المعركة ويلحق ببغداد ، الا انه عالج الامر بكل حزم وصبر فكتب الى اسحق بن كنداجيق فأرجع الخليفة وحجز عليه ولم يعد الى بغداد الا منتصرا وقاضيا على ثورة الزنج وجلس في البصرة سنة بعد الانتصار حتى عاد الامان واهل السواد الى حياتهم الطبيعية .

وحياته التي عاشها وخاصة مع اخيه المعتمد تجاوزت ٢٢ عاما كلها مواقف

(١) ابن كثير: الهداية والنهاية ج ١١ ص ١٢٠

حيّة على الصبر لأن اخاه الخليفة لم يطمئن به وذلك راجع لسلوك الخليفة نفسه وسوءه بذخه وتصرفه^(١) السيء ولا يستوى الخبيث ولا الطيب ، وهذا هو الصبر عند الموفق^(٢) .

٥٠ . الجود والسخاء (الكرم) والشجاعة :

للفطرة الانسانية منهج لا يتخلف ، وسنة لا تتبدّل ، فحيث يوجد الجود توجد الشجاعة ، وحيث توجد الشجاعة يوجد الجود والسخاء ، فانهما توأمان لا يتخلف احدهما عن الآخر ابدا واذا وجدت جودا ، ولم تجد الشجاعة ، فان الذي تراه ليس جودا حقيقيا ، وانما مظهر خادع وفارغ ، بل مجرد الزهو والادعاء وكذلك اذا وجدت الشجاعة ولم يرافقها وبعايشها الجود ، فانها ليست شجاعة وانما مظهر من مظاهر الطيش والتشبه والتقليد ، ان انما لبست صفة اصيلة . فالذي يمسك أعنة الغيول بشماله ويصارع والسيف قائم بيمينه فهي نفسها التي تعطي وتجود وبها توزع الاموال كما توزع الضربات واللكمات ، فهي معسك السيف والجود بوقت واحد ، فالذي يجود بالنفس قادر على ان يهب الاموال ويسد عوز المحتاجين وينصر المستغيثين بسيفه ويدفع عنهم المكروه كما ويدافع عن بلده اذا ما هوجمت من قبل الاعداء . والذي لا يجود بماله لا يجود بنفسه ودمه^(٣) ، فلا يمكن ان يجتمع الاثنان في آن واحد الا عند من جمع الاثنين معا ليس تكلفا بل اصاله ومنهجيا ، ومهما حاول الآخرين التظاهر فلا يمكنهم ان يشبوا عليه او يتقنوا اسلوب عرضه . فصعب عليهم جمع صفتين ، النفوس والمال وهما عزيزتان وخاصة اذا عرضا الى المهالك والمخاطر .

تألفت شجاعة وسخاء الموفق في كل موقف من حياته سواء قائدا محاصرا لبغداد ايام المعتز^(٤) او منغيا في واسط وبغداد ومكة ، او قائدا للحملات التي

(١) المقصود انصرافه للطلذات والشهوات والغنا وضعف شخصيته .

الطبري : تاريخ الامم والملوك ، ج ٨ ص ١٤٦ ،

ابن كثير : البداية والنهاية ج ١١ ص ٦٧ .

(٢) رقم الروايات : ٢١ ، ٢٦ ، ٣٤ ، ٥٠ ، ٦٤ ، ٦٣ ، ٥٥ ، ١٣٧ ، ٢٠٢ ، ١٧٥ ،

٣١٨ ، ٣٦٥ ، ٤٠١ ، ٤٠٥ .

(٣) الزبير بن بكار : الاخبار الموفقيات ، رقم ٢٨٢ ، ٢٨٧ .

(٤) المصدر نفسه ، رقم ٢٩٠ ، ٣١٢ .

خرجت تعيد التمرد بين الى السلطة الشرعية سواء في لقاء الصفارى او الزنجي او في عودة اخيه الى سر من رأى^(١) فشجاعته كانت تعتمد على الصدق بدل الدهاء وتتسم بالوضوح والمواجهة لا بالمناورة والمراوغة ، وكانت شجاعته وسخاؤه كقرسي رهان . فنراه بعد دحر الصفارى عن بغداد يعرض عليه الصلح ويقدم الاموال لجيش الصفارى بسخاء وعطاء جزيل . وتبدو الروايات واضحة مجسمة في حياة الموفق وخاصة الرواية التي يقول فيها المؤمن للواقدي عندما رفع اليه رقعة يشكو فيها الدين ، فرد عليه المؤمن : (فيك خلتان السخاء والحياء ، فأما السخاء فهو الذي اطلق يدك بما ملكك ، وأما الحياء فهو الذي حملك على ذكر بعض دينك ، وقد امرنا لك بضعف ما ذكرت . . . فنزد في بسط يدك فان خزائن الله مفتوحة ويد الخير مبسوطة)^(٢) .

وكذلك موقف هشام بن عبد الملك مع وفد المجاعة . وكان المتحدث درواس ، فاعطاهم هشام وخص درواس بمبلغ فرفض ، الا ان هشام ارسله الى بيته ، فما كان منه الا ان وزعه في بطون قومه واخذ كواحد منهم فقال هشام : " ان الصنيعة عنسد درواس لتضاعف على الصنائع " .^(٣)

وتلحظ الشجاعة والجود لازما الموفق بحروبه في حله وترحاله ، وتبدو جليلة عندما اندحرج جبهه في لقاء الصفارى فنزع عن رأسه وصاح أنا الفتى الهاشمي واندفع نحو العدو ولحق به الجيش فكسب النصر ودحر الخصم ولقد حقق قول لقمان الحكيم عليه السلام ثلاثة لاتعرفهم الا في ثلاث " لاتعرف الحليم الا عند الغضب ، ولا الشجاع الا عند الحرب ، ولا تعرف اخاك الا اذا احتجت اليه " .^(٤) وقول آخر لحكيم : يسود الرجل بأربعة اشياء " بالعقل ، والادب والعلم ، والمال " .^(٥) والمال هنا المقصود الكرم والسخاء واستعماله في وجوهه وليس جمعه واكتنازه بل في توظيفه واعطاء اصحاب الحق منه .

والموفق كان يرى الشجاعة صفة اساسية بشخصيته كما كان يرى الجود مكملا متعللا بقول الشاعر :

(١) الزبير بن بكار : الاخبار الموفقيات رقم ٣١١ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٣٢ رقم ٦٠ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٤٨ ، رقم ٧١ .

(٤) ابن عبد ربه : العقد الفريد ج ٢ ص ٢٧٨ .

(٥) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .

سأبذل مالي للعفاة فأنسني رأيت الغنى والفقر ستيان في القبر
يموت اخو الفقر القليل متاعه ولا تترك الايام من كان ذا (١) وفسر

ويختتم الزبير الشجاعة برواية للمهلب ، من أشجع الناس فقال : مصعب
ابن الزبير وعمر بن عبد الله بن معمر والحصين الحيطي فقيل وابن حازم وعبد الله بن
الزبير فقال : نحن نتكلم عن الانسان ولا نتكلم عن الجن (٢) وهذا دليل واضح على
ان لهم في الشجاعة باع طويل وسبق لا يداني . فهذه صفات ركز عليها الزبير تركيزا
ذا هدف ومغزى لانهما من مكونات المسئولية واساسيتان في بناء الشخصية السوية .
فيبدو واضحا ان صاحبنا طبقهما تطبيقا عمليا ، فكان بهذا مثالا يحتذى به ويقتدى
وكان ذلك في حروبه الطويلة (٣) .

٦ . الدهاة (المكر) :

وهو قوة الملاحظة وشدة الحيطة والحذر وهي صفة تنم عن الذكاء وبعد النظر
وسرعة الخاطر ، فهذا قيس بن سعد بن عبادة يقول : لولا الاسلام لمكرت مكر لا تطيقه
العرب . (٤)

فالدهاة ايضا مهارة بالاستعمال ، ودقة في العرض ، وسعة في الحيلة ، وهو
اليقظ الحاضر البديهة ، السريع الجوانب البعيد عن الالتباس والخطأ ، الا أن الاسلام
لم يبح للدهاة ان يخوض في كل ميدان الا ان يكون مشدودا بالتقوى واذا انفرد عنها
كان صاحبها بعيدا عن الخير فلا يؤمن بوائقه وخداعه ، ومكره الذي قد ينزل بخصمه
الفتك والهلاك . فنرى المؤلف يعطي هذا الجانب نصيبا ليس بالقليل ويعتبره من
مقومات الشخصية بل من المكونات الاساسية في الحاكم او الذي يعد ليكون حاكما ،
ويتضح هذا من مناقشة الروايات التي تعالج هذا الموضوع وذلك قول حاكم :
" لاتعسادوا الرجال ، وان ظننتم انه لا يضركم ، ولا الزاهد بصداقته وان كان

(١) الزبير بن بكار : الاخبار الموفقيات ص ٦٢٩ ، رقم ٤٢٠ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٥٦٠ - ٥٦١ رقم ٣٦٨ .

(٣) رقم الروايات : ٦٠ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٧ ،

٢٩٠ ، ٣٢٢ .

(٤) محمد خالد : رجال حول الرسول ص ٤٤٠ .

لا ينفعكم ، لانكم لاتدرون من ترجون صداقة الصديق ، واقبلوا عذر من اعتذر لكم ولو كان غير صادق .^(١)

ويبدو واضحا مدى بعد النظر وكيف يستغل الاشخاص على اختلاف مراكزهم الاجتماعية ، لانه لا يعرف متى تنفع الصداقة او تضر ، لذا وجب اخذ الحيطة والحذر ولم يحول الرجل الى عدو بل كسبه في الحالين الى جانبه ان لم يكن في صفه فأولى ان لا يكون في صف خصمه ، ولعمري ان هذا هو الدهاء وبعد النظر بل الذكاء الذي يعطي الثمار الناضجة .

وفي رواية اخرى ان احد الدهاة كان يسرق وعندما يسأل بجيب انا لا أسرق بل هذا محبتي هو الذي يسرق^(٢) ولعمري هذا هو المكر والدهاء . وقال حماد لو كان هذا حيا اليوم ، كان من اصحاب ابي حنيفة .

هذه صفة ، ان كانت ضرورية للشخص العادي فهي اكثر ضرورة لمن هو في مكان المسؤولية ، ليعرف كيف يقابل الدهاء اذا لم يستعمله ، بل عليه ان يستعمله بالرد على اصحابه او على الاقل ان لا يجعلهم يخدعونه ، ويوقعونه في مواقف هو يخنس عنها لو كان يعرف اساليبهم .^(٣)

ونرى التركيز على هذه الصفة لأهميتها عند المؤلف ، لأنه كان يرى ان على الحاكم ان يلم بها ويتتبع بها وخاصة في مجالسة الناس والوفود فانهم لا يغفلون عن الدهاء والمكرين وكذلك حالة الحرب فهي التي توصف هذه الصفة ، فنجد أنه استعملها في حربه مع الزنج وفي تعامله مع احمد بن طولون عندما نشب الخلاف بينهما وظهر ذلك في ارسال الجواسيس وتتبع اخبار ابن طولون ، الا ان ابن طولون كان من نفس الطراز وكان يمتاز بالفراسة القوية لم تمر عليه اى مؤامرة او ازعاج لشؤون الامن في ولايته ، ومع ذلك لم يتراجع الموفق وبقي مستمرا حتى النهاية ولم يستسلم للواقع بل بقي يوظف الدهاء حتى الرق الاخير من حياة ابن طولون^(٤) .

(١) الزبير بن بكار : الاخبار الموفقيات ص ٣٤٣ ، رقم ١٩٥ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٨٠ رقم ٢٥٣ .
المحبين : العصا ذى الشعبة .

(٣) رقم الروايات : ١٣٢ ، ١٤٠ ، ١٤٣ ، ١٩٥ ، ١٦١ ، ٢٤٩ ، ٢٦١ ، ٢٥٣ ، ٢٦٤ ، ٣٠٧ ، ٣٧٤ .

(٤) البلوى : سيرة احمد بن طولون ص ٢٣٠ - ٢٦٠ .

ويبدو ان الموفق استعمل الدهاء في الامور المباحة فانه لم يكن مولعا بسفك الدماء بقدر ما كان يعيل الى السلم وحب الصفاء والتفاهم واقرار الامور في نصابها ، لكن الخارجين لا يرضيهم الدرهم والدينار ولا الولاية بل طمعت نفوسهم الى مرتبة الخلافة ويبدو ذلك من قول الصغاري عندما عرض عليه ولاية بغداد والمشرق فقال : يقرر الامر عند الوصول الى بغداد ^(١) وكأنه يريد الخلافة والله رد كيده في نحره وسلم الارواح والاموال . والطمع قاتل لصاحبه فهذه الصفة وضحت عنده في جميع معاملاته ، العسكرية والادارية وحتى في مقابلاته للآخرين وتعيين القضاة والوزراء كان يوظف الدهاء ولكن بعدالة ^(٢) .

٥٧ . الامانة :

صفة عظيمة اختص الله بها الانسان من سائر المخلوقات ، وهي دليل اهمية الانسان وقيمه بالوجود ، لانه محور وقطب الرحى بها . لذا نرى ان الامانة هي جزء رئيس في تكوين الانسان السلوكية فتدخل في كل امر من اموره ولا تكاد تتركه برهة صغيرة . وهي الجزء الاكبر من سلوكياته ، ولقد تكرر ذكرها في القرآن الكريم يقول عز وجل (ان الله يأمركم ان توفوا بالامانة الى اهلها) ^(٣) ، وقوله تعالى : (انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا) ^(٤) وكذلك اعتبر خائن الامانة مجرما بحق نفسه والمجتمع ، زيادة على انه اكتسب صفة سيئة وسلوكا شائنا بحق خالقه لأنه نهاه عن هذا السلوك والتصرف . فأكدت السنة النبوية على ذلك بقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (آية المنافق ثلاث ، اذا حدث كذب ، واذا وعد اخلف ، واذا اؤتمن خان) ^(٥) .

لذا نجد المؤلف يركز على هذه الخصلة في الكتاب وكثيرا ما كان يقرنها مع الوفاء لان الامانة هي الوفاء والوفاء امانة سواء في القول او العمل او حسن التصرف والسلوك السوي الذي ينعكس على الامة والمجتمع بالايجابيات البعيدة عن السلبيات

- (١) ابن خلدون : تاريخه ، ج ٣ ص ٣١٣ .
- (٢) الزبير بن بكار : الاخبار الموفقيات رقم ٥١ .
- (٣) سورة النساء آية ٥٨ .
- (٤) سورة الاحزاب آية ٧٢ .
- (٥) رياض الصالحين : ص ١٠٦ . حديث متفق عليه (مسلم والبخاري) .

كما ان الأمانة ان قصد بها الناس فالأولى بالمسؤول ان تكون جزءا منه ان لم تكن مجرى النفس منه لأنه حاكم ولا حكم بدون الأمانة^(١) . فكيف يحكم ولا امانة لديه فانه يسهل عليه التصرف باموال الرعية ونهبها لصالحه وصالح أسرته . كما انه لا يستبعد ان يتساهل في تسليم البلاد للاعداء حيث لا استعداد في الدفاع عن حياض الوطن ، ولا يرحم الشعب والرعية فتخرب الامور وتتصدع الاحوال ، وتكون النتيجة زوال السلطان والحكم^(٢) . لذا اعطيت الأمانة الأهمية والعناية لدى العربي ، والاخرى بنا ان تكون في ايامنا شعار المعلم والجندي والحاكم حتى تستقيم الامور وتصلح الاحوال ، ويبدو ان الموفق حصل على هذا وعاشه في حروبه فكان يرى ان الأمانة ان يجند الجيوش ويقضي على الثورات والخارجين على السلطة ، كما انه لم يخسن اموال الرعية وخاصة عندما اصبحت الموفقية^(٣) التي بناها لتكون مقرا له في حربه مع الزنج ومركزا لبيت المال حيث وفدت اليها جميع الضرائب والاموال واصبحت تجبى اليها من مشارق الدولة ومضاربها ، لتكون مركزا للتموين قريبا من المعركة وحتى يوظف كل شيء في سبيل المعركة وهذه الأمانة التي طبقها في حياته الحربية ولم يرصد لها في خزائنه الخاصة . ولذا نرى ان الأمانة ركيزة بعدة العدى وتعتبر من اهم الامور لدى الحاكم ، ان بها تستقيم صفاته وبدونها تضيق اموره ويزل سلطانه وتسدور الدائرة عليه^(٤) .

٠٨ . الصدق :

فضيلة انسانية لا يدرك معناها ولا يسبر غورها ، ولا يسأم العيش معها ، بل هي نور على نور ، لا يدانيه الا الأمانة ولا يقترب منه الا الوفاء ، فالصدق والأمانة صنوان كحاطة السوار بالمعصم ، وهما توأمان لا يعثر احدهما بدون الآخر . فنجد القرآن الكريم يعطيه مجالا واسعا ويحث عليه لانه الايمان والاسلام والوفاء . يقول عز وجل : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين)^(٥) وقوله تعالى :

- (١) رقم الروايات ٢٠١ ، ٩١ ، ١٩١ .
- (٢) رقم الروايات ١٧١ ، ١٧٢ ، ٣٩١ .
- (٣) اثناء حرب الزنج . الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٨ ص ٧٩ .
- (٤) رقم الروايات ١ ، ٣ ، ٤٨ ، ٥٦ ، ٧٥ ، ٩١ ، ١٩٢ ، ١٨٧ ، ١٧٣ ، ١٧٢ .
- (٥) سورة التوبة آية ١١٩ .

١٠. المفاخرة :

استعملها العرب قديما وحديثا ، ولكنها تجلت في العصر الاموي وازدادت في العصر العباسي وخاصة في مجلس الخلفاء . وهي ذكر الاوصاف والمميزات التي يتمتع بها المفاخر ، ويعد عيوب الطرف الآخر " الخصم " ، ثم يتناول الحديث حتى يحسم القول الخليفة ، وربما يبدو ان ايراد المفاخرة ان لا يتيه عجا لدرجة انكار موقف الآخرين ولا يتعالى عليهم بل يكون مجرد ذكر بعيدا عن الاسفاف بالقول . وما يظهر ان الالفاظ كانت بها جزالة بالقول ومن جوامع الكلم ، كما ان بها الفصاحة ورجاحة العقل ما لا يتجاوز الحد الموصوف ، وبها حذاقة القول ، والتمكن من المفردات ، وبها الدهاء وبعد القول ، الذي يظهر موقف الآخرين .

ومنها رواية التفاخر ما بين خالد بن صفوان المنتصرى وanas من اليمن فيهم ابراهيم بن محرم الكندي في مجلس ابي العباس امير المؤمنين . فانتصر فيها خالد بن صفوان بعد منافسة طويلة وتعداد مناقب كل منهما (١) .

١١. الحلم :

من صفات القيادة والوجاهة والسيادة . وقال الاحنف : آفة الحلم النذل وقال : لا حلم لمن لا سفيه له (٢) .

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم : ماتجرع عبد في الدنيا جرعة أحب الى الله من جرعة غيظ ردها بحلم ، او جرعة مصيبة ردها بصبر (٣) . وقول لقمان الحكيم : ثلاثة لا نعرفهم الا في ثلاثة : لا نعرف الحلم الا عند الغضب (٤) ، وقيل لقيس بن عاصم ما الحلم قال : ان تصل من قطعك ، وتعطي من حرمك ، وتعفو عمن ظلمك (٥) . وقال البعض : ما قرن شيء الى شيء ازين من حلم الى علم ، ومن عفو الى قدره (٦) . وقول الاحنف :

(١) رقم الروايات :

- (٢) ابن عديده : العقد الفريد ج ٢ ص ٢٨٠ .
 (٣) قول الرسول صلى الله عليه وسلم . ابن عديده : العقد الفريد ج ٢ ص ٢٧٦ .
 (٤) المصدر نفسه ص ٢٧٦ .
 (٥) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .
 (٦) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .

ولربما ضحك الحليم من الذي وفؤاده من حره يتأوه
ولربما شكل الحليم لسانه حذر الجواب وانه لنفسه (١)

فالحلم ركن في كيان الشخصية ، واساسية تبني عليها معاملاته وقياداته ،
فاذا فقد هذه الصفة كثر الاعداء وتآلب عليه الاخوان ، وهجره الخاصة قبل العامة .
لانهم اعرف بحاله وادرك لسوءه ، واقرب لقضيته وافهم لقوله ، فهم المنتفعون بعطائه
والآكلون لموائده ، والسامعون لقوله والمخططون لدولته والمنفذون لأوامره . فهم الاعرف
بحاله والا قرب لجوابه .

فالحلم تلعبه بوضوح في معاملة الموفق لخصمه من الاعداء ، فانه يقرهم
ويدنيهم من مجلسه ويشركهم بالقول والرأى وفي تحمل المسؤولية وخاصة للذين اعطاهم
الامان ولحقوا بهجده ، كما انه كان حليما مع يعقوب الصفار الذي هرب بعد انتصار
الموفق عليه ، فعرض الصلح واعطاه ما يريد مع انه شق عصا الطاعة وهجم على بغداد
ليقضي على الخلافة ، الا ان حلم الموفق تجاوز هذه المواقف التي ظهرت من يعقوب الا
انه أقر اخاه بعد موته وخلع عليه الولاية .

فانه لم يترك مجال وفيه حلم الا عمل به ، ولم يقسو على احد الا اذا كان
الحلم لا ينفع مع الذين لا يحفظون العهد ولا يتمون البيعة .

وضرب المؤلف من الاخباريات على الحلم مارسخ به هذه الصفة عند القارىء
والمتلمذ حتى تكون جزءا منه بل خلاصة مهزومة مقروءة واضحة بيّنة لدى
القارىء ويوظفها في حياته ، فلقد كانت هذه الصفة واضحة في سلوكيات الموفق
فلم يتركها بل عمل بها في كل امر من امور دولته وفي كل شأن من شؤونه حياته . (٢)

١٢ العمدل :

ان الاسلام ينظر الى الناس نظرة واحدة ، فهم خلقوا من اصل واحد ،
فأبوهم آدم عليه السلام وامهم حواء ، والله خلق الناس على اختلاف ألوانهم وصورهم
عربا وعجم ، ملوكا ومملوكين ، سادة ومسودين ، وكذلك يحشرهم على الصورة التي

(١) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج ٢ ص ٢٧٦ .

(٢) رقم الروايات ١٤ ، ٥٢ ، ٥٥ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٩٤ ، ١١٠ ، ١٥٨ .

ولدوا فيها يوم القيامة (حفاة عراة)^(١) . فالأسلام يقرر ان الناس سواسية كأسنان المشط والمقياس الذي يتفاضلون فيه هو التقرب من الله والتقوى والتزامهم بأمر الله سبحانه وتعالى . فالعدل واجب على الجميع أن يقيموه سواء حاكمين ومحكومين لكن الحاكمين أولى من غيرهم في اقامته في أمور رعييتهم ، كما انه لا يقصد بالعدل ان يكون المرشح لرئاسة الدولة معصوما في اقواله وافعاله وتصرفاته ، خاليا من كل نقص مبرأ من كل عيب فهذه صفات لا يدركها الا الرسل عليهم الصلاة والسلام الذين اكرمهم الله بالعصمة حيث حفظهم من اقتراف الذنوب والمعاصي . والمقصود بالعدالة ان يكون المرشح للرئاسة ان يقيم حدود الله ويلتزم بالفرائض والاركان ، بعيدا عن الآثام والكبائر ولا يصر على الصفائر . وقال ابن خلدون : (واما العدالة فلأنه منصب ديني ينظر في سائر المناصب التي هي شرط فيها ، فكان أولى باشتراطها فيه ولا خلاف في انتفاء العدالة فيه بفسق الجوارح في ارتكاب المحضورات وامثالها)^(٢) . ولقد أعد الله للذين يحكمون بالعدل بين الناس منزلة عالية ، رفيعة ، يوم القيامة ، لأن العادلين يملأون الارض عدلا ونورا ، ويبددون معالم الظلم بعدلهم ، فالله يكافؤهم على صنيعهم هذا بأن يجلسهم على منابر من نور ومن كانت سيرته بين الناس بالعدل فان الله يؤيده ، ان الله مع القاضي مالم يجر ، فنرى العدالة تقيم الحدود ، وتنصف المظلوم من الظالم ، وتشيع الامن وتذهب الحق من النفوس ، وتقيم جسر الثقة بين الحاكم والمحكوم ، وتبعث البشر بين افراد الرعية ، ولهذا ركز ابن بكار في اخباره عليها ليقوم للحاكم المدرسة التربوية التعليمية المبنية على اصول واحكام واسس تنمي في الحاكم العدالة لأنها ميزان الحكم . وكل حاكم لم يحكم بالعدل بين الرعية وحتى مع نفسه فان ملكه في زوال ، وحالته في انهيار ، واوضاعه في قلق مستمر وهو على ابواب الافلاس . ولقد تحققت العدالة في جميع المجتمعات الاسلامية على اختلاف الاشخاص والعصور مع الاعداء والاصدقاء على حد سواء ، مع الرعية واسرة الحاكم حدا بحد .

فالعدالة تقويم بين الناس ومقياس لا يختلف عليه اثنان وان اكرمكم عند الله اتقاكم وانه اذا ساد هذا المقياس في حياة الناس سعدوا . ولقد قامت التطبيقات الفعلية والشواهد العملية على ذلك في حياة المسلمين مما يؤكده هذا ويدهمه ويؤيده .^(٣)

(١) حديث نبوي : اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان رقم ١٨٧ ص ٨٠٢ .

(٢) ابن خلدون : مقدمته ، ص ١٩٣ .

(٣) رقم الروايات ١١ ، ٢٤ ، ٣٥ ، ٦٢ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ١١٩ ، ١٩١ ، ١٦٨ ، ٣٧٩ ،

هي الاستدلال بالرؤية والملاحظة والحذاقة بالامعان ، وهي كذلك معرفة الشيء دون البواح به ، وهذا من الفراصة في تحسين اللفظ وهو باب عظيم النفع ، اعتنى به الاكابر والعلماء وله شواهد كثيرة في السنة ، وهو من خاصية العقل والفطنة ، حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفاءه من بعده رضي الله عنهم بالثافة وجعلها دليلا من ادلة ثبوت النسب ، وليست الا مجرد الامارات والعلامات . وقد امتدح الله سبحانه وتعالى الفراصة واهلها في مواضع من كتابه العزيز فقال : (ان في ذلك لايات للمتوسمين) ^(١) وهم المتفكرون الآخذون بالسما وهي العلامة . (تفرست فيك كيت وكيت) اي توسمت فيك ، وقال تعالى (ولو نشاء لاربناكم فلعرفتهم بسيماهم) ، وقال تعالى (يحسبهم الجاهل اغنيا من التعفف تعرفهم بسيماهم) وأورد الترمذي مرفوعا (اتقوا فراصة المؤمن فانه ينظر بنور الله) ثم قرأ (ان في ذلك لايات للمتوسمين) . ويبدو ذلك من الثافة استدلال وتوسم وحذاقة وفطنة ، ويروى ان بعض الخلفاء سأل رجلا عن اسمه ؟ فقال : (سعد يا امير المؤمنين فقال أى السعد أنت ؟ قال : سعد السعد لك يا امير المؤمنين وسعد الذبايح لاعدائه ، وسعد ابلع على سباطك ، وسعد الأخبية لاسرارك فأعجبه ذلك ^(٢)) وقدمه في مجلسه وحفظ له هذه الفراصة .

كما ان شريحا وياس القاضيان اختصا بها في القضاء في عصريهما ، وهو الفهم في الواقع والاستدلال بالامارات ، وشواهد الحال ، وهذا الذي فات كثيرا من الحكم فأضاعوا كثيرا من الحقوق .

فهى الحيل التي اباحتها الشريعة وهي تحيل الانسان بفعل مباح على تخلصه من ظلم غيره وانه ، لا الاحتيال لاسقاط فرائض الله واستباحة محارمه ، فهو الاعتماد على شواهد الحال والامارات في عقوبة اهل التهم وجواز الصلح على الشرط وانتقاض العهد اذا خالفوا . لذا نراها تأخذ نصيبا لا بأس به من الروايات لانها موقف خطير ، وصفة اساسية في الحاكم والقاضي لانها توفر عليه الكثير من الامور وتدفع عنه كثيرا من الاخطار وتحفظ الامن .

لذا نرى الموفق تتوفر به هذه الصفة بل حاول ان يتقنها ويعيش بها في حياته العملية وهذا ما ركز عليه المؤلف في كتابه .

(١) سورة الحجر آية : ٥٥ .

(٢) رقم الروايات ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤١٥ ، ٤١٦ ، ٤١٧ ، ٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٢١ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩ ، ٤٤٠ ، ٤٤١ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٤٦ ، ٤٤٧ ، ٤٤٨ ، ٤٤٩ ، ٤٥٠ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩ ، ٤٧٠ ، ٤٧١ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ٤٧٦ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠ ، ٤٨١ ، ٤٨٢ ، ٤٨٣ ، ٤٨٤ ، ٤٨٥ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ٤٩٠ ، ٤٩١ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣ ، ٤٩٤ ، ٤٩٥ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨ ، ٤٩٩ ، ٥٠٠ ، ٥٠١ ، ٥٠٢ ، ٥٠٣ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٥٠٦ ، ٥٠٧ ، ٥٠٨ ، ٥٠٩ ، ٥١٠ ، ٥١١ ، ٥١٢ ، ٥١٣ ، ٥١٤ ، ٥١٥ ، ٥١٦ ، ٥١٧ ، ٥١٨ ، ٥١٩ ، ٥٢٠ ، ٥٢١ ، ٥٢٢ ، ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، ٥٢٥ ، ٥٢٦ ، ٥٢٧ ، ٥٢٨ ، ٥٢٩ ، ٥٣٠ ، ٥٣١ ، ٥٣٢ ، ٥٣٣ ، ٥٣٤ ، ٥٣٥ ، ٥٣٦ ، ٥٣٧ ، ٥٣٨ ، ٥٣٩ ، ٥٤٠ ، ٥٤١ ، ٥٤٢ ، ٥٤٣ ، ٥٤٤ ، ٥٤٥ ، ٥٤٦ ، ٥٤٧ ، ٥٤٨ ، ٥٤٩ ، ٥٥٠ ، ٥٥١ ، ٥٥٢ ، ٥٥٣ ، ٥٥٤ ، ٥٥٥ ، ٥٥٦ ، ٥٥٧ ، ٥٥٨ ، ٥٥٩ ، ٥٦٠ ، ٥٦١ ، ٥٦٢ ، ٥٦٣ ، ٥٦٤ ، ٥٦٥ ، ٥٦٦ ، ٥٦٧ ، ٥٦٨ ، ٥٦٩ ، ٥٧٠ ، ٥٧١ ، ٥٧٢ ، ٥٧٣ ، ٥٧٤ ، ٥٧٥ ، ٥٧٦ ، ٥٧٧ ، ٥٧٨ ، ٥٧٩ ، ٥٨٠ ، ٥٨١ ، ٥٨٢ ، ٥٨٣ ، ٥٨٤ ، ٥٨٥ ، ٥٨٦ ، ٥٨٧ ، ٥٨٨ ، ٥٨٩ ، ٥٩٠ ، ٥٩١ ، ٥٩٢ ، ٥٩٣ ، ٥٩٤ ، ٥٩٥ ، ٥٩٦ ، ٥٩٧ ، ٥٩٨ ، ٥٩٩ ، ٦٠٠ ، ٦٠١ ، ٦٠٢ ، ٦٠٣ ، ٦٠٤ ، ٦٠٥ ، ٦٠٦ ، ٦٠٧ ، ٦٠٨ ، ٦٠٩ ، ٦١٠ ، ٦١١ ، ٦١٢ ، ٦١٣ ، ٦١٤ ، ٦١٥ ، ٦١٦ ، ٦١٧ ، ٦١٨ ، ٦١٩ ، ٦٢٠ ، ٦٢١ ، ٦٢٢ ، ٦٢٣ ، ٦٢٤ ، ٦٢٥ ، ٦٢٦ ، ٦٢٧ ، ٦٢٨ ، ٦٢٩ ، ٦٣٠ ، ٦٣١ ، ٦٣٢ ، ٦٣٣ ، ٦٣٤ ، ٦٣٥ ، ٦٣٦ ، ٦٣٧ ، ٦٣٨ ، ٦٣٩ ، ٦٤٠ ، ٦٤١ ، ٦٤٢ ، ٦٤٣ ، ٦٤٤ ، ٦٤٥ ، ٦٤٦ ، ٦٤٧ ، ٦٤٨ ، ٦٤٩ ، ٦٥٠ ، ٦٥١ ، ٦٥٢ ، ٦٥٣ ، ٦٥٤ ، ٦٥٥ ، ٦٥٦ ، ٦٥٧ ، ٦٥٨ ، ٦٥٩ ، ٦٦٠ ، ٦٦١ ، ٦٦٢ ، ٦٦٣ ، ٦٦٤ ، ٦٦٥ ، ٦٦٦ ، ٦٦٧ ، ٦٦٨ ، ٦٦٩ ، ٦٧٠ ، ٦٧١ ، ٦٧٢ ، ٦٧٣ ، ٦٧٤ ، ٦٧٥ ، ٦٧٦ ، ٦٧٧ ، ٦٧٨ ، ٦٧٩ ، ٦٨٠ ، ٦٨١ ، ٦٨٢ ، ٦٨٣ ، ٦٨٤ ، ٦٨٥ ، ٦٨٦ ، ٦٨٧ ، ٦٨٨ ، ٦٨٩ ، ٦٩٠ ، ٦٩١ ، ٦٩٢ ، ٦٩٣ ، ٦٩٤ ، ٦٩٥ ، ٦٩٦ ، ٦٩٧ ، ٦٩٨ ، ٦٩٩ ، ٧٠٠ ، ٧٠١ ، ٧٠٢ ، ٧٠٣ ، ٧٠٤ ، ٧٠٥ ، ٧٠٦ ، ٧٠٧ ، ٧٠٨ ، ٧٠٩ ، ٧١٠ ، ٧١١ ، ٧١٢ ، ٧١٣ ، ٧١٤ ، ٧١٥ ، ٧١٦ ، ٧١٧ ، ٧١٨ ، ٧١٩ ، ٧٢٠ ، ٧٢١ ، ٧٢٢ ، ٧٢٣ ، ٧٢٤ ، ٧٢٥ ، ٧٢٦ ، ٧٢٧ ، ٧٢٨ ، ٧٢٩ ، ٧٣٠ ، ٧٣١ ، ٧٣٢ ، ٧٣٣ ، ٧٣٤ ، ٧٣٥ ، ٧٣٦ ، ٧٣٧ ، ٧٣٨ ، ٧٣٩ ، ٧٤٠ ، ٧٤١ ، ٧٤٢ ، ٧٤٣ ، ٧٤٤ ، ٧٤٥ ، ٧٤٦ ، ٧٤٧ ، ٧٤٨ ، ٧٤٩ ، ٧٥٠ ، ٧٥١ ، ٧٥٢ ، ٧٥٣ ، ٧٥٤ ، ٧٥٥ ، ٧٥٦ ، ٧٥٧ ، ٧٥٨ ، ٧٥٩ ، ٧٦٠ ، ٧٦١ ، ٧٦٢ ، ٧٦٣ ، ٧٦٤ ، ٧٦٥ ، ٧٦٦ ، ٧٦٧ ، ٧٦٨ ، ٧٦٩ ، ٧٧٠ ، ٧٧١ ، ٧٧٢ ، ٧٧٣ ، ٧٧٤ ، ٧٧٥ ، ٧٧٦ ، ٧٧٧ ، ٧٧٨ ، ٧٧٩ ، ٧٨٠ ، ٧٨١ ، ٧٨٢ ، ٧٨٣ ، ٧٨٤ ، ٧٨٥ ، ٧٨٦ ، ٧٨٧ ، ٧٨٨ ، ٧٨٩ ، ٧٩٠ ، ٧٩١ ، ٧٩٢ ، ٧٩٣ ، ٧٩٤ ، ٧٩٥ ، ٧٩٦ ، ٧٩٧ ، ٧٩٨ ، ٧٩٩ ، ٨٠٠ ، ٨٠١ ، ٨٠٢ ، ٨٠٣ ، ٨٠٤ ، ٨٠٥ ، ٨٠٦ ، ٨٠٧ ، ٨٠٨ ، ٨٠٩ ، ٨١٠ ، ٨١١ ، ٨١٢ ، ٨١٣ ، ٨١٤ ، ٨١٥ ، ٨١٦ ، ٨١٧ ، ٨١٨ ، ٨١٩ ، ٨٢٠ ، ٨٢١ ، ٨٢٢ ، ٨٢٣ ، ٨٢٤ ، ٨٢٥ ، ٨٢٦ ، ٨٢٧ ، ٨٢٨ ، ٨٢٩ ، ٨٣٠ ، ٨٣١ ، ٨٣٢ ، ٨٣٣ ، ٨٣٤ ، ٨٣٥ ، ٨٣٦ ، ٨٣٧ ، ٨٣٨ ، ٨٣٩ ، ٨٤٠ ، ٨٤١ ، ٨٤٢ ، ٨٤٣ ، ٨٤٤ ، ٨٤٥ ، ٨٤٦ ، ٨٤٧ ، ٨٤٨ ، ٨٤٩ ، ٨٥٠ ، ٨٥١ ، ٨٥٢ ، ٨٥٣ ، ٨٥٤ ، ٨٥٥ ، ٨٥٦ ، ٨٥٧ ، ٨٥٨ ، ٨٥٩ ، ٨٦٠ ، ٨٦١ ، ٨٦٢ ، ٨٦٣ ، ٨٦٤ ، ٨٦٥ ، ٨٦٦ ، ٨٦٧ ، ٨٦٨ ، ٨٦٩ ، ٨٧٠ ، ٨٧١ ، ٨٧٢ ، ٨٧٣ ، ٨٧٤ ، ٨٧٥ ، ٨٧٦ ، ٨٧٧ ، ٨٧٨ ، ٨٧٩ ، ٨٨٠ ، ٨٨١ ، ٨٨٢ ، ٨٨٣ ، ٨٨٤ ، ٨٨٥ ، ٨٨٦ ، ٨٨٧ ، ٨٨٨ ، ٨٨٩ ، ٨٩٠ ، ٨٩١ ، ٨٩٢ ، ٨٩٣ ، ٨٩٤ ، ٨٩٥ ، ٨٩٦ ، ٨٩٧ ، ٨٩٨ ، ٨٩٩ ، ٩٠٠ ، ٩٠١ ، ٩٠٢ ، ٩٠٣ ، ٩٠٤ ، ٩٠٥ ، ٩٠٦ ، ٩٠٧ ، ٩٠٨ ، ٩٠٩ ، ٩١٠ ، ٩١١ ، ٩١٢ ، ٩١٣ ، ٩١٤ ، ٩١٥ ، ٩١٦ ، ٩١٧ ، ٩١٨ ، ٩١٩ ، ٩٢٠ ، ٩٢١ ، ٩٢٢ ، ٩٢٣ ، ٩٢٤ ، ٩٢٥ ، ٩٢٦ ، ٩٢٧ ، ٩٢٨ ، ٩٢٩ ، ٩٣٠ ، ٩٣١ ، ٩٣٢ ، ٩٣٣ ، ٩٣٤ ، ٩٣٥ ، ٩٣٦ ، ٩٣٧ ، ٩٣٨ ، ٩٣٩ ، ٩٤٠ ، ٩٤١ ، ٩٤٢ ، ٩٤٣ ، ٩٤٤ ، ٩٤٥ ، ٩٤٦ ، ٩٤٧ ، ٩٤٨ ، ٩٤٩ ، ٩٥٠ ، ٩٥١ ، ٩٥٢ ، ٩٥٣ ، ٩٥٤ ، ٩٥٥ ، ٩٥٦ ، ٩٥٧ ، ٩٥٨ ، ٩٥٩ ، ٩٦٠ ، ٩٦١ ، ٩٦٢ ، ٩٦٣ ، ٩٦٤ ، ٩٦٥ ، ٩٦٦ ، ٩٦٧ ، ٩٦٨ ، ٩٦٩ ، ٩٧٠ ، ٩٧١ ، ٩٧٢ ، ٩٧٣ ، ٩٧٤ ، ٩٧٥ ، ٩٧٦ ، ٩٧٧ ، ٩٧٨ ، ٩٧٩ ، ٩٨٠ ، ٩٨١ ، ٩٨٢ ، ٩٨٣ ، ٩٨٤ ، ٩٨٥ ، ٩٨٦ ، ٩٨٧ ، ٩٨٨ ، ٩٨٩ ، ٩٩٠ ، ٩٩١ ، ٩٩٢ ، ٩٩٣ ، ٩٩٤ ، ٩٩٥ ، ٩٩٦ ، ٩٩٧ ، ٩٩٨ ، ٩٩٩ ، ١٠٠٠ ، ١٠٠١ ، ١٠٠٢ ، ١٠٠٣ ، ١٠٠٤ ، ١٠٠٥ ، ١٠٠٦ ، ١٠٠٧ ، ١٠٠٨ ، ١٠٠٩ ، ١٠١٠ ، ١٠١١ ، ١٠١٢ ، ١٠١٣ ، ١٠١٤ ، ١٠١٥ ، ١٠١٦ ، ١٠١٧ ، ١٠١٨ ، ١٠١٩ ، ١٠٢٠ ، ١٠٢١ ، ١٠٢٢ ، ١٠٢٣ ، ١٠٢٤ ، ١٠٢٥ ، ١٠٢٦ ، ١٠٢٧ ، ١٠٢٨ ، ١٠٢٩ ، ١٠٣٠ ، ١٠٣١ ، ١٠٣٢ ، ١٠٣٣ ، ١٠٣٤ ، ١٠٣٥ ، ١٠٣٦ ، ١٠٣٧ ، ١٠٣٨ ، ١٠٣٩ ، ١٠٤٠ ، ١٠٤١ ، ١٠٤٢ ، ١٠٤٣ ، ١٠٤٤ ، ١٠٤٥ ، ١٠٤٦ ، ١٠٤٧ ، ١٠٤٨ ، ١٠٤٩ ، ١٠٥٠ ، ١٠٥١ ، ١٠٥٢ ، ١٠٥٣ ، ١٠٥٤ ، ١٠٥٥ ، ١٠٥٦ ، ١٠٥٧ ، ١٠٥٨ ، ١٠٥٩ ، ١٠٦٠ ، ١٠٦١ ، ١٠٦٢ ، ١٠٦٣ ، ١٠٦٤ ، ١٠٦٥ ، ١٠٦٦ ، ١٠٦٧ ، ١٠٦٨ ، ١٠٦٩ ، ١٠٧٠ ، ١٠٧١ ، ١٠٧٢ ، ١٠٧٣ ، ١٠٧٤ ، ١٠٧٥ ، ١٠٧٦ ، ١٠٧٧ ، ١٠٧٨ ، ١٠٧٩ ، ١٠٨٠ ، ١٠٨١ ، ١٠٨٢ ، ١٠٨٣ ، ١٠٨٤ ، ١٠٨٥ ، ١٠٨٦ ، ١٠٨٧ ، ١٠٨٨ ، ١٠٨٩ ، ١٠٩٠ ، ١٠٩١ ، ١٠٩٢ ، ١٠٩٣ ، ١٠٩٤ ، ١٠٩٥ ، ١٠٩٦ ، ١٠٩٧ ، ١٠٩٨ ، ١٠٩٩ ، ١١٠٠ ، ١١٠١ ، ١١٠٢ ، ١١٠٣ ، ١١٠٤ ، ١١٠٥ ، ١١٠٦ ، ١١٠٧ ، ١١٠٨ ، ١١٠٩ ، ١١١٠ ، ١١١١ ، ١١١٢ ، ١١١٣ ، ١١١٤ ، ١١١٥ ، ١١١٦ ، ١١١٧ ، ١١١٨ ، ١١١٩ ، ١١٢٠ ، ١١٢١ ، ١١٢٢ ، ١١٢٣ ، ١١٢٤ ، ١١٢٥ ، ١١٢٦ ، ١١٢٧ ، ١١٢٨ ، ١١٢٩ ، ١١٣٠ ، ١١٣١ ، ١١٣٢ ، ١١٣٣ ، ١١٣٤ ، ١١٣٥ ، ١١٣٦ ، ١١٣٧ ، ١١٣٨ ، ١١٣٩ ، ١١٤٠ ، ١١٤١ ، ١١٤٢ ، ١١٤٣ ، ١١٤٤ ، ١١٤٥ ، ١١٤٦ ، ١١٤٧ ، ١١٤٨ ، ١١٤٩ ، ١١٥٠ ، ١١٥١ ، ١١٥٢ ، ١١٥٣ ، ١١٥٤ ، ١١٥٥ ، ١١٥٦ ، ١١٥٧ ، ١١٥٨ ، ١١٥٩ ، ١١٦٠ ، ١١٦١ ، ١١٦٢ ، ١١٦٣ ، ١١٦٤ ، ١١٦٥ ، ١١٦٦ ، ١١٦٧ ، ١١٦٨ ، ١١٦٩ ، ١١٧٠ ، ١١٧١ ، ١١٧٢ ، ١١٧٣ ، ١١٧٤ ، ١١٧٥ ، ١١٧٦ ، ١١٧٧ ، ١١٧٨ ، ١١٧٩ ، ١١٨٠ ، ١١٨١ ، ١١٨٢ ، ١١٨٣ ، ١١٨٤ ، ١١٨٥ ، ١١٨٦ ، ١١٨٧ ، ١١٨٨ ، ١١٨٩ ، ١١٩٠ ، ١١٩١ ، ١١٩٢ ، ١١٩٣ ، ١١٩٤ ، ١١٩٥ ، ١١٩٦ ، ١١٩٧ ، ١١٩٨ ، ١١٩٩ ، ١٢٠٠ ، ١٢٠١ ، ١٢٠٢ ، ١٢٠٣ ، ١٢٠٤ ، ١٢٠٥ ، ١٢٠٦ ، ١٢٠٧ ، ١٢٠٨ ، ١٢٠٩ ، ١٢١٠ ، ١٢١١ ، ١٢١٢ ، ١٢١٣ ، ١٢١٤ ، ١٢١٥ ، ١٢١٦ ، ١٢١٧ ، ١٢١٨ ، ١٢١٩ ، ١٢٢٠ ، ١٢٢١ ، ١٢٢٢ ، ١٢٢٣ ، ١٢٢٤ ، ١٢٢٥ ، ١٢٢٦ ، ١٢٢٧ ، ١٢٢٨ ، ١٢٢٩ ، ١٢٣٠ ، ١٢٣١ ، ١٢٣٢ ، ١٢٣٣ ، ١٢٣٤ ، ١٢٣٥ ، ١٢٣٦ ، ١٢٣٧ ، ١٢٣٨ ، ١٢٣٩ ، ١٢٤٠ ، ١٢٤١ ، ١٢٤٢ ، ١٢٤٣ ، ١٢٤٤ ، ١٢٤٥ ، ١٢٤٦ ، ١٢٤٧ ، ١٢٤٨ ، ١٢٤٩ ، ١٢٥٠ ، ١٢٥١ ، ١٢٥٢ ، ١٢٥٣ ، ١٢٥٤ ، ١٢٥٥ ، ١٢٥٦ ، ١٢٥٧ ، ١٢٥٨ ، ١٢٥٩ ، ١٢٦٠ ، ١٢٦١ ، ١٢٦٢ ، ١٢٦٣ ، ١٢٦٤ ، ١٢٦٥ ، ١٢٦٦ ، ١٢٦٧ ، ١٢٦٨ ، ١٢٦٩ ، ١٢٧٠ ، ١٢٧١ ، ١٢٧٢ ، ١٢٧٣ ، ١٢٧٤ ، ١٢٧٥ ، ١٢٧٦ ، ١٢٧٧ ، ١٢٧٨ ، ١٢٧٩ ، ١٢٨٠ ، ١٢٨١ ، ١٢٨٢ ، ١٢٨٣ ، ١٢٨٤ ، ١٢٨٥ ، ١٢٨٦ ، ١٢٨٧ ، ١٢٨٨ ، ١٢٨٩ ، ١٢٩٠ ، ١٢٩١ ، ١٢٩٢ ، ١٢٩٣ ، ١٢٩٤ ، ١٢٩٥ ، ١٢٩٦ ، ١٢٩٧ ، ١٢٩٨ ، ١٢٩٩ ، ١٣٠٠ ، ١٣٠١ ، ١٣٠٢ ، ١٣٠٣ ، ١٣٠٤ ، ١٣٠٥ ، ١٣٠٦ ، ١٣٠٧ ، ١٣٠٨ ، ١٣٠٩ ، ١٣١٠ ، ١٣١١ ، ١٣١٢ ، ١٣١٣ ، ١٣١٤ ، ١٣١٥ ، ١٣١٦ ، ١٣١٧ ، ١٣١٨ ، ١٣١٩ ، ١٣٢٠ ، ١٣٢١ ، ١٣٢٢ ، ١٣٢٣ ، ١٣٢٤ ، ١٣٢٥ ، ١٣٢٦ ، ١٣٢٧ ، ١٣٢٨ ، ١٣٢٩ ، ١٣٣٠ ، ١٣٣١ ، ١٣٣٢ ، ١٣٣٣ ، ١٣٣٤ ، ١٣٣٥ ، ١٣٣٦ ، ١٣٣٧ ، ١٣٣٨ ، ١٣٣٩ ، ١٣٤٠ ، ١٣٤١ ، ١٣٤٢ ، ١٣٤٣ ، ١٣٤٤ ، ١٣٤٥ ، ١٣٤٦ ، ١٣٤٧ ، ١٣٤٨ ، ١٣٤٩ ، ١٣٥٠ ، ١٣٥١ ، ١٣٥٢ ، ١٣٥٣ ، ١٣٥٤ ، ١٣٥٥ ، ١٣٥٦ ، ١٣٥٧ ، ١٣٥٨ ، ١٣٥٩ ، ١٣٦٠ ، ١٣٦١ ، ١٣٦٢ ، ١٣٦٣ ، ١٣٦٤ ، ١٣٦٥ ، ١٣٦٦ ، ١٣٦٧ ، ١٣٦٨ ، ١٣٦٩ ، ١٣٧٠ ، ١٣٧١ ، ١٣٧٢ ، ١٣٧٣ ، ١٣٧٤ ، ١٣٧٥ ، ١٣٧٦ ، ١٣٧٧ ، ١٣٧٨ ، ١٣٧٩ ، ١٣٨٠ ، ١٣٨١ ، ١٣٨٢ ، ١٣٨٣ ، ١٣٨٤ ، ١٣٨٥ ، ١٣٨٦ ، ١٣٨٧ ، ١٣٨٨ ، ١٣٨٩ ، ١٣٩٠ ، ١٣٩١ ، ١٣٩٢ ، ١٣٩٣ ، ١٣٩٤ ، ١٣٩٥ ، ١٣٩٦ ، ١٣٩٧ ، ١٣٩٨ ، ١٣٩٩ ، ١٤٠٠ ، ١٤٠١ ، ١٤٠٢ ، ١٤٠٣ ، ١٤٠٤ ، ١٤٠٥ ، ١٤٠٦ ، ١٤٠٧ ، ١٤٠٨ ، ١٤٠٩ ، ١٤١٠ ، ١٤١١ ، ١٤١٢ ، ١٤١٣ ، ١٤١٤ ، ١٤١٥ ، ١٤١٦ ، ١٤١٧ ، ١٤١٨ ، ١٤١٩ ، ١٤٢٠ ، ١٤٢١ ، ١٤٢٢ ، ١٤٢٣ ، ١٤٢٤ ، ١٤٢٥ ، ١٤٢٦ ، ١٤٢٧ ، ١٤٢٨ ، ١٤٢٩ ، ١٤٣٠ ، ١٤٣١ ، ١٤٣٢ ، ١٤٣٣ ، ١٤٣٤ ، ١٤٣٥ ، ١٤٣٦ ، ١٤٣٧ ، ١٤٣٨ ، ١٤٣٩ ، ١٤٤٠ ، ١٤٤١ ، ١٤٤٢ ، ١٤٤٣ ، ١٤٤٤ ، ١٤٤٥ ، ١٤٤٦ ، ١٤٤٧ ، ١٤٤٨ ، ١٤٤٩ ، ١٤٥٠ ، ١٤٥١ ، ١٤٥٢ ، ١٤٥٣ ، ١٤٥٤ ، ١٤٥٥ ، ١٤٥٦ ، ١٤٥٧ ، ١٤٥٨ ، ١٤٥٩ ، ١٤٦٠ ، ١٤٦١ ، ١٤٦٢ ، ١٤٦٣ ، ١٤٦٤ ، ١٤٦٥ ، ١٤٦٦ ، ١٤٦٧ ، ١٤٦٨ ، ١٤٦٩ ، ١٤٧٠ ، ١٤٧١ ، ١٤٧٢ ، ١٤٧٣ ، ١٤٧٤ ، ١٤٧٥ ، ١٤٧٦ ، ١٤٧٧ ، ١٤٧٨ ، ١٤٧٩ ، ١٤٨٠ ، ١٤٨١ ، ١٤٨٢ ، ١٤٨٣ ، ١٤٨٤ ، ١٤٨٥ ، ١٤٨٦ ، ١٤٨٧ ، ١٤٨٨ ، ١٤٨٩ ، ١٤٩٠ ، ١٤٩١ ، ١٤٩٢ ، ١٤٩٣ ، ١٤٩٤ ، ١٤٩٥ ، ١٤٩٦ ، ١٤٩٧ ، ١٤٩٨ ، ١٤٩٩ ، ١٥٠٠ ، ١٥٠١ ، ١٥٠٢ ، ١٥٠٣ ، ١٥٠٤ ، ١٥٠٥ ، ١٥٠٦ ، ١٥٠٧ ، ١٥٠٨ ، ١٥٠٩ ، ١٥١٠ ، ١٥١١ ، ١٥١٢ ، ١٥١٣ ، ١٥١٤ ، ١٥١٥ ، ١٥١٦ ، ١٥١٧ ، ١٥١٨ ، ١٥١٩ ، ١٥٢٠ ، ١٥٢١ ، ١٥٢٢ ، ١

هو التجاوز عن أخطاء الآخرين والنظر اليهم بالعين المدركة للاخطاء المتعاقبة عن الرد عليها . لذا نرى التسامح صفة بل ركيزة من الركائز التي تساعد في بناء السيادة والسلطة ، لأن التسامح يجمع القلوب ولا يفرقها بل يزيد لها تعلقا بصاحب الأمر ، كما انها احد الوسائل التي تفقد المتشككين انصارهم عندما يظهر التسامح والعفو نحوهم من قبل صاحب السلطة ، بل هو محور الملك وقطب الرحى في اشاعة الهدوء والسكينة في ربوع الملك والدولة .

لذا نرى في هذا الكتاب ان صاحبه لم يهمل هذه الصفة بل اعطاها نصيبا ، ليفرس اسس التسامح والعفو ، ويظهره بالمظهر اللائق ويصوغ عليه صفة تجعل من يعارسه سوءا ولا على مستوى المسوءولية وما يسند اليه من المسوءوليات الجسام وخاصة اذا كان حاكما او سلطانا . فلا يستبعد ان يشق عليه الناس عصا الطاعة ، ويخرجون على السلطة ، فاذا فقدوا التسامح والعفو فانهم يستمرون في الخروج على السلطة ، وليس هناك من وسيلة امام الحاكم الا تجنيد الجيوش وحشدها الواحد تلو الآخر ، لكن بالتسامح والعفو يمكن ان يصلح الامور لأن التسامح يبعث في نفوس المنشقين الرجاء والامل بالعفو . وبهذه الوسيلة يعمل التسامح والعفو عمل جيوش ويوفر الاموال ويحقق الدماء ويدمل الاحقاد . فلا عجب والحالة هذه ان يكون التسامح والعفو رمز وصفة الحاكم لأن به تقوى الدولة ويقل الخارجون عليها وبها يطمع المشاغبون بالعودة الى الصف وتقديم الولاء والطاعة ويشاركون في البناء من جديد . وقال المنصور لولده (المهدي) لا تهزم امرا حتى تفكر فيه ، فان فكرة العاقل مرآة ترميه حسناته وسيئاته ، واعلم ان الخليفة لا تصلحه الا التقوى ، والسلطان لا تصلحه الا الطاعة ، والرعية لا يصلحها الا العدل ، وأولى الناس بالعفو اقدرهم على العقوبة ، وانقص الناس عقلا من ظلم من هو دونه . (١)

وعلى ضوء ما تقدم تبدو اهمية التسامح والعفو بالقضاء على الشغب وتقوية الصف وحشد الطاقات التي هي عماد قوة السلطة واظهارها بمظهر القوة لتهدو للآخرين مظاهر القوة والأنفة في السلطان والمسوءول . (٢)

(١) ابن عبد ربه : العقد الفريد ج ١ ص ٤٠ - ٤١ .

(٢) رقم الروايات ١٥٢ ، ١٥٩ ، ١٧٩ ، ٣٠٢ ، ٣٢٧ .

١٥ الارتجاج :

وهو حبس الكلام او الحصر وليس المعنى ، فان من ارتج عليه فكان من الخطيب الناس واقدروهم على الحديث ولكن الذي يبدو ان هول المعارضة للآخرين وخاصة اذا لم يكن مستعدا للكلام او ان الظرف لم يكن مهيئا . وربما حصل الارتجاج اما لصعوبة المعارضة وخاصة اذا كان في الحضور من هم بمستوى المتحدث او اكثر منه خطابة او مركزا وربما العكس ، فهذا عثمان بن عفان ارتج عليه ^(١) وهذا ثابت بن قنينة وقف على المنبر فارتج عليه فنزل فقال بعد النزول :

وان لا اكن فيكم خطيبا فانني بسيفي اذا جدّ الوغي لخطيب
فقل له لو قلت هذا على المنبر قبل ان تنزل عنه كنت اخطب الناس ^(٢) .

ويبدو واضحا من الدها الذي عمله زياد عندما كان كاتباً لعبد الله بن عامر أمير البصرة فشكى اليه الخطباء شدتها فرتب زياد الامر وطلب من سيد تعيم ليخطب بالناس ويقيم الصلاة فصعد المنبر فارتج عليه ثم سيد الازد وهكذا ثم طلب من الأمير ان يقيم الصلاة فتبسم فضله ابن عامر على من سبقه واصبح هذا الموقف لصالح الأمير وفضح الآخرين .

وأراد المؤلف ان يروض نفس تلميذه على المواقف ويعد له الاعداد الكامل ليكون دائما مستعدا لكل حادث يحدث لمواجهته وهو على استعداد . كما انه لا يهزأ بمن وقف وحبس عليه الكلام فهناك مشاهير الرجال بالفصاحة والخطابة حصر عليهم الكلام وهذه صفة يجب ان ينبه اليها ولا يلام عليها اذا حصل الحصر او الحبس على الرجال من الكلام ، وهذه سنة الله في خلقه .

(١) الزبير بن بكار : الاخبار الموفقيات ص ٢٠١ ، ٢٠٢ رقم ١١٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٠٢ رقم ١١٧ .

ثابت بن قنينة : شاعر اموي وخطيب مصقاع فارتج عليه .

الفصل الثاني

الهيكل التاريخي لحياة الموفق

صفحة	
٤٣ - ٤٤	حياة الامير الموفق (٢٢٩ - ٢٧٨ هـ)
٤٤ - ٤٨	حصار بغداد
٤٨ - ٥٢	حبس الموفق ونفيه
٥٢ -	حياته العملية

الأمير الموفق (٢٢٩ - ٢٧٨ هـ)

(١) هو محمد وقيل طلحة بن جعفر بن محمد المعتصم العباسي ولد بسامرا في قصر الخلافة ودرج في احضانها وعاش عيشة الملوك فلم يعرف الفقر ولم يكاهد القهر بل درج في ظل ابيه المتوكل^(٢) على الله ورعاه واحسن تربيته فطلب له المهرين والعلماء^(٣) وانقطعوا لتربيته وعاصراه شايها بلغ الثامنة عشر من عمره وتجرع مرارة الفراق بهقتل والده^(٤) وكونت هذه الحادثة اثرا ذا معنى في نفسه وازدادت حساسة مع الابهام والاحداث التي اتسمت بالجراة والتناول على الخلفاء^(٥) فلم يملك اى شيء يدفع هذا الضرر او يحدث امرا ذا اثر .

عاصرا زمان نفوذ الاتراك الذين اصبحوا مصدر قلق واضطراب ، فهم يكرهون الفرس والعرب ، وهم ليسوا على وفاق مع بعض ولا ينقطعون عن الدسائس والمؤامرات حتى على انفسهم^(٦) ونتيجة لهذا التصرف السيء من الاتراك حاول المتوكل نقل حاضرة الخلافة الى دمشق .^(٧)

- (١) محمد بن جعفر بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن المهدي بن جعفر المنصور بن محمد بن علي العباسي ، ويقال طلحة بن المتوكل . انظر : الطبري : تاريخ الامم والملوك ، ج ٧ ص ٣٩٠ .
البيهقي : تاريخ بغداد ج ٢ ص ١٢٧ .
ابن كثير ولد سنة ٢٢٩ : البداية والنهاية ج ١١ ص ٦٣ ،
التنوخي : المعاصرة ج ١ ص ١٤١ .
- (٢) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٧ ص ٣٩٢ .
- (٣) الزبير بن بكار : الاخبار العرفية ،
كازورني : مختصر التاريخ ص ١٦١ .
- ابو الحسن احمد بن محمد كيسان الموفق في النحو : انظر انباء الرواه ج ٢ ص ١٦١ .
- (٤) المسعودي : مروج الذهب ج ٤ ص ٦٩ - ٧٠ ،
الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٧ ص ٣٩٠ ،
بخيرة البعثة ج ١ ص ١٨ .
- (٥) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١١ ص ٦٣ .
- (٦) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٧ ص ٤٢٣ .
- (٧) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٧ ص ٣٨٠ ،
ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٧ ص ٢٧ .

استمر التدخل في سير الأحداث فنصبوا المنتصر الذي أراد أن يحسن من واقع الشعب ويحوي عليه ما فقد من الأمن والراحة^(١) إلا أنهم لم يسمحوا له بتحقيق الرفاهية لشعبه فثاروا عليه وقتلوه^(٢) ثم اكملوا اللعبة بتنصيب المستعين فزادوا من نفوذهم وسيطرتهم زيادة ملحوظة^(٣) مما دفعه لمغادرة سامرا إلى بغداد ولحق به جماعة من القواد والأتراك وطلبوا منه العودة فرد عليهم : " انكم أهل بغني وفساد وعدد النعم التي أجزلها عليكم فعادوا إلى سامرا ونادوا بالمعتز خليفة عليهم وبدأت الفتنة ما بين الأسرة وانصار كل من الخليفين^(٤) .

حصار بغداد :

وقد أخذت أورا واشكالا متعددة فنرى محمد بن عبد الله بن طاهر يشحن بغداد بالمقاتلة ويقم التحصينات والاستعدادات البشرية إلى جانب إحاطتها بالماء حيث كسر القناطر - وأنهى الماء - ليقطع الطريق على بغداد تنحرفا من الأتراك^(٥) وأقام سورين وحفر الخنادق حول السورين^(٦) وأقام مظلات^(٧) وشحنها بالآلات^(٨) مما يهز المشاهد ويهيج القاري من شدة الموقف واكتهار به . وجرت مكاتبات ما بين محمد بن طاهر وبين المعتز واستمرت المراسلات وكل منهما يدعو الآخر للدخول بطاعته^(٩) إلا أنها لم تجد اذنا صافية فتعصب كل لمطلبه فلم يبق إلا القتال وكان الحصار الأشهر .

- (١) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٧ ص ٤٠٠ .
- (٢) قتل بعد ست أشهر من توليه الخلافة .
- (٣) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٧ ص ٤١٣ - ٤١٥ .
- (٤) سنة ٢٥١ هـ . انظر : ج ٧ ص ٤١٧ .
- (٥) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٧ ص ٤٣٧ .
- (٦) المستعين والمعتز .
- (٧) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٧ ص ٤٤٤ .
- (٨) المصدر نفسه ، ص ٤٤٣ .
- (٩) باختصار كيف هذا مما يهز كما يقول الطبري (٣٣٠٠٠٠) ج ٧ ص ٤٤٣ .
- (١٠) آلة حرب تدافع عن سور المدينة .
- (١١) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٧ ص ٤٤٣ .
- (١٢) المصدر نفسه ، ص ٤٤٤ .

وبدأ كل منهما يرسل الولاة ويدعوهم الى مناصرتة ^(١) . فاضطربت البلاد وعمت
الغوضى وضاعت الدماء . ^(٢)

أخذت الامور تزداد سوءاً فعقد المعتز لواء الحرب لأخيه الموفق أبي احمد
ابن المتوكل وجعل اليه النهي والامر وجعل التدبير الى كلباتكين ^(٣) . سار أبو احمد
وعسكر بمكبراه ^(٤) . فاستغل الأعراب وسكان المناطق سوء الأحوال فنهبوا وسلبوا الا
ان أبا احمد تقدم بهجيشه صوب بغداد فبدأت سرايا طلائع خصمه تهرب الى
دار السلام ^(٥) . ومما زاد الامر سوءاً ان عسكر أبو احمد علي باب الشماسية مستعداً
لحصار طويل وفيه قال الشاعر الملقب بهاذنجان :

يا بني طاهر أتتكم جنود الله والعوت بهنهم منشور
وجيوش امامهم أبو احمد نعم العولس ونعم النصير ^(٦)

وكما يبدو ، أخذ طابع الحرب اشكالا متعددة فنرى محمد بن عبد الله بن طاهر
يتناور ويظهر عضلات عساكره ليهرب الأتراك ^(٧) لعلمهم برجمون او بالتحقق
بالستعين ، الا أن الامر لم يكن كما أراد . ثبت المعاصرون رغم شدة الهجوم
واستمراره الا أن عامل الزمن أخذ يسير بفكر صالحهم ، اذ اوقعوا انفسهم في كمين
اختاروه ^(٨) كما يبدو . فلم يكن لهم مصدر امداد ولا قوة تدافع عنهم . حيث أخذ
الهلج يدخل النفوس كما ان المراسلات . تم تبادلها ما بين الطرفين رغم ما لحق
بالأتراك من خسائر الا ان توجيه العصار كان به نوعاً من الكياسة كما يبدو من خلال
الاحداث .

- (١) كتب كل منهما الى موسى بن هبة المقيم بأطراف دمشق .
- (٢) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٢ ص ٤٤٤ .
- (٣) أخذ الأتراك بطاردون من شاء حسب العزاج حيث هرب اسد حسن داود
فطلبه الأتراك الى الموصل .
- (٤) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٢ ص ٤٤٥ .
- (٥) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .
- (٦) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .
- (٧) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .
- (٨) المصدر نفسه ، ص ٤٤٦ - ٤٤٧ .
- (٩) المصدر نفسه ، ص ٤٤٩ .

ورغم ما قام به المستعين واتباعه من اصدار كتاب قري* على اهل بغداد بالجامع (١) ، اخذت الاحداث تشتد على الطرفين وبدأت علامات الخوف تبدو على النفوس وشاهد ذلك قول ابي جعفر محمد بن عبد الله بن طاهر : " ان كنت تريد ان تجارى هؤلاء* القوم فالرأى لك ان لاتفارق قوادك ولا تفرقهم واجمعهم حتى تفنى هذا العسكر المقيم بازائك فانك اذا فرغت من هؤلاء* فما اقدرك على من ورائك* " فرد عليه " ان لي تدبيراً وبقي الله ان شاء* " (٢) . وكان المستعين ببغداد يرقب الاحداث ويحصد النتائج اولا بأول . والمعتز يتلوى بسامراً ويتطرق اليه الشك فكتب الى اخيه ابي احمد يلومه للتقصير في قتال اهل بغداد يقول :

لأمر العنايا علينا طرهبـ	وللدهر فيه اتساع وضيق
فأماننا عـبر للأنـام	فمنها النكور ومنها الطروق
ومنها هنات تشيب الوليد	ويخذل فيها الصديق الصدوق
وسور هربى لـه ذروة	تفوت الميرون وحر عبيق
قتال مهيد وسيف عنيد	وخوف شديد وحسن وشيق
وطول صباح لوامي الصباح السـ	صلاح السلاح فما يستشيق
فهذا قتيل وهذا جريح	وهذا حريق وهذا فريق
هناك اغتصاب وثم انتهاب	ودور خراب وكانت تروق
اذا ما سـرونا الى مسـلك	وجدناه قد سدّ عنا الطريق
فما لله تـبلغ ما ترتجـه	وبالله ندفع ما لا نظـيق (٣)

فأجابه محمد بن عبد الله اوقيل على لسانه :

الا كلّ من زاغ عن امـره	وحاز به عن هداه الطريق
ملاقى من الامر ما قد وصفت	وهذا بماثال هذا خليق
ولا سـيـبـا ناكـت بهـمـه	وتوكيدها فيه عهد وشيق
أما ناهـمـه خـبر سـائر	رواه لنا من خلوق وخلوق
وهذا الكتاب لنا شـاهد	بصدقه ذا النبي الصدوق (٤)

(١) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٧ ص ٤٥٠ - ٤٥٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٤٦٦ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٤٦٧ .

(٤) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .

بدأت المؤشرات تتجه نحو المعتز إذ لحق به من بغداد جماعة من الكتاب وبني هاشم^(١) والقواد^(٢) ومن بقي من بني هاشم تجمعوا بقرب دار ابن طاهر ونادوا : الجوع اكل منهم واموالهم توزع على غيرهم وهددوا بفتح الابواب ودخول الاتراك^(٣) ، الا انهم ردوا واشتدت اللقاءات وتعددت حتى انهزم المعاصرون فردهم ابو احمد قائلا : انهم ان لم يكرؤا لم يبق لهم بقية وان القوم يتبعونهم الى سامرا فتراجعوا وثاب بعضهم^(٤) يدفع خصمه . ويبدو ان العرب وضعت اوزارها وبدأت تتجه نحو المفاوضات والمراسلات لحقن الدماء وتوحيد الصف فنرى ابن طاهر يجتمع بالخاصة ويطلعهم الامر دون علم العامة الذي لحق بهم الجوع ، واشتد الحصار فلم يبق لديه حيلة ولا شيء يدفع به الا القليل من الطعام والسلاح^(٥) فأرسل ابن طاهر بالصلح الى المعتز واضطرب امر بغداد وجرت المراسلات لاقرار شروط الصلح ما بين ابن طاهر وابو احمد^(٦) . فأخرج ابن طاهر كل من سجن بسبب ابي احمد بن المتوكل نتيجة للحرب ومعاونته الياء^(٧) . واشتد حالة العامة سوءا ولحق بهم الجوع حتى انهم ثاروا وقتلوا سجن النساء الا ان ابا احمد ارسل اليهم السفن محملة بالدقيق وفرج كربتهم^(٨) وبدأت السحب تنفث وتتحول الى سحب ماطر بالخير والصلح .

ثم تتابعت الاحداث معلنة الفصل الاخير من القتال ، ان ارسل ابن طاهر جمهرة من قواده واعيانهم الى ابي احمد لاعطاء الهدنة للمعتز فخلع على كل واحد منهم وقرا كتاب الامان باسم المعتز وابي احمد لأهل بغداد . واستقرت الامور ووضعت الحرب اوزارها^(٩) الا ان الامور اخذت شكلها متعددة انتهت بخلع المستعين في محرم

(١) بني هاشم علي ومحمد ابنا الواثق ومحمد بن هارون بن عيسى بن جعفر .

(٢) القواد مزاحم بن خاقان .

الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٧ ص ٤٧٦ .

(٣) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٤٨٢ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٤٨٣ .

(٦) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .

(٧) يبدو انه كان يوجد في داخل بغداد جيش آخر يحارب لصالح ابي احمد بن

المتوكل فمهد هذا الطريق واوهم نفوس اهل بغداد .

الطبري : تاريخ الامم والملوك ، ج ٧ ص ٤٨٤ .

(٨) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .

(٩) المصدر نفسه ، ص ٤٨٥ .

سنة ٢٥٢ هـ وهيئة للمعتز^(١) . وعاد ابو احمد لتوه من الصلح الى سامرا فخلص عليه المعتز وقرسه اليه^(٢) .

لم تنعم الدولة العباسية بالهدوء والاستقرار بعد ان انفرد المعتز بالخلافة بل اختل توازنها من جراء ازدياد نفوذ الاثراك واستشراء الخلاف فيها بينهم .

فهذا وصف وبها يقيمان في بغداد وبهركان الامور سامرا حيث اجتمع الاثراك على المعتز فسألوه امرهما وهما مقيمان في بغداد فقالوا : هما كهيرانا ورئيسنا^(٣) حتى ان ابا احمد ابن المتوكل ادرك الامر فطلب من المعتز الرضا عنهم^(٤) واجبر الاثراك المعتز بردهما الى رتبتهما بالقصر ففعل ذلك^(٥) فلم يسكن للخليفة حيلة الا مراعاة جانبهم حينئذ وتدبير الحيل والدسائس حينئذ آخر للتخلص منهم .

وبعد هذا عاد ابو احمد الى سامرا حيث كان الحبس بانتظاره واخوه المويد وربما كان من وراء ذلك الاثراك لانهم لا يريدون ان تكون هناك شخصيات عباسية قوية وربما ظهر ذلك في حصار المستعين وهو في بغداد^(٦) .

بدأت حياة ابي احمد تسوء وهو في السجن ثم قتل اخوه المويد بعد دخوله السجن وسلم لأمه اسحاق^(٧) " اخو الموفق من امه وابيه " .

بقي الموفق بالسجن ولكن بعض الاثراك ارادوا اخراجه لأنسبهم به بالحرب

(١) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٧ ص ٤٩٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٤٩٨ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٤٩٩ .

(٤) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .

(٥) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .

(٦) بروي ان عامل ارمينيا ارسل خمسة الاف درهم للمويد ليصلح حاله فسمع الاثراك

فاعلموا المعتز فحبسه واخاه ابا احمد .

الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٧ ص ٥٠٤ .

(٧) حيث اشهد الفقهاء والعلماء ورجال الدولة وبني هاشم بعد موته .

الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٧ ص ٥٠٥ .

التي كانت . الا ان المعتز تنكر للجميل وابقاه في السجن حتى نفاه الى واسط سنة ٢٥٣هـ (١) ولم يكتف بذلك بل ابعد مكانه الى البصرة (٢) ثم رد الى بغداد بعد ان وقعت العزيمة بالبصرة .

ويبدو من ابقاءه بالسجن ثم نفيه الى واسط فالبصرة ثم بغداد ، يبدو انه كان ضغطا من الاتراك لانهم يعرفون جيدا من هو الموفق ، وربما ان المعتز اراد ابعاده لتعلق العامة به وكذلك بعض الاتراك الذين بدأ عليهم طابع الملل والكراهة من الدسائس التي يكيدونها وخوفهم من بعضهم البعض وخاصة بعد ما اشتهر الموفق بحصار بغداد ونجاحه بذلك ، وحسن معاملته لأهل بغداد وتزويدهم بالطعام اثناء الحصار وعدم سفك دماهم والانتقام منهم بعد ما تسلم بغداد وتنازل المستعين . ويظهر هذا عندما عزل المعتز وتسلم الخلافة المهتدي ان ورد خبر ذلك الى بغداد والموفق بها (٣) فبعث سليمان بن عبد الله بن طاهر صاحب شرطة بغداد فأحضره من داره . وسمع من بهنخدا من الجنود والخوفا بأمر المعتز وابسن الواشي فاجتمعوا الى باب سليمان فردوا ثم عادوا يوما آخر وبعدها هتفوا بهيعة ابي احمد وسألوه ان يرهم ابا احمد بن العتوكل فآظمه لهم ووعدهم بالمحافظة فانصرفوا (٤) . الا انه بقي في بغداد فأخذ المهتدي بقره بالرأى الا انه لم يسمح منه فأشار عليه كما يروي البلوي في سيرة ابن طولون : هذا المهتدي اشترت عليه ان لا يسهر فسي سيرة ابيه واعلمته ان الزمان الذي نسير بما اوجبه ما اجرى اليه من سوء التدبير بما يكون فيه المشقة المجحفة فظن اني قد فششته ثم اطلب وقال (ان ما اردت وقصدت الطعن على تدبيره ورأيه وقد علم الله جل اسمه اني قد نصحته فضرب بهنسي وبين الناس وعمل في امري ما شاهدوه ، ونفاني من حضرته وركب خطأه وسوء تدبيره فلم يزل يركض فيه حتى قتل اقبح قتله فشمت به عدوه واغتم به وليه ، وفهم نفسه لاستبداده برأيه وان كان كل ما يجري فمن الله سبحانه جل اسمه (٥) .

(١) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٧ ص ٥١٧ ، ٥٢٨ .

(٢) المصدر نفسه ، والصفحات نفسها .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٥٢٨ .

(٤) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .

(٥) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .

البلوي : سيرة ابن طولون ص ٣٦٠ - ٣٦١ .

(١) بدأت آمال العامة تزداد تعلقتا بأبي احمد الموفق بعد حصار بغداد وتسلم الامر للمعتز ان برزت مواقف فذة من الموفق مما الح على العامة ان تعطيه ثقتها . ويبدو هذا من سماحه لأهل بغداد من النزول لاسواق جيشه^(٢) واخذهم حاجاتهم التموينية بعدما اشتد الجوع ونفذت مواد الغذاء وحفظ له هذا الموقف رغم قساوة الامور مع انهم خصه الا انه اعتبر كل هذا جزءا من الواجب بحسب ان يقدمه اليهم .

كما انهم شغبوا على سليمان بن عبدالله بن طاهر وشتموه وطالبوه باخراج ابي احمد الموفق^(٣) من السجن ونادوا به خليفة عليهم ، حيث كوفى الموفق من اخيه المعتز بعد عودته الى سامرا بالسجن والنفي حتى استقر به الامر في بغداد تحت اشراف سليمان بن طاهر^(٤) . واستمر موقف العامة من تأييدهم وثقتهم لأبي احمد حتى زمن المهتدي^(٥) الذي نفاه الى بغداد ايضا . مما دفع العامة للقيام باعمال الحقت الضرر باملاك بغداد وكلفت الدولة الكثير واجبروا سليمان بن طاهر على اخراج الموفق واشرافه عليهم^(٦) كما هتفوا باسمه خليفة .

ويبدو ان هذه الاحداث والمشاغبات التي قامت ببغداد جعلت الخليفة المهتدي ورجال دولته يفكرون بالامر من جديد ويدرسون ابعاد الخطورة كما تهددولهم فلم يجدوا حلا الا ابعاد من بغداد خاصة والعراق عامة حيث يستقر هناك بعيدا عن معارضة وآماله وطموحه . فلننظر الى اى حد لحق به الظلم والضرر نتيجة لمسا قدمه لأخيه من قبل ثم لأبن عمه الخليفة ان نصحه كيف يسوس الامور^(٧) فلم يأخذ بهما

(١) الطبري : تاريخ الام والملوك ج ٧ ص ٤٩٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٤٩٨ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٤٩١ .

(٤) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .

(٥) الطبري : تاريخ الام والملوك ج ٧ ص ٥٢٥ .

ابن كثير : البداية والنهاية ج ١١ ص ١٨ .

(٦) الطبري : تاريخ الام والملوك ج ٧ ص ٥٢٨ .

ابن كثير : البداية والنهاية ج ١١ ص ١٨ .

(٧) الطبري : تاريخ الام والملوك

البلوي : سيرة احمد بن طولون .

فنفاه الى مكة مع بعض ابناء عموته وزوج ابنة المتوكل (ام اخيه المعتز قهبحه) (١)
ويبدو ان امر الشغب والتمرد اخذ طابعاً جديداً في تنمية الشخصية الذاتية للعامة
والغواة في بغداد فنراه في رمضان من نفس السنة يشغبون على محمد بن اوس
ومن تبعه من الشاكبة والجند وقابلوهم بالنبال والرمح والسباط وعددهم مئة الف
شاغب (٢) تغلبوا على محمد بن اوس ومن معه واجبروه على مغادرة بغداد سراً
دون علم العامة التي نهبت ما وجدوه من اموال ومناج كما قطعت الطرقات وسيطرت
على الامور في بغداد رداً على سوء تصرف محمد بن اوس (٣).

الا ان الاحداث اخذت مساراً جديداً ، ان شعر العامة انهم اقل شأناً من
الأتراك الذين عبثوا بالامور وشكلوا الاحداث بأنفسهم من عزل الخليفة وتنصيب من
احبوا ورفضوا مما دفع بالعامة هذه المرة لمواجهة الأتراك مع المغاربة الذين اصطدموا
معهم والحقوا بهم ملحمة عظيمة وازاحوهم عن الجوسق وأدبوهم على سبيل
تصرفهم لقتلهم وخلصهم كل يوم خليفة وصفعهم وزبرا وحبسهم وسادرة اموالهم (٤).

لم يستسلم الأتراك لهذه الملحمة وكسر شوكتهم فندبوا جماعتهم وافرادهم
وهجموا على المغاربة الا انهم لم يستطيعوا كسر شوكتهم رغم ماحققوه من قتل زعمي
المغاربة بناءً على دسيسة بن غزون (٥) رغم ماكبسه الأتراك في لقاء النار مع المغاربة
الا انها حجمت قوتهم في بغداد ، او على الأقل اشعرتهم انه بالامكان وجود قوة
تقف امامهم ان وجد التعاون والتكاتف ووحدة الهدف لدى اى جماعة تريد ان تحقق
العزة والكرامة لنفسها اذا صدقت مع نفسها اولا ونظرت بمنظار الصلحة العامة
وابتعدت عن الانانية .

تزامنت الاحداث وتوالت في هذا العهد ، الذي اتسم بالفوضى والارباك ،

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١١ ص ١٨٠

الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٧ ص ٥٢٨

(٢) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٧ ص ٥٢٨

(٣) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٥١٠ .

(٥) محمد بن راشد ، نصر بن رشيد .

الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٧ ص ٥١٠

والموفق بهذا ملغيا بظل الحرمين بجالس اساتذة (١) بمكة وبمعاصر اصفاه وبسدرس
عن قرب كتاب الاخبار الموفقيات . تعلمه صغيرا وشاهده عاليا وهو كبير . ويبدو انه
شعر بالراحة النفسية بنفيه الى مكة مما خفف عليه ظلم الاقرباء ونكران الجميل من
اخيه وابن عمه الخليفين (٢) .

حياته السياسية

لم يدم هدوءه النسبي في مكة ودراسته العلم على استاذة واخذ العلم
عن الآخرين ، ان الاتراك الذين طبعوا هذا العصر باسمهم دفعهم الى قتل
المهتدى وبهاية احمد بن المتوكل الذي لقب بالمعتمد . زال عامل النفي وجاءت
هذه المرة من الاتراك انفسهم ونتيجة للتنافس الشديد والتحاسد ما بين الاتراك
طلبوا من المعتمد ان يتولى امر الجيش احد اخوة امير المؤمنين ولا يرأسه احد منهم
فولى المعتمد اخاه موفق طلحة بن المتوكل (٣) اميرا على الجيش والولاية طرقت
مكة والحرمين سنة ٢٥٧ هـ (٤) ثم بغداد واليمن والبصرة وفارس ثم عهد له في نفس
السنة على ماوراء النهر (٥) وما جاورها استعمله على المشرق وولده على المغرب (٦) .
فكان السلطان الفعلي لابي احمد موفق وليس للخليفة ، وصارت كلته على الاتراك
وقوادهم هي الكلمة العليا .

ويبدو ان الاور تحسنت بعض الشيء وسارت نحو موفق حيث عقد له
المعتمد اللواء وسلمه حرب الزنج (٧) فارسل منصورا على رأس جيش ، انهم
وغسر جنده (٨) الا ان موفق تبع اثره بجيش آخر الى نهر معقل (٩) واخذ يتسلم

- (١) الزبير بن بكار : الاخبار الموفقيات ص ١٦ .
- (٢) الخليفة المعتز والخليفة المهتدى .
- (٣) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٧ ص ٥٩٨ .
- المستشرق الهولندي بوجينا فياه ص ٢٧٨ .
- (٤) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٧ ص ٥٩٨ - ٥٩٩ .
- (٥) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٢٧ .
- (٦) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٧ ص ٦٠٠ .
- (٧) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٨ .
- (٨) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٧ ص ٥٤٣ .
- (٩) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٦ .
- الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٧ ص ٥٤٧ .
- (٩) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٨ .

كافة المسؤوليات الادارية شيئاً فشيئاً حتى أصبح خلد يفة نظراً لتحصره بالامور وتصريفه امور الدولة فقبض به اخيه المعتمد وحجر عليه حتى لم يملك شيئاً يسطيه لئلا ياتيه ولا يعرف ما يجري من امور الجيش والادارة .

فالموفق يرسل الجيوش ويتابع سير الاحداث ويعين الكتاب والوزراء ويتفقد امور الرعية ويجلس للمظالم^(١) وكل هذه الامور من مهمات الخليفة حتى ان بعض المؤرخين يقول الخليفة طلحة بن المتوكل^(٢) .

ويقول بوجينا غيايه : كان ابو احمد الموفق رجلاً صاحب عزيمة ساهبة تخيلية للخليفة والسلطان وعلى يده تمت حوادث جسام في عهد المعتمد .^(٣)

شعرت الدولة انها أصبحت بيد قوية بعد ما قبل الاتراك قيادة الموفق لهم فهو صاحب الامر والنهي . ويبدو انه المقدم في كل شيء فهو الذي يميز الوزراء ويعينهم . فهذا الوزير عبيد الله بن يحيى بن خاقان كان ملماً باحوال الرعية وضابطاً للاموال مات سنة ٢٦٣ هـ^(٤) ثم عين الحسن بن مخلد بن الجراح . كان احد كتاب الدنيا^(٥) وقيل ان له دفترًا صغيراً لا يفارقه يقرأ به بحيث لو سئل عن اي شيء اجاب عنه من غير توقف ولا نظر في كتاب . وقيل انه من رجال الدنياه حزماً وضبطاً وكفاية وقد سماه الموفق " ذا الازارتين " لخدمته الكبرة^(٦) الا ان خوفه من موسى بن بغا لم يجعله يخدم طويلاً فهرب الى بغداد وجاءه بعده سليمان بن وهب الذي كان وزيراً للمهتدي ونقل سليمان من بغداد الى سامرا سنة ٢٦٣ هـ ، الا ان الموفق قبض عليه وابنه عبيد الله وصاد رضيعهما وصالحهما بعد ذلك على سبع مائة الف دينار^(٨) .

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١١ ص ١٨ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) بوجينا غيايه : مستشرق هولندي : تاريخ الدولة الاسلامية وتشريعها ص ٢٧٨ .

(٤) المسعودي : التنبيه والاشراف ص ٣٢٠ .

ابن طهطا : ص ٢٥٢ .

(٥) ابن طهطا ، ص ٣٧٩ .

التنوخى : نشوار المحاضر ص ٢٤٢ .

(٦) المسعودي : التنبيه والاشراف ص ٣٢٠ .

(٧) احد قواد الاتراك ومن المسيطرين على الامور وابوه بغا المعروف .

(٨) مؤلف مجهول : كتاب الحيين ص ٣٨ .

المسعودي : التنبيه والاشراف ص ٣٢٠ .

ثم اعيد الى الوزارة الحسن بن مخلد فلم يرض به ابو احمد الموفق فترك الوزارة ^(١) وعاد ابو احمد سليمان بن وهب الى الوزارة ثانية ^(٢) ثم غضب عليه فصادر راءه واله .

ابو الصفر اسماعيل بن بلبل : هو عربي من بني شيبان وجمع له السيف والكتابة ، وكان عظيم شجاعا ، وكان يسمى الوزير الشكور الا انه لم يكف من النهب والسلب حتى وصل ذلك اثاره ^(٣) وعزل الا انه اعيد للوزارة ثانية .

هذه حال الوزارة وما الامارة والولاية بأحسن حال ، بل كانت اكثر ظلما وجورا وتعسفا نتيجة لازدحام نفوذ الاتراك في مستهل القرن الثالث الهجري ، فعين الخلفاء ولاية منهم الا انهم يوترون البقاء في بغداد وسامرا ولم يذهبوا الى امصارهم ويشرفون عليها ويعملون على تحسين اوضاعها ، بل كانوا يرسلون من ينوب عنهم حكاما ^(٤) ويدعون لهم بعد الخليفة في صلاة الجمعة والاعباد ، ومن اثر هذه السياسة عند بعض النواب والولاة الى استغلال واختصاص دماء واموال الرعية واموال الخلافة عامة ، وكان هذا استغلالا لضعف الخلافة المركزية ، مهد الى الاستقلال وشبه الاستقلال في الامصار البعيدة ^(٥) .

فاستغل احمد بن طولون هذه النهاية حتى ركز اموره ثم استغل الاحداث واعلن استقلاله ولم تجزو السلطة على منزله رغم ما قامت به من محاولات لم تنجح ^(٦) . وهذا حذوه الصغار . وكان يقضي على الخلافة لولا الموت عاجله .

وكذلك السامانيون في الشرق والعلويون في طبرستان والديلم الى غير ذلك من الدول المستقلة وشبه المستقلة .

(١) السعدي : التنبيه والاشراف ص ٣٢٠ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) مؤلف مجهول : العيون ص ٢٨ .

(٤) ارسل احمد بن طولون نائبا . انظر : الطبري تاريخ الأمم والملوك ج ٥ - ص ٧٧

(٥) الهلوي : سيرة احمد بن طولون .

(٦) مصر ، تونس ، فارس ، سجستان ، الديلم وغيرها من الاقطار الاخرى .

(٦) عين الموفق موسى بن هبة الا انه لم يذهب وتهاطا في السير حتى شغب عليه جنده في بلاد الشام ثم رجع .

الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٧ ص

نعم المجتمع البغدادي بالهدوء والدعة فترة من الوقت الا انه دفع ذلك من راحته وقوته وتراجع الامن وشل حبله بحجي* الا تراك الذين لعبوا دورا بعيد الأثر شديد الوطأة في الحياة السياسية والاجتماعية ويعود ذلك لنمط حياتهم الشبيه بالهداوة فأكسبهم قوة البدن وخشونة في الطبع - البعيدة عن الحضارة^(١) فلم ينتفع المجتمع الاسلامي منهم كما انتفع من قبل بالفرس ، ورغم انهم قدموا قوة عسكرية في بداية الأمر استغلت زمن المعتمصم وكان ذلك قبل اشتداد كشوكتهم واكتسابهم الخبرة في المؤسسات السياسية والعسكرية ، فانقلبوا اداة هدم وضياح اهدرت هيبة الخلافة في نفوسهم ، فانعكس ذلك في الاطراف البعيدة عن مركز الخلافة وحتى مشارف بغداد^(٢) فظهرت قوى تتحدى الدولة وتطالب بالاستقلال^(٣) وشكلت الند للخليفة ان لم يزد . فزار الأمر سوءا في الاحوال وتكاثر الرقيق الابيض والاسود وازدحت بهم قصور الخلفاء والامراء والعظماء . ولم يحقر المجتمع البغدادي هذا الصنف من السكان بل ساواه بغيره ولم يمتنه او يزدريه ، ويؤيد هذا ان كثيرا من الخلفاء كانت امهاتهم من هذا الصنف ، وفتحت الاسواق له في سمرقند وفي سامراء في القرن الثالث الهجري^(٤) .

وعلى رغم ما كان يجري في ذلك المجتمع فلقد ظهر في ذلك في حياة الخلفاء ومن يلون بهم من العلماء والادباء ، فكانت قصورهم اشبه ما تكون بمدن كبيرة لا تساعها ، فتظم الدور الواسعة والقاعات ذات القباب والاروقة المزدانة ببعض الفن المعماري والبساتين التي تتوسطها هذه القصور ومكوناتها^(٥) . واهتم غيرهم من الادباء واصحاب الحضوة ، فكثرت العمارات في بغداد ثم انتقل هذا الى سامراء ذات المبانى الكثيرة والفارسة والتي تجلت بهننا المتوكل لقصره المعروف بالعروس ، انفق عليه ثلاثين الف درهم زيادة على الجعفرى عشرة الاف فأبدع الشعراء في ذلك الوصف والاطراء فتعددت القصور والمبانى وظهر البذخ رغم المصائب المرافقة التي بدأت تحل بجسم

(١) كما قال الجاحظ .

(٢) يعقوب بن الليث الصغار .

(٣) احمد بن طولون ، السامانيون ، العلويين . . . الخ .

(٤) متر : الحضارة الاسلامية ج ٢ ص ٢٦٨ ، ٢٧٠ .

(٥) ذكر ياقوت ان ابا جعفر المنصور زار عمه عيسى بن علي فاستقبله

وحاشيته البالغة اربعة الاف بقصره فلم يجد بأسا في ذلك .

معجم البلدان : ج ٧ ص ١٠٧ .

الدولة سواءً ببغداد وسامرا وأطرافهما ، إلا أن الموفق لم يذكر أنه شغل نفسه بالبناء والترف على الرغم من سيطرته على الأموال والمؤسسات المالية والعسكرية والسياسية وقد قيل أنه كان يطلق عليه الخليفة طلحة بل كان يسهر على تنشيط الدولة وتحسين فعاليتها رغم ما تنوء به من ائثال بشرية وسيطرة تركية إلا أنه كان شغوقا بالملابس ، وقد يكون ذلك أمرا طبيعيا في ذلك العصر ، ربما يعود ذلك لمركزه الاجتماعي ومباشرة الأمور الإدارية والعسكرية وجلسه لديوان المظالم .

إلا أن هذه القصور لم تكن عناصر صامة بل كان يجري بين أروقتها وردهاتها الغناء والموسيقى والمجالس التي تضم الأدباء والعلماء والشعراء ، وقيل أن المتوكل جمع في مجلسه بين الأدباء والشعراء والندماء .^(٢)

كما أن الخليفة المعتمد كان شغوقا بالطرب والغناء ومجالسة الظرفاء وهو قد هذا السعودي بقوله : أنه دخل عليه يوما جماعة من ندمائه ، فسأل عبد الله بن خرداذبه عن نشأة الموسيقى والغناء ، وما طرأ عليها ، فأجاب في وصف حالتها في البلاد الإسلامية ، فسر المعتمد وخلع على ابن خرداذبه ومن حضره من ندمائه .^(٣)

فهذا تم والموفق على رأس السلطة ، والذي يبدو أنه لم يشارك في مثل هذه المجالس ولم يضيع وقته بل اشغله بالاشراف على أمور رعيته وتحجيم النفوذ التركي ومجالسة الأدباء والعلماء والفقهاء والنظر في أمور دولته ، ويشاركهم في أحوالهم ، يقول صاحب الوافي بالوفيات " . . . كان من أجل الملوك رأيا واشجعهم قلبا ، واسمحهم نفسا واغزهم عقلا واجودهم رأيا " .^(٤) فلم يواقع الفحش ، كما أنه عاش وقته مشغولا لبه قبل نهاره في تصريف الأمور والسهر على رتق الفتق لانصراف الخليفة إلى شؤون نفسه وملذاته . نتج عن هذا انتشار الفوضى وكثرة الخارجيين على السلطة فهناك ابن طولون وعلى مقربة منه في فلسطين عيسى بن الشيخ والتي الرملة

(١) قيل أنه استحسن نوعا من اللباس فسأله : كم يوجد من

هذا النوع فقيل ست الاف ثوب .

انظر :

(٢) السعودي : مروج الذهب ج ٤ ص ١٥٧ .

(٣) المصدر نفسه ص ١٦٢ .

(٤) الصفدي : الوافي بالوفيات ج ٢ ص ٢٦٤ .

الذي بسط نفوذه على فلسطين حتى دمشق فنزع المال وقطع الطريق حتى صادر
اموال مصر المرسلة للخلافة (١) .

اضف الى ذلك تناحر العلويين والجعفرين وما تبعه من سوء الاوضاع وغلاء
السعر بها حتى انتشر ذلك في الحجاز والعراق والشام والموصل والجزيرة ، وكان
الناس في البلاد التي تحت حكم الخليفة جميعها في شدة عظيمة زيادة على مصيبة
تحكم الاتراك بالنفوذ والسيطرة على الموارد مما ادى الى فقدان الامن وقلة
المراقبة على الامن وحفظه وسلب الاموال وتهديرها ويعود ذلك لانشغال الموفق بحرب
الزنج (٢) .

وفي اثناء ذلك وقبله نشطت العامة في بغداد في مراحل مختلفة من عام
٢٥٥ هـ وتحركت صوب امير بغداد لاجراج الموفق ابي احمد ، وكذلك العامة
وقفت الى جانب المهتدى الا انها لم تحميه ثم تولت على النصارى عام ٢٧١ هـ
وغيرها الدهر ونادت بشأن عهدون بن مخلد (٣) .

وكذلك عام ٢٧٢ هـ ثارت العامة بسبب الغلاء وارتفاع الاسعار وقلة الغلة
بسبب الحروب وفقدان الامن ثم تجلت ذلك في عام ٢٧٢ الموفق يحضر للموت
فاستغلت ذلك وهجم الاعراب على بغداد والعراق الا انهم ردوا على اعقابهم وكل
ذلك والموفق مشغول بالحرب او مريضا او مسافرا بغزوة للجبل او المناطق الاخرى (٤) .

ونتيجة لهذا تراجع الازدهار الاقتصادي الذي تجلى بتقليص النشاط التجارى
والاعتماد المتزايد على الزراعة ذات الدخل المحدود .

(١) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٥ ص ٣٣٤ - ٣٣٥ .

(٢) لقد جمعت الاموال الخاصة وخاصة بعض امهات الخلفاء مثل ام الخليفة

المعتز قبيلة التي وجد في خزائنها الف الف وثلاثمائة دينار .

ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٣٤٤ .

(٣) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٤ ص ٤٦ .

المنتظم ، ج ٥ ص ٨١ - ٨٢ .

الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٨ ص ١٥٢ .

(٤) المسعودي : مروج الذهب ج ٢ ص ٢٩٢ - ٢٩٣ .

تخلفت الزراعة نفسها ، بل انها اهلكت لدرجة عدم الاستغلال لسوء
الاضاع الامنية وفقدان المسؤولين عن امن تلك الديار وخاصة في حرب الزنج التي
قامت في اخصب البقاع واكثرها نماء وعطاء حتى ان الانهار التي تمتد الارض
غار الماء منها وانكسرت سدودها ، وساح ماؤها وغرست تربتها فلم تعد صالحة
للاستعمال ولا للعطاء .

وتبعاً لما تقدم فقد اختل النظام النقدي وعت الفوضى النقدية ما ابرز
فجوة واسعة وفروقا شاسعة في الدخل ما بين العامة صاحبة الدخل البسيط هل
النادرة الدخل والتي بدأت تعتمد على التكسب غير المشروع كالعيارين والشرطة
واصحاب الحكايات المضحكة والشغوفة الى جانب اصحاب الدخل الخاصة والامراء
والوزراء والكتاب ، اضافة الى فئة الاتراك اصحاب السلطة والجاه .

ولقد تردت الحياة ببغداد وعت سوء الاحوال الصحية نتيجة لنقص
بالغذاء وحصره في ايدى قليلة ، اما لكثرة الجائعة فلا غلال الا القليل القليل
فبدأت المجاعات وانتشرت الوباء زيادة على سوء الاحوال الداخلية .

وهذا ترك اثرا بعيدا غوره على المجتمع البغدادي الذي بدأ بشكل
نفسه رغم القساوة والمرارة التي يعيش بها وبدأت حياته تميل الى نوع من الهدوء
المستعروض ذلك على ما يبدو زمن المعتضد ابن الامير الموفق احمد .

لقد كان الامر من سير الاحداث القتالية متمما للحياة التي يعيشها
الموفق فتجده ارسل رسالة لصاحب الزنج يدعو الى التوبة والانابة الى الله
متراجعا عما ارتكب من سفك الدماء وانتهاك المحارم وخراب البلدان والامصار
واستحلال الاعراض والاموال ويعلمه ان التوبة مبسطة والامان له موجود ، فان هو
نزع عما هو عليه من الامور ، الا ان صاحب الزنج لم يتراجع عما هو فيه ^(١) ففرد
على ابي احمد بالاغترار مما هو عليه .

ان هذا الكتاب يوضح مدى الاستهتار والحق الاذى وتردى الحياة
الداخلية وفقدان الامن وتسبب الاموال ، مما الحق بالغ الضرر بحالة الناس
المعاشية وخاصة منطقة الحرب حتى لحق بغداد الاذى والفتك وبقيت البلدان
فتأخرت المسيرة الى جيش ابي احمد فسأل السبب فقبل ان الجسر الذي كان
او القنطرة بين سوق الاهواز ورام هرمز (قنطرة اريك) فامتنع التجار عن حمل
الميرة ، لانقطاع القنطرة ، فأسرع ابو احمد ومن كان في عسكرة الى ذلك المكان
وحمل الحجارة وسد النفق واصلح الضرر من يومه ثم امر التجار بالاجتهار .

وبذل لهم الاموال الرغبية فلم يرم حتى اصلحت فردت الى حالها
فسلكها الناس وبدأت قوافل التجارة وحسنت الاحوال وانتعش الناس ، ثم
تجول بالاهواز فترة حتى اصلح الاحوال ونصب الجسور فاستقامت الحياة العامة ،
وارسل الكتب الى الاقطار ليثبتوا في الديوان من يرغب بذلك فلم يمر زمنا حتى
بدأت طلائع المتطوعة والميرة تزد الى معسكره بالموفقية فنصت الانهار وجميع
فروع النهر بالمراكب والسفريات فاصبحت المدينة الجديدة عاصمة عسكرية الى جانب
انها مركز ردف للتجار والناس بالمنطقة فكثرت بها التجار والمتجرون كذلك وعمسرت
بالحياة بعد خراب استمر اكثر من عشر سنوات . ^(٢)

وضربت الدراهم والدنانير واقام بها بيت المال وبني المسجد فجمعت
المرافق العامة والخاصة حتى ان سكانها لا يفقدون شيئا مما يوجد في الامصار
العظيمة وحسنت احوالهم ورغب الناس جميعا في الذهاب اليها والبقاء فيها وكانت
نقطة الانطلاق على مركز صاحب الزنج فيها بعد .

(١) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٨ ص ٢٤٤

المصدر نفسه ، ج ٧ ص ٢١٠

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٩٠

استطاع العوفي ان يعزل اخاه المعتمد عن السوءولية لنشاطه وعمـرت كل مجالات الدولة حتى ان اهل الذمة من النصارى نالوا حظوة عدا الامير الموفق فهذا صاعد بن مخلد تقلد الوزارة ونال مكانة بالدولة والى جانبه اخاه عيـدون الذى بقي على نصرانيته فلم يزل به ، بل احترم بالدولة ولدى السلطة كما يبدو . وفي سنة ٢٦٥ هـ وجد الراهب الحبيب سيب الحكيم في بغداد فترجم مرسـوم في برمسـاس براءة صك امتياز في العربية على جلد ثور وهذا اتفاق ما بين النبي محمد صلى الله عليه وسلم والبلهاريت اهل نجران قصة قديمة . وهـذه الوثيقة لانـلك تصديقها ولا تكذيبها الا بعد وقوع النص الاصيل وتوثيقه ودراسته .^(١)

فان الوزراء لعبوا دورا في السياسة كاهنا مخلد فتحسنت حالة المسيحيين عند المعتمد ويعود ذلك لتسامح العوفي ونظرته المعقولة للامور وعدم تعصبه بل اخذ الامور باليساطة والعقل ولعصب عيـدون واسرته دورا بالاحداث وخاصة في انتخاب اسقف المسيحيين . كما انه كان نفعة على اسرته وخاصة اخاه صاعد بن مخلد كما يبدو من كلامه وامضى حياته راهبا حتى سنة ٣١٠ هـ / ٩٢٠ م ، بسبب مطالته بالتركة للمتوفين وكان ذلك ملحوظا بهـوان المبراث زمن المعتمد والذى بقي حتى الغاء المعتضد فيما بعد .

ويبدو ان هناك كان صراعات بين الوزارة كما هو الحال بين الاتراك ، خاصة اسرة آل مخلد وآل وهب المتعاطفان مع اليمين لصلتهم بهم وضد اسماعيل بن بلبل الشيباني والذى يميل الى الربيعة ضد اليمينيين .

(١) ترجمة نصوصه اخذت من مكتبة الاباء الدونميكان - بيروت .

ولاية العهد :

عاش الموفق صغيرا وكبيرا في ادراج وسدنان الخلافة وما بها من مواقف ايجابية وسلبية اميرا صغيرا يرضع العلم على مربية الزهير بن بكار ثم يافعا في كنف والده المتوكل حتى تجرع مرارة قتل والده وعاش بنفسه بهذه الحادثة الالهية على يأخذ شيئا من هذا التأثير بدأ يمارس الاعمال العسكرية ويظهر نبوغه ذلك بان في حصار بغداد وفتحها لصالح اخاه المعتز الخليفة وتنقل به الحال من مكرم تخلع عليه الملاحس والنباشين ثم تتقدم الاحوال الى منفيا بعيدا عن مسقط رأسه ثم سجنيا في مكة الا انها كانت مدرسة اعز بها الموفق لما حصل عليها من تجارب وامعان بالتفكير تحت اشراف استاذ الزهير ابن بكار . ومن النفي الى اعلى مراتب المسؤولية قائدا عاما لجيش الخلافة التي وضعت حدا للثورات التي كادت تقوض دعائمها وتغير مجريات الامور وربما تحدث انقلابا جذريا بضياح بني العباس . اقر الامن ونشر السلام وحجم الثورات ونتيجة لذلك انتشر اسمه وتردد على جميع اللسان حتى وصل به الامر ان عين ولها للعهد بعد ابن الخليفة المعتمد وكان ذلك بعد القضاء على ثورة الزنج عام ٢٢٠ هـ .

شارك الموفق بكل مرفق من مؤسسات الدولة مرورا بالنواحي الادارية والتعليمية الى جانب القوات العسكرية التي اوجد لها حلا جذريا بنقل مسؤوليتها لشخصه وابعاد الا تراك عن التعيين والتصرف بالامور بل اوقفها وغر سارها من التدمير الى البناء فنشر الامن واقر الامور وانعكس ذلك على واقع البلاد ان قضى على المتمردين وحسن طرق المواصلات واعاد الاطمئنان لنفوس الامة كما انه قوى ثقة العامة بالدولة ورعى الحركة التعليمية والثقافية سواء على صعيد المجالس الدينية او المناظرات والمشاركة فيها .

اعاد الموفق للسلطة هيبتها لدى المنشقين والطامعين حيث اشعرهم ان السلطة تستطيع ان تحاسب المنشق مهما بعد او قرب على حد سواء . ويتجلى ذلك في اشاعة الود ما بينه وبين اسرة احمد بن طولون قطفت ثمارها فيها بعد في عهد ولده المعتضد - زواجه من قطر الندى بنت خماوريه - .

كل هذه الامور كانت برعاية الامير الموفق الناصر لدين الله رغم ما اصابه في اواخر عمره بمرض النقرش الذي اسكنه الفراش، الا انه استمر يمارس مسؤولياته وهو مرفوع بعرش يحمله اربعون غلاما في نوبة مستمرة طوال اليوم مما جعله يشعر بالحرج . ويقول

(اني اقل قدرا من اى واحد منكم) وتنش ان يكون احدهم يأكل ويأيس ويعمل كما هم
يعملون مقابل نعمة الصحة والعافية . ولكن هيهات هيهات والتنش بعهد عن التحقيق
ان ان العافية لا تشتري بل توهب من الله .

داهمه الموت وهو بحالة مرضية شاقة عام ٢٧٨ هـ في آخر عهد من حياته
العملية وهو عائد من الجبال الشرقية فلبى نداً به وهو يتابع دور السوولية والحكم .
فلم يخلد للدعة والراحة والسر والغناء كما كانت تعيش بفقدان بحياة بعض عليه القوم
كما انه لم يشارك اخاه المعتد بملذاته وشهواته ولكن جل وقته كان جنداً عاماً لا
يوصل كل الليل بالنهار . وقبل ان كل من جاء بعده من الخلفاء كان من نسله ونسرى
انه عهد الطريق وهياً الظروف لمن يأتي بعده ليقطف ثمر الجهد الذى قدمه الا ان تلك
الشجرة قطفها ولده احمد الملقب بالمعتضد وهكذا كانت نهاية هذا الامير الموفق بالله
الناصر لدينه ولي عهد امير المؤمنين .

*

الفصل الثالث

الثورات الداخلية

تمهيد

١. ثورة الزنج

مقدمة

- أ - صاحب الزنج
- ب - قدوم صاحب الزنج
- ج - دور الموفق
- د - فتح المختارة
- هـ - دور لؤلؤ
- و - نهاية صاحب الزنج

٢. ثورة الصفار

- أ - ظهور الخوارج في سجستان
- ب - تلاعب السلطة امام الاحداث
- ج - دهاة يعقوب
- د - موقف السلطة
- هـ - دور الموفق بن المتوكل

١. المراحل الاولى للقتال

٢. تحجيم قوة يعقوب

٣. الثورات العلوية قبل ثورة الحسن بن زيد

- أ - ثورة يحيى بن عمر بن يحيى
- ب - ثورة علي بن زيد العلوي
- ج - ثورة الحسن بن زيد

توسعات

٤. ثورة مساور بن عبد الحميد الخارجي الشاري

الثورات

تمهيد :

للثورات في التاريخ جذور عميقة، بدأت مع تناسل بني آدم واستمرت، واختلفت بالعدد والكيفية، وتشكلت بألوان وصفات، وغيّرت نظم، وأحدثت مواقف جديدة .

فلم يكن تاريخ الاسلام منفصلا او معزولا عن هذه الاحداث التي تحيط به، بل هو جزء منها . لذا نراه يعج بالثورات والحركات المتعددة والمختلفة في اكثر من ناحية حتى ان الاسلام نفسه، كان ثورة على واقع قريش .

أخذت الثورات تتوالى في المجتمع الاسلامي شرقا وغربا . الا أن هذه الثورات لم تكن ذات طابع او صيغة واحدة، بل اختلفت حسب اهدافها كما تنوعت دوافعها، تبعها للاشخاص والبيئات . فنراها مرة، ثورة دينية^(١) واخرى قومية^(٢) - كالتي قامت في فارس وما وراء النهر^(٣) - وثالثا ذات صيغة اجتماعية، هذا الى جانب ثورات اخرى سوا سبقتها اولحت فيما بعد .

ولا نكون قد اهتمدنا كثيرا عن الحقيقة اذا قلنا ان بعض هذه الحركات لم تتل العناية الكافية في الدراسة او البحث .

وفي دراستنا هذه ندرس موقفا لعدد من الثورات الداخلية التي كانت عهد الموفق بالله . حيث كان لهذه الثورات اثر بعيد في تشكيل تاريخ هذه الحقبة، ويمكن أن نقول انها كانت سلسلة لاهبة من الثورات التي هلت بها بلدان الخلافة واقطارها الفريسية وخاصة البعيدة عنها .

(١) كثورات الخوارج والشيعة، وهي عنيفة ومتعددة ملأت التاريخ وصفحات الكتب عددا وافكارا . مثل الخوارج بفرقهم الكثيرة : الأزارقة، الاباضية، الصفارية، النجدات، التوابين، المختار بن عبيد الثقفي، الامامية، الاسماعيلية .

انظر كتاب محمود البشبيشي : الفرق الاسلامية ص ٢٠-٤٠ يتحدث عن الفرق جميعها .

(٢) ثورة المقتنع والراوندية . الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ١ ص

(٣) ما بين النهرين هماسرداريا، واموريا - يصبان في بحر اورال وهي بلاد

الترك . انظر العطار : الاطللس التاريخي ص ٢٤، ٢٦ .

وهذه الدراسة قد تلقي بعض الضوء على حالة المجتمع العباسي آنذاك فكل من ثورة الزنج والصفار العلوي^(١) كانت أحداث بارزة ويبدو من هذا أنها كانت تاريخ تلك الحقبة الزمنية ، فلقد كانت كل من الثورتين الأوليتين اللتين اذهلتا الخلافة ، هزل نصحت مواردها الاقتصادية وعطلت معظم تنظيماتها واصلاحاتها . وربما وصل الأمر حد العوز . حيث انتزع وسط وجنوب العراق وفارس وقطعت الطرق وحرم وصول الاموال الى بغداد وسامرا - حيث كان جل مصادر الدولة من هذه المناطق السابقة - الى جانب تكاليف الحملات المتعددة^(٢) التي استولت على كل اهتمام الدولة اضافة الى اظهارها بمظهر الضعف والخور مما جذب انظار الامة وشعوب الخلافة الى تلك الامور الجسام حيث ترامت اخبار وتوسعات صاحب الزنج شرقا وغربا زيادة على تمرد وثورة الصفار . حيث شكلا منعطفا جد خطير وذا ابعاد اوهنت واقع الخلافة . الا انهما اسلما الخلافة من الهلاك بعدم توحيد جهودهما وجمع كلمتهما^(٣) .

قام العبيد بدور خطير في التاريخ وكذلك التاريخ الاسلامي فشغلوا مناصب بارزة في الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية وربما يعود ذلك انها كانت هذه الطبقة نشيطة وفعالة في جميع المجالات ، فبرز منها الساسة والقواد والامراء وكبار المفكرين والعلماء الافذاذ .

الا انهم تكاثروا وبرزت اهميتهم بالتاريخ نتيجة لكثرة الحروب والسي ما شجع بعض الاسر الاكثار من الخدم ثم انتشر هذا في قصور الخلفاء والامراء . وكان اغلب الخلفاء فيما بعد^(٤) من (امهات ولد) .

(١) محمد بن علي صاحب الزنج سنة ٢٥٥ هـ انظر الطبري تاريخ الامم والملوك

ج ٧ ص ٥٤٣ .

يعقوب بن الليث الصفار سنة ٢٥٤ هـ . ياقوت معجم البلدان ج ٥ ص ٤ .

الحسن بن زيد العلوي طبرستان . دائرة المعارف الاسلامية ج ٧ ص ٢٦ - ٢٧ .

الطبري تاريخ الامم والملوك ج ٧ ص ٤٣١ .

ابن الاثير الكامل في التاريخ ج ٥ ص ٣٤٦ .

(٢) ثورة الزنج وثورة الصفار .

(٣) للقضاة على ثورتين الزنج والصفار . الطبري أحداث (٢٥٥ - ٢٧٠ هـ) .

(٤) الخلفاء ما بعد الامين :

المأمون - الواثق - المعتز - المستعين

هذا الأمر كان سببا في تجمعهم اضافة الى عامل الخدمة بأرض السواد حتى
كثر عددهم وشكلوا خطورة استغلت فيما بعد .

هو "العبيد - الزنج - هم عمود ثورة العلوي بالبصرة التي سنتحدث
عنها فيما بعد .

٢- صاحب الزنج : ٢٥٥ - ٢٧٠ هـ
٨٦٨ - ٨٨٢ هـ

لقب اطلقه المؤرخون على علي بن محمد الذي ظهر في فترات البصرة وقاد
جموع الزنج بعدما جمعهم ونظمهم زاعما انه (علي بن محمد بن احمد بن علي بن عيسى
ابن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب)^(١) حيث كانوا يعملون في السباح
لاصلاح الأرض واعادها للزراعة فقادهم في اكبر تمرد عرفته السلطة آنذاك دام أكثر
من اربعة عشر سنة .

وفي الحديث عن صاحب الزنج لا بد من ذكر نسبه ومولده . فولد في بلدة
(درزبين)^(٢) من قرى الري . ويبدو أنه امضى سني حياته (نشأته) هناك^(٣) . وهذا
مادفع بعض المؤرخين على الاختلاف حول نسبه واصله لأن الفموض في بداية نشأته
كان السبب في الاختلاف ، هذا اضافة الى انه غير اسمه ونسبه اكثر من مرة حسب
المكان والسكان ما حمل البعض على القول بأنه عربي مرة وفارسي أخرى . وان كان
البعض تنقصه الادلة الدامغة . الا أنه يبدو ان كفة بعضهم ترجح على الاخرى في
تقرير نسبه واصله . ولذا يوجد بعض المشقة لدى الباحث حول هذه المواقف
الغامضة غير الواضحة .

كان اسمه علي بن محمد بن عبد الرحيم ونسبه في عبد القيس ، واه قره اهنست
علي بن رحيب بن محمد بن حكيم من بني اسد بن خزيمه ، وذكر انه كان يقول ان جده
لأمه هو محمد بن حكيم ، خرج على هشام بن عبد الملك مع زيد بن علي بن الحسين^(٤) .

(١) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٢ ص ٥٤٣ . ابن الاثير : الكامل ج ٥ ص ٢٤٦ .

(٢) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٢ ص ٥٤٣ . ابن تغري بريد : النجوم الزاهرة ج ٣ ص

ابن الوردي ج ١ ص ٢٣٣ . تاريخ ابي الفداء ج ٢ ص ٢٢٨ .

(٣) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٢ ص ٥٤٣ . ابن الاثير : الكامل ج ٥ ص ٢٤٦ .

(٤) المصدر نفسه .

ولما قتل زيد هرب الى الري فلجأ الى ورزنيين ، فأقام بها وأن اباه عبد الرحيم رجل من عبد القيس كان مولده بالطالقان من مدن فارس^(١) ثم قدم العراق واستقر بها وابتاع جارية سنديّة فأولدها محمد اباه فهو علي بن محمد يرجع نسبه الى قبيلة عبد القيس وهي من ربيعة^(٢) . هذا الغموض في نشأته لا نعرف شيئا عنه سوى ما ذكره ابن حديد من انه كان مشتغلا في بدايته بالتنجيم والسحر والاصطرابات^(٣) ثم قدم سامرا^(٤) وبها كانت له اتصالات مع حاشية الخليفة المنتصر^(٥) وهذا يعني انه كان قريبا من السلطة التي كثر فيها الشغرات والسقطات .

انقسم المؤرخون في نسبه الى ثلاثة اقسام اقدمهم أكد أنه عربي الاصل الآخر انه فارسي ، والثالث سكت ولم يقل شيئا عن اصله بل اهتم باحداث ثورته ولكل آراءه وحججه ومنهم من قال انه علوي حسب زعمه .

أما من قال انه عربي الاصل فنسبه الى عبد القيس فكان يعيش فرع كبير منهم بالبحرين^(٥) منذ الجاهلية ، وكانت تشن الغارات على ارض الفرس ما دعى ذو الاكتان أن يهاجمهم ويشردهم ويسكن قسم منهم بهجر^(٦) .

فذاك الطبري الذي كان معاصرا ومشاهدا لها وكان المسجل للاحداث أولا بأول لم تغادر تسجيلاته اي شيء عن ثورة الزنج حتى أتمه الامور كان يذكرها ولو كان هناك ما يشير الى انه غير عربي لذكره ونحن نقرأ عنه بعض الكلمات التي كان يطلقها على صاحب الزنج الخبيث ، المارق . فكان الأجدربه لو انه غير عربي ان يذكر ذلك ولو كانت مجرد خاطره او لربما شنع بالقول وألب الكثير .

(١) هناك بلدتان تدعيان بالطالقان احدهما بخراسان بين مرو الرند وبلخ

والثانية بلدة وكورة بين قزوين وأبهر وبها عدة قرى يطلق عليها هذا الاسم .

باقوت : معجم البلدان مجلد ٤ ص ٧٠٦ .

(٢) محمد الخضرى : محاضرات تاريخ الامم الاسلامية (الدولة العباسية) ص ٤٢١ .

(٣) ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة مجلد ٢ ج ١ ص ٣١١ .

(٤) الطبري : تاريخ الامم والملوك مجلد ٧ ص ٥٤٣ مثل غانم الشطرنجي ، وسعيد

الصغير ، ويسر خادم المنتصر . ابن الاثير : الكامل ج ٥ ص ٣٤٦ .

(٥) البلاذرى : فتوح البلدان ص ٨٥ .

(٦) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٧ ص ٥٤٨ .

البلاذرى : فتوح البلدان ص ٨٥ .

أما القسم الآخر فقد يكون معذورا في روايته التي نسبها الي أصل فارسي فيها هو القيرواني يقول " قال بشر بن محمد بن السري بن عبد الرحمن بن حبيب : هو ابن عم أبي لحاء ، علي بن محمد بن عبد الرحمن بن رحيب ، ورحيب رجل من العجم من اهل ورزنيين من ضياع الري (١) . وهناك اشارة في مروج الذهب تزكي فارسية علي بن محمد (٢) وقد ذكر الناس صاحب الزنج في اخبار الشيعة وكتبهم .

ورواية اخرى تقول ان صاحب الزنج اسمه بهيون (٣) وثالثة تقول على أن اسمه نهـيود (٤) واسم ابن صاحب الزنج انكلاى .

من هذا العرض والمركز على فارسية صاحب الزنج يبدو الخلط واضحا إذ أن القيرواني صاحب زهرة الآداب ، خلط ما بين نسب صاحب الزنج ، فلم يفرق ما بين نسبه لأبيه ونسبه لأمه . فالرواية التي تربط علي بن محمد بن عبد الرحمن بن رحيب فهي تتصل بنسب جده لأمه وليست لأبيه فالخلط والضعف واضح بها .

وأما الروايات التي ذكرت (بهيون) و (بهيون) فهي ربما وقعت في خطأ التصحيف أو الطبع . ويبدو انهم لم يقرأوا ما ذكره الطبري على ان بهيون قائد من قواد صاحب الزنج (٥) وكان من المخلصين له . وأما رواية المسعودي فيبدو بها الخلط لدى التأمل اوانه لم يميز ما بين الميضة التي لم يرد لها ذكر لدى الرافضة وبين علاقة نسب صاحب الزنج .

من هذا يبدو ان صاحب الزنج لم يكن فارسيا ولا يتصل نسبه بفارس حتى أنه لم يؤثر انه نطق الفارسية او تحدث بها رغم ما يتمتع به من ذكاء وعقل واتزان وحنكة وخبرة حتى انه لم يكن عنده من الفرس جند ولا قواد . وهذا يدل على ضعف القول بفارسيته بل يدعم الرأي القائل بعربيته وان احتجت على انه غير اسمه اكثر من مرة . الا اذا كان هناك امورا لم تذكرها كتب التاريخ او انه كتم الامر ولم يعلم به احد ، او ذكرت

-
- (١) القيرواني : زهرة الآداب ج ١ ص ٢٩٨ المتوفي ٤٥٣ هـ .
 (٢) المسعودي : مروج الذهب ج ٢ ص ٤٣٩ . من سكان ماورا النهر وكانوا يدعون ايضا المقنعية وكان زعيمهم هشام بن الحكم .
 (٣) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والامم ج ٤ القسم الثاني ص ٦٩ ، ٧٤ موته ٥٩٧ هـ .
 (٤) ابن تغريبردي : النجوم الزاهرة لملوك مصر والقاهرة ج ٢ ص ٤٩ .
 (٥) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٧ ص ٥٤٣ .

بعض الكتب الحقيقية فلم تصل الى ايدينا سوا^(١) كان عن طريق التلف او الحرق او التزويق . ورغم ذلك يبقى الموقف بالنسبة لنسبه عربي حتى يأتي دليل ناصح واضح يدفع عنه اصله العربي وربما الايام القادمة تأتي بالكثير وليس بالعجيب .

لم يستقر الامر بالنسبة لصاحب الزنج حول نسبه عند المؤرخين . فنرى البعض من المؤرخين ينكرون عليه نسبه العلوي ، رغم ما قال انه علي بن محمد بن علي بن عيسى ابن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب^(١) ثم يقول بالبحرين انه^(٢) علي بن محمد بن الفضل بن حسن بن عبدالله ابا العباس بن علي بن ابي طالب^(٣) وفي البداية اوتهمهم انه^(٤) يحيى بن عمر بن الحسن^(٥) المقتول بظاهر الكوفة . وهو^(٦) لا المؤرخون يقولون أن عليا لم يكن من العلويين بل هو دعي في انتسابه اليهم^(٧) وآخر يقول انه في ذلك كاذب لأن الاجماع في يحيى انه لم يعقب الا بنتا ماتت وهي ترضع^(٨) . اما نسبه فليس عند النسابين بصحيح وهم يعدونه من الادعياء^(٩) وعندما هرب من البلاد اقام بدار السلام وادعى انه احمد بن عيسى بن زيد .

واكثر الناس يقدحون بنسبه وخصوصا العلويين وجمهور النسابين اتفقوا على انه من عبد القيس^(١٠) واكثر الناس يقول انه دعي آل ابي طالب^(١١) .

ونجد في هذه المراجع التي تورد اقوال المؤرخين انها تجرده من النسب العلوي وتلحقه بأصله بعبد القيس . فأمام هذه الشواهد لا يسعنا الا التسليم بأنه ليس علويًا .

وفي انتسابه العلوي والمتغير حسب المكان ، يبدو انه ذكيا وفصيحا ، استفل اطر عصره ومشامين مجتمعه ، فأخذ يسلك عدة طرق لتقوده لتحقيق بغيته فعمل على جمع

(١) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٧ ص ٥٤٣ . ابن الاثير : الكامل

في التاريخ ج ٥ ص ٣٤٦ .

(٢) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٧ ص ٥٤٤ .

(٣) ابن تغريدي : ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢١ .

(٤) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١١ ص ٢٩ .

(٥) الماوردي : الاحكام السلطانية ص ١٨٣ .

(٦) ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة ج ٨ ص ٢١١ .

(٧) السعدي : مروج الذهب ج ٤ ص ١٦٤ .

القلوب وتقوية الصفوف امام هذه الجسام التي كان يشغل نفسه بها وحريما على أن يكون له شأن فيما بعد وامام كل هذا فلا حرج عليه أن يلبس لبوس كل موقف حتى يسهل ويحقق بغيته ، وان كان ذلك مطعنا عليه ، بل ربما كان احدى عوامل الفشل لديه فيما بعد ، ويبدو ان هذا الانتساب لم يجلب له كبير فائدة ، اذ كان آل البيت كثيرين في الامصار ، وقد جرب الناس تأييدهم فلم يجنوا الا القتل والتعسف من قبل السلطة .

١- قدم صاحب الزنج :
قدم صاحب الزنج سامرا^(١) مسقط رأسه حيث كان مشغولا بالتنجيم والسحر والاصطرابات^(٢) وفيها اتصل بحاشية الخليفة وخاصة بيسر خادم المنتصر فكان يقول الشعر ويعيش مما يدفع له من الخدم^(٣) حيث كان للخدم دورا بارزا في ذلك العصر ، اذ اصبحوا هم ندما وجلساء ولاية العهد في سجونهم .

أثرت هذه الحياة في نفسية علي بن محمد بما رآه من سوء حالة القصر وما يجري فيه من تكتلات وانقسامات وما رافقه من تنسخ الحياة الاجتماعية وانحطاط الاخلاق ، وضعف الادارة وسيطرة الاثراك والخدم . فالحالة هذه أثرت لديه وربما حدثت نفسه : أن هو لا ليسوا اقدر منه على مثل هذا الامر وهو البليغ الفصيح ، صاحب التنجيم والسحر . لذا نراه يترك سامرا متجها الى البحرين . وربما كانت البحرين بيئة مناسبة لتحقيق اهدافه لما له من صلة النسب فيها وبعدها عن مركز الخلافة .

لذا نرى ان اهله ناصروه والتحقوا بصفه وأيدوه بادعائه ونسبه العلوي ، الا أن جلّ اتباعه كانوا من الطبقة العامة^(٣) فقاتل اهل البحرين معه واهل هجر ، الا انهم تركوه بعدما اوقعت بسهم السلطة الكثير من القتل ، زيادة على ما خسروا في لقاء مابين المؤيدين والمعارضين ونتيجة لهذا تركها صوب الاحساء يبحث عن مكان جديد واناس آخرين .

(١) ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة مجلد ٢ ج ٨ ص ٣١١ .

(٢) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٧ ص ٥٤٣ . وفيهم غانم الشطرنجي وسعيد الصغير ويسر الخادم وكان منهم معاشه .

(٣) مثل يحيى بن محمد البحراني وهو من بني دارم وكان كيانا . يحيى بن ابي ثعلب تاجرا صغيرا ، وسليمان بن جامع . اصبغ من اشهر قواد فيما بعد محمد بن سلم القصاب .

انظر الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٧ ص ٥٤٤ .

استفحل امر الزنج وقويت شوكتهم حتى هددت الخلافة ، فلم يعد الأمر يحتمل الانتظار أو الصبر على تلك الأحداث ، وخاصة أنها نشرت الرعب وأوقعت خسائر جسيمة بقوات الخلافة وقتلت واسرت واجبرت جيوشا على التراجع ^(١) مما دفع بالسلطة ان تهتم بالأمر وتختار قائدا مارس الحروب وكسب خبرة في الحصار ^(٢) فكان الرجل الوحيد والموثوق آنذاك والذي يستطيع انقاذ الموقف هو ولي العهد ، الذي قاد جيشا ضخما لم ير احسن عدة ولا اكمل تسليحا وعتادا وعددا منه ^(٣) . ولقد اوقع هذا الجيش رعبا في قلوب الزنج ، مما ادى الى استدعاء علي بن اهان من الاهواز والقوادم الآخرين المنتشرين في بطحاء البصرة وعبدان والاهواز ليعملوا جميعا حشدا كبيرا يقف او يرد حشد السلطة ليتلاشى خطر الرعب الذي غزا قلب صاحب الزنج .

تقدم ابو احمد الموفق وهو متزنا بحرص على توجيه الرأي العام للمنطقة لصالح جيشه باستقطاب عناصر جديدة من جند خصمه حتى يحقق النجاح في تحركه لاختصار الثورة والتي لو نجحت لتقهقر جنده واختفى تأثيره واعطى الفرصة لخصمه في أحداث التوازن والتسلل الى مراتب السلطة . فعمله هذا من حشد الافكار والاشخاص فسي جميع المناطق التي يمر بها ، لأن هو " سيكونون الذخيرة والعون الى جانب كسب ثقة جنده ورفع معنوياتهم وهذا ما يثبت قول الشاعر القديم :

من كان ذا عضد يدرك ظلامته ان الذليل الذي ليست له عضد
تنهوا يداه اذا ما قل ناصره ويأنف الضيم ان ترى له عضد ^(٤)
ويبدو ان الهزيمة لحقت بجيش ابي احمد بعد قتل الساعد الايمن له ^(٥) اضطر
عندها التراجع الى موقع الابله ، ليعيد تنظيم قواته ويعيد النظر بخطته الحربية ليواجه
خصمه العنيد ^(٦) الذي أعد لكل خطوة من خطوات الموقف موقفا خاصا بها ، وما ساعده

- (١) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٨ ص ٤٤ .
- (٢) كسب هذا من حصار بغداد وهو على رأس جيد المعزز ضد المنتصر السدي اعتصم ببغداد .
- (٣) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٧ ص ٤٤٥ ، ٤٨٢ . ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٥ ص ٢ .
- (٤) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٨ ص ٤٢ . ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٦ ص ٢٣ . الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٨ ص ٤ ، ٥٥ .
- (٥) مفلح من كبار القوادم آنذاك ، الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٨ ص ٥ .
- (٦) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٨ ص ٧ .

على ذلك طبيعة المنطقة التي كانت مسرحاً للأحداث وكانوا يعرفون خباياها بعكس جند الموفق الذي أخذ فترة ليست بالقصيرة للتعرف على المنطقة ومعرفة مخارجها ومدخلها وتكييف جنده للبيئة الجديدة التي يسودها الحر وتتشربها الأهوار والمستنقعات وما ذلك من أوبئة ، أودت بعدد كبير من جند الموفق ما حجم قوته في بداية الأمر مع صاحب الزنج ، لذا يطلب منه ان ينتظر حتى تبرأ الجراح ويتعافى الجند وهذا يتطلب اختيار مكان مريح فنراه يتراجع الى باذاورد^(١) تاركاً أمر قتال الزنج الى ابن المولد^(٢) .

ترك السوءولية لابن المولد ، حفاظاً على خط الرجعة ، وسلامة الخطوط الخلفية بعد فتح معارك جانبية متعددة ، ربما تحجم قواته فلا يستطيع ان يمددها بالرجال والسلاح وخاصة التموين . الا أن هذا النصر الموقت لصاحب الزنج لم يكن الا فترة استجمام وأخذ نفس على الطريق ، اما ان يواصل انتصاراته ويقضي على السلطة الشرعية بما يمدده من تنظيم وتخطيط واعداد واما عليه ان ينتظر النهاية المؤلمة له ولعن كان ظهوره نقمة عليهم .

وهنا نجد الخلافة رمت صاحب الزنج هذه المرة بشخصية قوية هو موسى بن بغا التركي الذي يعد من المع القواد في ذلك العصر ليعيش معهم فترة قد تصل خمس سنوات وتقطع الخلافة اخبارها منصرفة الى لقاء آخر اعتبرته اشد قوة وأبعد خطراً من صاحب الزنج ، والذي اتسعت مساحاته وعظم امر جنده وحدث نفسه بدخول بغداد وهو يعقوب بن الليث الصفار والذي ربما كان انسحاب الموفق للقاء الصفار والهاء الزنج ريشاً يتم امر هذا الثائر الجديد وهذا ما استحدث عنه بعد ثورة الزنج . وهنا نقف وقفة مابين الأس واليوم ، ان نرى نفس المكان (البصرة ، عبادان ، الأهواز) تشتعل به حرب طاحنة وان اختلقت الافكار والاشخاص .

نرى العراق قد بدأ الحرب وتجاوز ارضه مساحات شاسعة وقتل اكثر بكثير مما علمته ثورة الزنج في بداية امرها ، لكنه رغم ماتم من تموين للمعركة لم يتمكن من الاحتفاظ بما أخذ وانحسرت قواته بالتراجع وتغير الموقف العسكري لصالح ايران اذا لم تقف ولم تصمد الاسلحة ولا الدبابات امام ثورة الحق والايمن رغم ماتم من خسائر

(١) باقوت: معجم البلدان ج ٢ ص ٣١ ، الطبري: الامم والملوك ج ٨ ص ٩٠ .

(٢) الطبري: الامم والملوك ج ٨ ص ١١ ، ابن الاثير: الكامل ج ٦ ص ٢٠٠ .

هائلة وجسيمة وان كان هذا خطرا وليته لم يحدث . وهذا يشبه تماما نفس موقف صاحب الزنج اذ انحسر بعدما انتشر وطمع بالتوسع الا انه كان ذكيا يحسب أمر كل مستجد فلم يعمل على انتشار قواته حتى تبقى قريبة ومتواجدة بالقرب من مركزه حتى يتمكن من تحريكها وتوجيهها وهذا ما فعله ، لأنه يعلم ان بقائه مرتبطا في الاهواز والمستنقعات فاذا خرج خسر كل شيء ، فعوامل الزمن تقف الى جانبه ، لذا نراه يحجم توسعاته حول الاهواز والبصرة .

دور الموفق :

ان تمزق وحدة الهدف بالقيادة لدى الاثراك كان لصالح الخلافة اذ اجمع الاثراك ان لا يكون القائد العام منهم وتم برضاهم . ومن الجانب الآخر ان المعتمد اعطى تصريح الامور لأخيه الموفق فله الاسم ولأخيه المعنى الحقيقي للحكم من أمر ونهي وقيادة العسكر ومحاربة الاعداء وحماية الشغور وتولية الوزراء والامراء ، فالموفق أصبح الحاكم الفعلي الذي جمع بين يديه كل السلطات المالية والادارية حتى العسكرية^(١) وتمت على يديه جميع الاعمال . ولا عجب اذ عرفنا انه كان وحيد ابنا اسرته الذي انصرف للجهد والعمل في حين انكب الآخرون على ملذاتهم وشهواتهم . لذا نراه فلتنة بين اقترانه في الحزم والعزم والشجاعة النادرة والعمل الدؤوب المتواصل فلم يعسر الهدوء الى نفسه سبيلا يواصل ليكه بنهاره لا يذوق طعم الراحة الا على ظهر الجواد ولا للنوم لذة الا وهو يصرف امور دولته . وهذا يدل على همة عالية ونشاط جم وافسر في العطاء . فكان يمارع الزنج ويصرف امور الدولة الادارية ويقاوم توسع الطولونيين غربا وينازل الصفاريين شرقا على ابواب العراق حتى شوون بيته لم يتركها في مهمل الربح .

ويمكن القول ان فترته كانت فترة انتعاش للخلافة ، اسكت جميع القوى المتصارعة على السلطة ليس بالهبط والتفكك بل بالانابة والكياسة والعمل البناء فضم الجميع تحت اشرافه والزمها بالعدل بعدما لزم نفسه ووجهها نحو الصالح العام وجعل من نفسه قدوة جذبت الجميع لمشاركته بالعمل ، بهذا الاسلوب عاد للخلافة هيبتها وأمدتها بقوة كبيرة طالما فقدتها منذ زمن المتوكل . وجعل التنافس ضد العدو الذي يهدف القضاء على السلطة . وهذا موقف صرفه نحو البناء والعطاء والتجديد للسلطة . فلم

(١) ابن الطقطقي : الفخرى في الاداب السلطانية ص ١٨٢ .

يهبط بل كان يداعب الخصم عليه بحقق شيئا دون ان يخسر ارواحا ويكلف السلطة أموالا
الا اذا كان لابد منه ويجبر عليه .

تسارعت الاحداث وكثرت اللقاءات مع الخارجيين على السلطة ، فهذا صاحب
الزنج وذاك الصفار الذي اطال في عمر ثورة الزنج ، فاشغلت الخلافة واتسعت رقعتها
وزادت جرائمها من قتل وسلب وسفك للاعراض وحرق للمدن والقرى حتى وصلت حدود
نشرت الرعب والذعر لدى السكان واشاعت الارجاس بهفداد التي لم تكن تبعد اكثر
من ميل عن قواتهم^(١) . هذه المواقف كانت اصعب من ان يتحملها انسان مسؤول عن
السلطة وعليه يقع اللوم والمسؤولية . ازاء هذا كان اتخاذ القرارات اصعب بكثير وخاصة
اذا كانت الموارد المالية قليلة والرعب منتشرا والانقسامات قائمة والادارة ضعيفة ، لذا
نرى المعتمد اسرع في تسليم الامور لأخيه الموفق^(٢) لمحسم الموفق ويضع حدا للانقسام
والتشرذم ، لشقته بمقدرته العسكرية والادارية والتي سرعان ما برهنت عليها الاحداث
فيما بعد .

كيف يمكن للموفق ان يعد الامور وحالة الخزينة هذه والخراج مكسور وامتنع
الكثير من الولاة عن ارسال الاموال ، اضافة الى خسائر حرب الزنج واضطراب المشرق
ابتداء من فارس وكرمان وخراسان حتى الديلم وجرجان وكان بها .

هذه الحالة المزربة من قلة الاموال وكثرة المتطلبات المالية لاسكات الخارجيين
عن السلطة جعلت الموفق يفتح جبهة يضمها الى جبهاته العديدة مع الجناح الغربي
وذلك بطلب المال من حاكم مصر - احمد بن طولون^(٣) فأرسل المال الا انه طالبه
بالمزيد لحاجته العاسة اليه فترتب على ذلك ان ساءت العلاقة وحلت القطيعة بينهما ،
وربما يعود ذلك الى كتاب ورد الى ابن طولون من الخليفة المعتمد يحذره من ارسال
الاموال الى الموفق^(٤) .

- (١) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٨ ص ٤٤٠ .
- (٢) فقد كان معدا لمثل هذا فاشترك في حصار بهفداد لصالح المعتز فكافاه بالحبس على
نصحه في تصريف الامور والحذر من الترك . الطبري ج ٧ ص ٤ .
- (٣) الطبري تاريخ الامم والملوك ج ٧ ص ٤٦٠ .
- (٤) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٧ ص ٤٨٠ .
- الهلوي : سيرة احمد بن طولون ص ٣١٠ .
- (٥) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٨ ص
الهلوي : سيرة احمد بن طولون ص ٣١١ .

ويمكن القول ان اللقاء مع الزنج ما بين ٢٥٥ - ٢٦٥ هـ كان به نوعاً من التراخي وربما يعود ذلك لوجود مواقف أكثر صلابة وخطر بعداً لذا نرى عام ٢٦٦ هـ كان بداية الانحسار والتحجس لقوات الزنج وموقفها وبداية امتداد وتنشيط القوات العباسية رغم شراسة الخصم ، وذلك بعد زوال يعقوب الصفار وافول نجمه ، أدى السى تفرغ السلطة ودعم جهوشها وحشد الموارد المالية والطاقات البشرية وكسب الراى العام لدى اقطار الخلافة . فأعطى هذا الفرصة للموفق ان ينفذ مخططه ويقضي على المنشق بالبصرة والمختارة ^(١) . لذا نراه يخرج بجيش كثيف العدد منسقا مزودا بالسلاح والامكانيات العظيمة سائرا على مخطط وضع لحسم الموقف مهما كانت التكاليف مع الأخذ بعنصر الحذر والتوعدة والتسامح مع حشد الطاقات المعنوية الى جانب المادية واستغلال الدعاية الهادفة .

فنراه يرسل مقدمة لجيشه بعشرة آلاف جندي مزودين بأحدث ما لديهم من سلاح ^(٢) آنذاك الى جانب السفن النهرية ، السميرات ، والسفن الحربية والمهندسين لنصب الجسور ودراصة كاملة لظروف المكان وبكل خطوة بخطوتها ، وهذا يدل على صعوبة المكان وانتشار الاوبئة ولقد مر بنا كيف ترك الموفق قيادة الجيش للمولد وما حل بجيشه من فتك الاوبئة وصعوبة اللقاء مع الخصم ^(٣) .

هذا الامر دفع بالموفق ان يخطط ويزيد بالتخطيط من حيث المتطلبات المالية والادارية والمعنوية وقد وصل به الامر الى بناء مدن واهمها الموفقية ^(٤) التي أصبحت العاصمة الحربية للخلافة وكذلك الادارية والتي يمكن ان نسميها بمصطلح اليوم العاصمة المرافقة حسب الاهمية الاستراتيجية ولقد كان محققا بالبناء حتى لا يؤخذ على غرة .

تقدم ابو العباس بجيشه نحو صاحب الزنج وبدأت قواته تدخل مع الخصم بمعارك جانبية ، تقى وتختبر قوة الخصم ريثما يصل والده الموفق ومع ذلك لم يصل الا بعد مرور سنة تقريبا .

(١) المختارة : مقر صاحب الزنج وكانت مدينة منبجة وحصينة .

الطبرى : تاريخ الامم والملوك ج ٨ ص ٧٥ .

(٢) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٥ ص ١٠٠ .

الطبرى : تاريخ الامم والملوك ج ٨ ص ٥٦ ، ٦٢ .

(٣) الطبرى : تاريخ الامم والملوك ج ٨ ص ٧٠ ، ٦ .

(٤) الطبرى : تاريخ الامم والملوك ج ٨ ص ٨١ .

وببدو ان قوات الزنج اجمعت عن اللقاء مع قوات ابي العباس فترة قصيرة وربما يعود ذلك لبعض الخلل الذي لحق بهم اوليعطوا الفرصة للخصم حتى تتوغل قواته لمساحات واسعة عليهم يلحقوا به ضربات قاصمة ، ولكنه كان حذرا ومتيقظا لكل مبادرة يقومون بها كما اجبرهم على طلب المدد من سيدهم^(١) وهذا يدل على مدى الضربات التي انزلت بهم من قبل الجيش العباسي والمستوى المتقدم من التدريب والاستعداد ، خلافا لحالة الجيوش العباسية التي كانت تنازلها القتال سابقا . ومع ذلك وصلت اعدادا من النشابة والتروس والرماح والملاحين الى ساحة القتال مددا للزنج^(٢) وامعنوا في حصارهم لجيش العباسيين ومع ذلك استولى العباسيون على المنبوعة من الزنج^(٣) واخفقوا في احتلالها منهم في سوق الخميس من نواحي واسط^(٤) على الرغم من الجهود المبذولة التي قام بها الجيش من غارات وهجمات مفاجئة ولقائات متعددة شرسية زيادة على الهجوم على امدادات الخصم والاستيلاء على كثير من البقاع ، الا أن الموفق لازال مانعا دون حسم حتى جاء الموفق ابو احمد في ١١ صفر عام ٢٦٧ هـ^(٥) بعدما وصلته الانباء من ساحة القتال مسرعا لصد الهجوم الذي بنوى صاحب الزنج القيام به بعدما اعد السميرات والشذوات والبحارة استعدادا لدخول الانهار^(٦) وسار محاذيا دجلة مارا بفداد - الفرك - ومية المدائن - السيب - دير العاقولة - جرجراها - قتي - جبيل - الصلح - واسط^(٧) وعلى مقربة من هناك استقبله ولده ابو العباس ، وقدم له تقريرا مفصلا عن سير الاحداث التي تمت وعن المعابر والمسالك والطرق ، وموضحا موقف الخصم وكأن الموفق معايشا الفترة كلها عن قرب وعلى ضوء المعلومات التي اطلعه عليها ولده بدأ الموفق يعدل من خطته حتى اصبحت بمشورة ولده وقواده ومستشاريه ناضجة للعمل . فبدأ بالمنبوعة سوق الاهواز التي استعصت على ولده معركا الجيش برا ونهرا وعلى جانبيه والفرسان والشذوات فعمل بقية الجيش وهو يتصدر ذلك الامر ، وهنا استسلمت المنبوعة وغنم ما فيها ، وتركها الزنج منهزمين مخبرين سيدهم الذي اعتبرها قاصمة الظهر^(٨) فاتسع نطاق تحرك الجيش العباسي

(١) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٨ ص ٥٧ ، ٥٩ ، ٦٠ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ٨ ص ٥٩ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ٨ ص ٥٩ .

(٤) المصدر نفسه ، ج ٨ ص ٦٠ ، ٦٢ .

(٥) المصدر نفسه ، ج ٨ ص ٦٢ .

(٦) المصدر نفسه ، ج ٨ ص ٧٥ .

(٧) المصدر نفسه ، ج ٨ ص ٦٢ .

(٢) فاستولى على الرساينقي والا موال والفوم^(١) التي كانت لدى الزنج وتحرك نحو طهيتا حيث تقع المنصورة وهي الحصن الثاني للزنج الذي بناها سليمان بن جامع . وتقدم اليها عن طريق بردودا . ومعه العمال لاصلاح الطرق والسدود^(٢) والبثوق والمعابر الا ان الموفق كان على حذر في تأمين المواصلات مع قواته الخلفية والحرض على ابقائها سالمة في مأمن ، كما انه كان يحسب للكائن حسابها ، لذا نراه قوت الفرصة على خصمه في احداث ثغرات او الحاق اى اذى بالمواصلات مع قواته الخلفية وقواته المتقدمة ولعمري انها انجس وسيلة في عمليات الدفاع والهجوم على حد سواء ، وميزة عسكرية بوضوحها في وقتنا الحاضر ومن الاساليب الحربية المتقدمة على الرغم من تقدم المواصلات وتكنولوجيا البحث العلمي والتقني ، فكان يرافقه العمال والبناؤون والمهندسون والخبراء ، من اجل اصلاح او بناء السدود والجسور ، واستخدام الملاحة النهرية ، لجعلها وسيلة ناجحة بالمواصلات من اجل خدمة الاغراض العسكرية الى جانب تأمين الملاحة النهرية للتجارة .

تقدم نحو المنصورة في خط عسكري مدهش ، كثيفة ترند كثيفة ، وفوج يعزز آخر وتشد من عزم الخيالة ، وتحمل المشاة في نهر المنذر^(٤) الشدوات والسعيرات في صف متناسق مستعد في اى وقت للنزول (وهذا ما يشبه قوات التدخل السريع اليوم) وما ان وصلت هذه القوات امام اسوار المنصورة الخمسة حتى اخترقتها رغم مقاومتها وتحصيناتها^(٥) وكان فتحها نعمة كبيرة خلصت عشرة آلاف اسير لدى الزنج ونقلهم الى خطوطه الخلفية ، في حين تابع تقدمه نحو بقية المناطق التابعة للمنصورة بعد ان اقام في طهيتا سبع عشر يوما^(٦) فخلص الاهواز وما جاورها واستولى على مخلفات الزنج بعدما امرهم صاحبهم بالرجوع الى المختارة ، ويمكن القول ان هذا التراجع للمختارة كان بداية الانحسار والفشل لصاحب الزنج حيث اسلم مراكز التمويه وخطوطه المتقدمة لخصمه وحصر نفسه داخل منطقة ليست محصنة وبالا مكان قطع خطوط الاتصال مع خارجها وهذه نقطة ذات اهمية وحيدة .

(١) الطبري : تاريخ الام والملوك ج ٨ ص ٦٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ٨ ص ٦٩ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ٨ ص ٦٨ .

(٤) المصدر نفسه ، ج ٨ ص ٦٨ .

(٥) المصدر نفسه ، ج ٨ ص ٦٨ .

(٦) المصدر نفسه ، ج ٨ ص ٦٨ .

ابن الجوزي : المنتظم ج ٥ ص ٥٨ .

ويبدو هذا من خط سير الموفق اذ اتجه نحو فرات البصرة وكأن الموقف أخذ يستدعي اتخاذ اجراءات نهائية لدخول المختارة والتي اصبحت الوحيدة امام الموفق رغم ما تتمتع به من تحصينات ودفاعات ، ويظهر هذا فيما بعد .

د فتح المختارة :

سار اليها بعدما نشر في ربوع الاهواز الا من والرخاء ، ثم ركز خطوطه الخلفية حتى لا يضرب من الخلف باتفاقه مع الثائر الكردي هناك محمد بن عبيد الله الكردي^(١) ، فسار نحوها مارا بفورج - العباس - الجعفرية - والبشير حتى وصل نهار المبارك أحد الانهار المتفرعة من شط العرب اليوم في ١٥ رجب سنة ٢٦٧ هـ^(٢) وكان على موعد مع ولد به بأن يلتقوا في هذا المكان من اجل مجابهة الخصم بقوات كثيفة لعلها تكون ملحمة فاصلة .

وعندما وصل الموفق لم يبدأ بالهجوم والقتال بل نراه يادر الى حل سلمي يحفظ الدم والاعراض والاموال . فنراه يكتب صاحب الزنج ويدعوه الانابة والتوبة الى الله تعالى بما ارتكب من سفك للدماء وانتهاك للحرمات وخراب البلدان والامصار وانتحال صفه النبوة والرسالة ويعلمه ان التوبة له مبسوطة والامان له موجود .^(٣)

انتظر الموفق الرد على طلبه وارسل في الاقطار يطلب المزيد من المدد من الجند والسلاح والمؤمن وهذا موقف يدل على خبرة عسكرية وتقدير الامور فجاء المدد على قدم وساق وكثر دخول الزنج في الامان المعطى لهم حتى قيل انه بلغ اكثر من الف في يوم واحد^(٤) .

أنف صاحب الزنج ان يرد على رسالة الموفق على الرغم انه لم يبتغي معه الا المختارة^(٥) وما جاورها . لم يركن الموفق الى الدعة والراحة بل كان يخطط وينظم كيف ينهي خصمه . فانتهى الى امر انه امام خصم عنيد رغم ضآلة المنطقة لديه

(١) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٨ ص ٧١ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ٨ ص ٧٦ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ٨ ص ٧٥ .

(٤) المصدر نفسه ، ج ٨ ص ٧٥ .

(٥) المصدر نفسه ، ج ٨ ص ٧٦ .

فعرزم على ان يحمل نفسه على الصبر والبقاء زمن اطول في الموقية^(١) حتى يتمكن من المختارة بكل اناة وهدوء ، وينطلق من مركز مستقر آمن موفور بالموءن وموصول مع الخطوط الخلفية والعاصمة بكل ما يحتاج . وأثناء ذلك بدأت افواج المستأمنين من الزنج تصل الى الموقية تباعا فأكرمهم الموقى واغدى عليهم العطايا والهبات والبسهم احسن الملابس ووثقهم به بعد ما وثق بهم ويعتبر هذا خطة حربية بعيدة المنال ونظرة ثاقبة للامور ، ان ادخل الشك في نفس خصمه بما قدم لهم من خدمات وقضى على الدعاية المظلمة التي بشها صاحب الزنج في نفوسهم على الموقى والعباسيين واعطى الفرصة للآخرين بالانفصال من جيش الزنج والانضمام اليه . فاحكم الموقى خطته في تعجيبهم قوات خصمه ، فنراه يزيد في تحكم الحصار على المختارة ، وكاتب الولاة بارسال الصناع والعمال والنجارين والبضائع والاموال للموقية ، حيث كثرت اسواقها واتسعت بالعمران وازدحمت بالسكان^(٢) وزادها اهمية ان ضرائب الدولة والخراج بدأ يصل اليها ويرفد بهت المال الذي انشأه الموقى بها وكذلك طلب من اهل سهراف وجنايا من مدن الخليج بان ترسل السفن وتكثر من صناعتها استعدادا للقاء . عجت الموقية بالحياة الماخبة فازدحمت بالتجار والصناع والقوافل التي بدأت تعيد الحياة الى الانهار التي نسيتهما اكثر من عشر سنوات ، فعادت لها حيويتها كأنها عشرة ايام فازدحمت الانهار بالسفن الوافدة الى الموقية حتى ان حوانيتها ومخازنها ضاقت بالبضاعة المختلفة والتي توءمن للشارى جميع ما يحتاجه .

ولعمري هذا موقف رائع سجل للموقى وحفظ له في التاريخ . الا ان الموقى لم يكتف بمشحن الموقية بهذا الحد بل جعلها العاصمة وجمع فيها جميع المرافق والخدمات العامة التابعة للسلطة من مساجد ومدارس وحمامات عامة ، وكنايب وحوانيت فاعاد الثقة للنفس بعد التشرد والضباع .

بعد هذا تقدم نحو المختارة بعد ما تم توزيع الجيش تحت امرة امهر قواده . وأوقف كل واحد على باب من ابوابها وبدأت المناوشات واللقاءات فهي بين أخذ وعطاء دون حسم للموقف ومع ذلك كان المؤشر رغم خفة حركته يتجه نحو الموقى ويشير بأن كفة صاحب الزنج بدأت تنتهي للهزيمة على الرغم مما كان يحققه الزنج من قطع للمواصلات وانزال بعض الضربات القوية لعسكر الموقى ، لكنها ليست حاسمة في دحر الموقى عن

(١) الطبرى : تاريخ الامم والملوك ج ٨ ص ٨١ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ٨ ص ٨٣ .

اهواب المختارة ، هل ربما كانت محاولات بائسة ورغم ذلك اثبت الزنج انهم خصم ليس من السهل القضاء عليه بسهولة ويسر دون شغل غال وعزيز .

بدأت عمليات الانحسار تحجّم قوات الزنج وتفقد هم مواقع يتقنون عليها نتيجة مالحق بهم من قطع لخطوط التموين حتى ان احد هم كان يطلب الامان مقابل رغيف من الخبز^(١) ومع هذا الحق جند الزنج هزيمة شبه حاسمة بالموفقى لو استمرت . وبدل على هذا من العنف واللوم الذى ابداه الموفق لقواته^(٢) . وهذا اجبره ان يفسّر معسكره المقابل للمختارة الى جانب آخر وان لا يكون ضد تيار النهر حتى لا تتكرر الهزيمة والفاجعة مرة اخرى وكان الموقع ما بين دير حابيل ونهر المفيرة وامر بقطع النخيل^(٣) وتحصين المواقع الامامية بالخنادق والاسوار ليأمن من غارات الزنج السريعة الخاطفة ، وازاء معسكر الموفقى جزع صاحب الزنج وامر اصحابه ان يعملوا على عرقلة بناء التحصينات ، وعدم استقرار الموفقى هناك فرماه بكثافة من جنده وبالحجارة مستغلا هبوب الريح مما اوقع بجيش الموفقى خسارة مؤلمة فلم يجد بدا الا ان يسحب جنده من المعسكر الجدد ويكتفي بضرعات خاطفة لخصمه^(٤) مع العمل على ازالة القناطر الموصلة لسور المختارة فأزال قسما من السور ووصل الى دار سمعان وسليمان بن جامع من كبار قواد الزنج^(٥) فهدمهما واحرقهما ونهب اصحابه محتويات الدور وهدم سور المدينة المشرف على شط العرب والذى سماه الزنج الميمونة^(٦) .

استمر الموفقى يتقدمه بالحق الضرر بالسور حتى وصل المسجد وتمكن من هدمه رغم مقاومة الزنج العنيفة واخذ منبره الى الموقية^(٧) وقطع الاتصال ما بين دارى ولد الزنج انكلاى والجباتي من زعماء الزنج كما انهارت دواوين صاحب الزنج وانتهت خرائطه^(٨) .

-
- | | |
|-----|--|
| (١) | الطبرى : تاريخ الامم والملوك ج ٨ ص ١٠٦ . |
| (٢) | المصدر نفسه ، ج ٨ ص ١٠٥ . |
| (٣) | المصدر نفسه ، ج ٨ ص ١٠٣ . |
| (٤) | المصدر نفسه ، والصفحة نفسها . |
| (٥) | المصدر نفسه ، ج ٨ ص ١٠٥ . |
| (٦) | المصدر نفسه ، والصفحة نفسها . |
| (٧) | المصدر نفسه ، ج ٨ ص ١٠٦ . |
| (٨) | المصدر نفسه ، والصفحة نفسها . |

ومع ذلك بقي اصحابه يواصلون الدفاع المستميت حتى تمكنوا من تأخير الموفق من احتلال قلعة المختارة اكثر من ثلاث سنوات نتيجة لما نزل بالموفق من ضربة كادت تقضي عليه بعدما كان النصر قاب قوسين او ادنى واستمر التوقف شبه التام حتى عام ٢٦٩ هـ حيث بدأ الموفق بجدد نشاطاته الحربية وبعيد تنظيم عسكره في اثناء ذلك جاءه خبر لحاق اخيه المعتمد ^(١) باهين طولون بالشام فأوقف الهجوم زمنا حتى قضى على المشاكل واعاد اخاه الى بغداد فسامراه ثم تابع هجومه نحو خصمه .

وعندما بدأ الهجوم كان اصحابه قد احرقوا الكثير من قصور الخصم وقطع الطريق عليه ومع ذلك لا يزال الخصم يلحق ضربات موجعة بجيش الموفق ففتش الماء واغرق الارض التي يتقدم عليها جيش الموفق مما اعاق تقدمه بل اوقفه الى جانب ذلك اكثر من حفر الخنادق والحفر اضافة على استئصال جنده في دفع الجيش عن مد ينتهم . وامام هذا الدفاع العنيد عمد الموفق على تغيير خطته الهجومية فبرقت له خاطرة ان جاء بظلال من خشب السفن والبسها جلود الجواميس التي غطيت بالخيش ^(٢) المطلي بصنوف العقاقير والادوية التي لا تشتعل فيها النار ثم ملئت هذه السفن بالرماد والنقاطين وارسلت لانجاز عملية عبور واحراق قصر صاحب الزنج وبالفعل انجرت ما ارسلت من اجله ان وصلت الى قصر صديق صاحب الزنج ثم القى النار على القصر فحرق ونهبت موجوداته من قبل جند العباسيين وترك صاحبه لا يلوى على شيء ^(٣) .

ومع ذلك لم يحقق الموفق للمرة الثانية النصر بسبب ما اصابه من جرح وممرض بمرض النقرش لمدة لا تقل عن شهرين ، مما اعطى الفرصة مرة اخرى لصاحب الزنج ان يعيد تحصيناته ويعمل على ترميم العداخل التي لا تزال بيد جنده ، الا ان الموفق تمكن من هدم ماتم ترميمه وبناءه في تلك الفترة وانقض عليهم من فوهة نهرايبي الخطيب ^(٤) واثناء ذلك بدأت تتكاثر افواج القادمين من جند الزنج الى معسكر الموفق وتأخذ الامان والتقدير والبهات حتى وصل الامر ان انخرطوا في جنده وتسلبوا مراكز قيادته وأمر

(١) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٨ ص ١٠٧ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ٨ ص ١١٠ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ٨ ص ١١٢ .

المنتظم لابن الجوزي ج ٥ ص ٦٢ .

(٤) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٨ ص ١١٥ .

احدهم على الجند (١) وقيل انكلاى ولد صاحب الزنج طلب الامان الا أن والده رده عن ذلك (٢).

أشرت هذه المعاملة التي نهجها الموفق باحترام المستأمنين وتسليمهم مراكز قيادية ثم بالغ في ذلك والبسهم ملابس زاهية واشرف بهم على الزنج ونادوا اصحابهم وطالبوهم بالحقاق بهم (٣).

وبهذا أثار تساؤلات كثيرة لدى الزنج حول مصيرهم الذي أصبح معروفا لديهم وهو الموت الذي هو اقرب من الحياة وبدأت الآمال والاحلام التي دأبتهم فترة من الزمن تتبدد وكأنها سراب تطاير مع افواج الزنج التي تنضم للموفق تاركة الزنج واصحابهم يلاقون مصيرهم المحتوم. ويبدو ان هذا المسلك الذي سلكه الموفق كان غاية فسي التخطط والاحكام اكتسبه الموفق من المدرسة التي تخرج منها ومن اساتذته الكثر وفي مقدمتهم الزبير بن بكار (٤).

أدرك ان نهائية الحسم قد باتت وشيكة المنال فبدأ بسلسلة من الهجمات القصيرة الخاطفة وكأنها حركة استنزاف وارهاق للاصابع ثم يتلوها ارباك وفتح شفرات في صف الخصم ايدانا بالهجوم العام والنهائي بعدما احكم الطرق وسد المعابر حتى لا يصل اية مؤن وسلاح من عرب بني تميم (٥) الذين بدأوا بتقدمون بمائة وخمسين الفا بكافة الاسلحة الى جميع معاور الدخول والعبور الى المدينة حتى ان الدابر لسم يبق لها نصيب. اثناء ذلك ونتيجة لاحكام الاحاطة والسيطرة على المدينة برا ونهرا تمكن رغم مقاومة الزنج الباسلة والمستميتة من دخول المدينة وحرق قصر صاحب الزنج فالتجأ الى بيت المهلبى وحملت نساءه ومدخراته الى الموفقية. ورغم مقاومته واعتصامه الا ان الامراض بهد الموفق، وعندئذ هرب صاحب الزنج يطلب مكانا آخر للامان.

(١) مثل شهل بن سالم.

الطبرى : تاريخ الامم والملوك ج ٨ ص ١٢٨.

(٢) المصدر نفسه، ج ٨ ص ١٢٦.

(٣) المصدر نفسه، ج ٨ ص ١٢٧.

(٤) الزبير بن بكار : الاخبار الموفقيات ص ٣١٠.

(٥) الطبرى : تاريخ الامم والملوك، ج ٨ ص ٨٢، ٩٣، ٩٤.

دور لؤلؤ :

ومع اشراقة النهاية لصاحب الزنج ، بدأت طلائع الجيش القادمة من العاصمة تصل الى المعسكر وتأخذ دورها في القتال بقيادة صاعد بن مخلد^(١) وزاد الموقف قوة وشبها قدوم جيش عرمرم بقيادة لؤلؤ صاحب ابن طولون ، وقد انشق عنه ولحق بالموفق وجلّ جنده من الفراعنة والأتراك والروم والبربر والسودان وقد استقبل استقبالا حافلا وانعم على القواد هبات وعطايا وعلى رأسهم لؤلؤ وقربه الى نفسه .

ومرة اخرى نعود فنقول ان هبات وعطايا الموفق لجنده والمستأمنين من الزنج كانت خطة عسكرية حكيمة اكسبته الثقة من الجميع ويمكن ان ندرك قيمة ذلك بما كانت عليه حال جند الموفق من تنعم بالمأكل والملبس وما كان عليه من السلاح الوفير والعتاد وما كان عليه حال الزنج بعد فقد انهم لمناطقهم ومخازنهم وموئدهم ، وما اصبحت عليهم حالهم من الجوع والحرمان حتى ان الجوع مظهرهم بنائه وفزاهم الفقر في مقر دارهم بعد فقد انهم لمخازن المؤونة وكان هذا مدعاة ليشرب اليأس لنفسهم رغم ما اهدوه من مقاومة عنيفة - ويمكن القول انهم اخذوا يلفظون انفسهم الاخيرة - ولا يفوتننا القول ان مجيئ عسكر الخلافة بقيادة صاعد بن مخلد وقوامها عشرة آلاف زيادة على قوات لؤلؤ كان لها النصيب الاكبر يكسب النصر وقيل ان العزم بل النصر كان الى لؤلؤ وعبر عن ذلك احد التّراء :

كَيْفَمَا شِئْتُمْ فَقُولُوا انما النصر للؤلؤ

ودعنا للموفق بدأت تتوافد على الموقية الامدادات والمتطوعين افواجا افواجا وزاد هذا من معنويات جند الموفق وانعكس سلبا على قوات الخصم .

انتهت الاستعدادات ورسم المخطط ووضعت اللبسات النهائية وبدأ الموفق باعطاء القرار الحاسم بالهجوم العام حيث زحفت الجيوش من كل حدب وصوب تحت علم العباسيين الاسود بعد ما سمعت النفخ من البوق الضخم الصوت^(٢) واحتشد الزنج بصفوف متراصة متكاثفة لصد تقدم الجيش العباسي ولكن دون فائدة ترتجى امام العشد العظيم فالتقت الصفوف وبدأت الهجمات على جميع المعاور وكان لها صوت هادر

(١) الطبري : تاريخ الامم والملوك ، ج ٨ ص ١٠٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ٨ ص ١٢٥ .

ابن الجوزي : المنتظم ، ج ٥ ص ٧ .

وغبار غطى ساحة القتال واصوات مختلفة النبرات بحاجة الى ترجمان لتعدد اللغات
والاجناس المشتركة ومع ذلك كان بينها سر يجمع الصفوف ويعرف الجمع نفسه بها ويتسلى
الأمر من القاء خطوة خطوة .

٢- نهاية صاحب الزنج :

بدأ القتال ضاريا واستمر عدة ايام ، وانتهى بانهازم صاحب الزنج وأسر
العديد العديد من قواده وجنده (١) . وهروب الكثير الا ان العوفى استمر حتى وصل
خبر مقتل صاحب الزنج ورأسه محمولا بيد جنود لؤلؤ حيث حمل الى ابي احمد فعم
الفرح والسرور جيش العوفى وانهارت قوات صاحب الزنج وكثر المستأمنين وخز العوفى
وقواده ساجدين شكرا لله تعالى على ما انعمه عليهم بالنصر المبين .

عندها كتب الى المسلمين في البصرة والاهواز واورد جله والاهواز وواسط
وما حولها ان يعودوا الى اوطانهم (٢) .

استمر الجيش العباسي يتقدمه يطارد فلول الزنج المنهزمين بقلوب ثابتة
ومعنويات عالية حتى قضا عليهم بعد صبر طويل ومعارك طاحنة وبذلك انتهت ثورة
الزنج بعد فترة طويلة استمرت اكثر من اربعة عشر سنة .

ان المؤرخين اسهبوا في وصف الحركات العسكرية التي دارت بين جيوش بني
العباس وجيوش صاحب الزنج فلم يتركوا صغيرة ولا كبيرة الا وتم ذكرها وخاصة الطبرى
فلقد عاش معها وعاصرها ، لذا نراه يحفظ لنا كل شاردة وواردة من الناحية العسكرية
مع ان بقية النواحي الاخرى لم تنل ذلك الاهتمام الذى ناله الجانب العسكرى ، ومع
ذلك كان يعطى مواقف لها .

ومن اقوال المؤرخين نرى انهم حملوا على صاحب الزنج ونعتوه بالقاب كثيرة
حيث انه حاول اقامة دولة تتوفر فيها شروط السيادة والقيادة المستقلة عن سيادة
الخلافة العباسي فنراه ببني عاصمة له ويعمل على تحصينها وتسخنها بالمقاتلين
وتزويدها بالاسواق التجارية والدواوين وجميع مرافق الدولة ثم بنى المسجد وجعله مكانا

(١) الطبرى : تاريخ الامم والملوك ج ٨ ص ١٣٥ . سليمان بن جامع ثم ابراهيم

ابن صقر ونادر الاسد ونقلوا الى العوفية .

(٢) الطبرى : تاريخ الامم والملوك ج ٨ ص ١٣٨ ، ١٤٠ .

يجتمع به الناس ويؤمهم الصلاة ويخطب بهم في الاعيان والجمع والمناسبات ويعلمهم عن احوال دعوته وما يتلخ به ^(١) ولقب نفسه بأمر المؤمنين وكتب على العملة التي سكها في المختارة اسمه وكتب على العلم كل هذا من مواصفات الدولة .

ان العباسيين لم يستسلموا للامر ويتركوه يشتد عوده رغم ما عاصر دعوته وثورته من خارجين على السلطة ^(٢) فنرى ان جميع القوى تكاثفت على قمع ثورته والقضاء عليها .

فهناك اصحاب الاراضي والاقطاعات الواسعة الى جانب ملاك العبيد الذين جن جنونهم نتيجة لما اصابهم من فقد ان عبيد هم وسيطرتهم عليهم وما لحق بهم من خسارة اموال منهم على استعداد لهذا كل شيء وتقدم كل طاقاتهم في سبيل افشال حركة الزنج وعودتهم الى ما كانوا عليه من العبودية والاسترقاق لديهم . وهناك ايضا المتطوعين في سبيل الله معتبرين ثورة الزنج تمرد وخروج على الدين والدولة فوجب القضاء عليهم . كل هذه القوى رفدت قوة الدولة الهائلة من جند وطاقات مادية ومعنوية وسخرت كل شيء في سبيل افشال هذه الثورة التي شقت عصا الطاعة وخرجت على القانون فلم تعجز الدولة ان استعملت كل الوسائل التي يمكن ان تخدم مصلحتها ضد هذه الثورة فقطعت الطعام باحكام الحصار كما عملت السلطة على تأديب الاعراب الذين يتعاملون مع الزنج في التحويل والعقوبة بهم الضرر فانعكس هذا على الزنج فعضهم الجوع بناه وسامهم سوء العذاب واشرف في نفوسهم ، وهذه هادئة خطيرة نحو الثورة بل منعطف خطير في مسارها وخاصة في مثل هذه الظروف الحرجة . ان ستخر الموفق كل قواته العسكرية في احكام المراقبة ومنع الدخول الى المحاصرين اى مدد تمويني ، رغم ما قدمه الزنج من موافق بطولية فذة وهجمات عنيدة وشرسة العتقت بهجوش الخلافة اضرارا بالغة وصلت الى حد ان دعوتهم الى معسكر آخر حيث عملوا على ترتيب انفسهم .

ونتيجة لهذا الحصار الاقتصادي المحكم يروي ابن الجوزي - على الرغم مما فيه من بلاغة ^(٣) - أن الزنج اكلوا لحوم البشر لشدة جوعهم ونهبوا قهور الموتى فأكلوها - وعند ما علم الموفق بواقع حالهم هذا امن في الحصار اكثر واتبع سياسات جديدة زبادة على سياسة التجويع ، فتراه يوقع بالزنج ثغرة اخرى حيث فتح لهم باب التوبة والأمان فجاءوا الى معسكره باعداد كثيفة فاحترمهم والبسهم وسلمهم راتب قياادة واشرف بهم

(١) ابن الجوزي : مرآة الزمان ج ٨ ص ١٨٨ .

(٢) الصغار ، الحسن بن زيد . الخوارج في الموصل ... الكردى .

الطبرى : تاريخ الامم والملوك ج ٨ ص ٢ - ٤ .

(٣) ابن الجوزي : مرآة الزمان ج ٨ ص ١١٨ .

على معسكر خصمه فأوهن نفوسهم وزاد عدد الهاربين من معسكر الزنج ثم اتبع ذلك حركات خاطفة مبهدة للهجوم العام وطامعاً في زيادة عدد المستأمنين . وكان يريد إرباك صفوفهم وأحداث التساويات لديهم ، لماذا تمردنا ؟ من الرابع من كل هذا ؟ ما الذي كسبناه من تمردنا ؟ هل حققنا شيئاً لصالحنا ؟ . كما استعمل أسلوب الدعاية المركز في الحرب مثل حرق الزنج للعدن والقرى وقتل النساء والاعتداء عليهن وقتل الأطفال ثم اثبت بقتله النساء وبمع النساء من الماشميات والعلويات انه ليس علويًا فزاد في عداة العلويين له رغم ما انضم اليه من الشيعة وامرأة علوية طلبت منه ان ينقلها من زنجي لا خور له أطف من سابقه فرفض وقال سيدك فهو احق بك .^{١١}

كما انه ادعى بل ورفع شعار الخوارج ، علما ان الخوارج لم يكونوا مؤيدين من الشعب وسكان تلك الديار فاسم الخوارج كان مقرونا بالربح ، لذا نرى اهل البصرة هجروها وكذلك اهل القرى عند ما سمعوا ما حل بالبلد والاهواز وغيرها .

ويبدو ان صاحب الزنج لم تكن له هوية واضحة مرة شيعيا واخرى خارجيا وثالثة علويا ورابعة ثائر عربي جاء يخلص الناس من الظلم واخرى مهدية مسلحة منقذا . فوقع اخباره على الزنج تعمل بهم وحلت عليهم الثقة رغم ما هم فيه من سوء . فكان يطمع ان يحقق مجدا على اكتاف الزنج ولكن الزمن لم يسعده ، بل كان سيء الحظ لوجود العوفى حاكم تلك البلاد ، الذي كان يعتبر الخليفة الفعلي في سلطة بني العباس . وبدل هذا على مسدى الذعر الذي حل بالنفوس من خبر قتله ، ان خثر العوفى وقواده وجنده ساجدين شكرا لله تعالى الذي اعانهم للتخلص من هذا الناصر .

ويبدو هذا من اهمية العلوى وخطورته الجسيمة التي وصل اليها بل وتمثل الخلافة الى حالة من اليأس والخراب . ويبرز ذلك ايضا مما يتمتع به هذا الناصر من معيزات قيادة وثقافة عالية كان لها دور كبير في تصريف امور ثورته وتحقيق انتصاراته ، لذا نراه يعمل بالتنجيم والسحر ، وربما كان هذا سوء طالع له .

لقد كان لموت صاحب الزنج دوا هائلا لدى العوفى ولجميع اقطار الخلافة وخاصة بغداد وسامرا . ويبدو ذلك من الرسائل التي ارسلها العوفى الى بغداد والعواصم والمدن تقرأ على المنابر ، واقام الاحتجاج ورفعت الرايات بهذه المناسبة العظيمة وحققا انها عظيمة بالنسبة للسلطة ان شغلتها اربع عشرة سنة ونيف .

فاعاد العوفى الامن واقر السلام في تلك الديار التي خربت وبقي فيها زمنا حتى استقر الامر وأمن الناس .

ويبدو ان علي بن محمد لم يكن علويا ولا خارجيا بل استغلها في سهيل غايته ببراعة تدعو الى العجب بشخصيته التي نجعل اكبر مكنوناتها .

٢- ثورة الصفار

تمهيد :

مؤسس هذه الدولة هو يعقوب بن الليث بن الصفار^(١) فسهرته تبرهن على مقدار الاستعداد الذي تمكن من تحقيقه من بين القواد الطموحين من الاستئثار به عند اعتمادهم على الجيش الذي بنوه وكسبوا ثقته ، من خلال المهادن القتالية التي اثبتوا بها قدرتهم وحنكتهم العسكرية وجاء هذا في الحالة التي تضرخت بها مؤسسسات الدولة العباسية واتسعت ممتلكاتها وتباعدت اقطارها وعجز القائمون على ادارة شؤونها بجداره وكفاءة عالية ، اعطى للطامعين واصحاب النفوس الوثابة فرصة للتمرد والانفصال عن جسم الدولة .

فكانت ولاية سجستان^(٢) تابعة للطاهريين^(٣) فجزوا عن ادارتها وضبط امورها فظهر بها الخوارج وقويت شوكتهم وقوى نفوذهم على تلك الديار مما دعا بعض الناس الى التطوع لقتالهم . فقادهم المتطوع الورع صالح بن النصر الكتاني^(٤) وانخرط بسلك التطوع جمع غفير من اهل سجستان والذي يبدوان الخوارج لم يكونوا معيدين من قبل الشعب ويرجع ذلك لشراستهم وفتكهم بالناس دون تمييز مما دعا هؤلاء الناس للتطوع من اجل القضاء عليهم فانضم اليهم الأخوان (يعقوب وعمرو) ويبدوانهما على جانب من الورع بانخراطهم الى صفوف المتطوعين لقتال الخوارج - والذي يبدوان يعقوب كان يعمل صانعاً عند الصفاريين (اي النحاس) وهذا الذي يدل على كنيته .

تمكن المتطوعون من كسر شوكة الخوارج وتحجيم نفوذهم بل ربما القضاء شبه التام عليهم فقام نفوذهم وآل الامر اليهم ويدل هذا من ترك واليها الولاية . ووثقوا السلامة . وفي خضم هذه الاحداث لمع يعقوب وحظي بثقة عالية لدى قائد فرقة التطوع وقربه اليه وانزله منه بمثابة خليفة ، ولما جاء درهم بن نصر^(٥) يدل صالح سار معه

- (١) نسبه . لأنه كان يعمل بصناعة النحاس ج ٢٥ ص ٢٩٠ .
- (٢) سجستان : ولاية تقع بين نهر السند وفارس والجزء الجنوبي من خراسان ومعناها البلاد الجبلية . يا قوت الحموي : معجم البلدان ج ٢ ص ٨٠ .
- (٣) الدنبري : الاخبار الطوال ص ٢٩٢ .
- (٤) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٥ ص ٣٣٨ .
- (٥) ابا الفداء : سني ملوك الارض ص ١٦٩ .
- (٥) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٨ ص ٢١ .
- ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٥ ص ٣٣٨ .

يعقوب فعظم شأنه كما اتسع نفوذ درهم بن نصر وخافه صاحب خراسان فأرسل اليه يستميله ويقربه اليه حتى نفذ ما اراد فأرسله الى دار الخلافة حيث سجن الا ان الخليفة قربه منه وبقي هناك .

اما يعقوب اصبح القائد والمسيطر بعد غياب درهم وكان ذا قوة وشخصية صارمة وصاحب قهضة حد يديته ، ملك فرقة التطوع واستولى على ولاية سجستان والمناطق المجاورة فتوى نفوذه واتسعت رقعة املاكه واشتد بأسه فعزز الامن وضبط الطرق وحفظها وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ، فكثرت اتباعه ونازعته نفسه بالتوسع نحو الشمال ليملك خراسان التي هي مقر حاكم الطاهريين والموظعين من قبل الخلافة باذن شرعي . وطبيعيا في حالة تحرركه والقضاء على حكم آل طاهر لم يلق الاستحسان والقبول من الخليفة والسلطة ، وربما تكون بداية النقمة من السلطة نحو يعقوب وبداية النهاية لآل طاهر في خراسان .

ومع ذلك لم يحسب لأي امر من جانب الخلافة اى حساب ، فنراه يتقدم السى الشمال ويطرد عمال آل طاهر ويدخل هراة وهو شنج^(١) بعد معركة ليست بسيطة بل كانت اختبار لقوة آل طاهر فثبت لديه انه اقوى من خصمه فتشجع لمواصلة التقدم حتى يقضي على آل طاهر . وعلى الرغم من طموحه ونزعتة الميلالة للانفصال عن جسم الدولة الا انه لا يزال يظهر الطاعة والولاء للسلطة من كتبه التي وصلت سامراء واصفا حالته الهلاك وما وصلت اليه حتى جاء وضبط الامور ونشر الامن . ويبدو ضعف السلطة واضحا عندما ردت على رسالة جاءت من قبل طامع آخر هو علي بن الحسين يطلب فيها ولاية كرمان^(٢) ومشعرا السلطة ان يعقوب بلغ مداه بالتحدى وكسر الخراج وتهاطأ برسالة الى الخلافة ، وهنا نرى ان السلطة ردت عليه بمعهد الولاية على كرمان ونفوس الوقت ارسلت الى يعقوب بن الليث بمعهد ولاية كرمان^(٢) .

(١) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٥ ص ٢٣٨ .

(٢) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٧ ص ٥٢٠ .

ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٥ ص ٢٣٩ .

(٣) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٧ ص ٥٢٠ .

ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٥ ص ٢٤٠ .

٤٠ رتللاب السلطنة امام الاحداث :

والعوق السامق يعطي ازيد واجبة بالتصرف ويشير الى ضعف السلطنة وعدم قدرتها على وضع الامور بنصابها ، ومع ذلك ارادت ان تضرب القوتين لتقضي احدهما على الاخرى وتكتفي موهنة الهالك^(١) وفعلا حصلت على ما ارادت فقضى يعقوب على القائد "علي بن الحسين"^(٢) فأصبحت كرمان في ولايته وفي هذه المعركة مع قائد علي بن الحسين اظهر يعقوب حنكة وبعد نال وحسن تصرف رغم ما عترضه من واقف صعبة وقاسية ، فنراه يجمع عن خصمه كل خطراته وتحركاته وكانت تصله اولا بأول ولم يقف عند هذا الحد فنراه يشير انه القى عصا الترحال وآثر السلامة بالمودة الى سجستان واشعر طوق بن مفلس من طريق عيونته بذلك فخدع طوق ووضع آلة الحرب التي استمرت اكثر من شهرين فاراد ان يمتنع نفسه ويعوضها عما فاتها . ولم يعلم او يدرك ان بهذا كان حتفه والقضاء على نفوذه بل على حريته ، فنقل ليعقوب خبر وضع آلة الحرب واستكانة خصمه للراحة فكر راجعا يواصل الليل بالنهار ، لم يعترف للنوم طعما ولا للراحة لذة حتى دخلت غيوله معسكر خصمه مع الصباح الباكر تشير الرعب في صفوفه فتوقع الخسائر الكثيرة فكان القتل بالجملة ومن لم يقتل كان شريدا او مكبلا بالاغلال والقيود حتى القائد وقع بالاسر وكبل بالاغلال والسلاسل . وواصل يعقوب زحفه ومعه (طوق بن مفلس بالاغلال)^(٣) نحو علي بن الحسين فلم يكن هو احسن حالا من صاحبه بل كان مصيره نفس المصير ان اسر وكبل بالسلاسل وهنأتم للخلافة ما ارادت من توفير موهنة الهالك الا انها خسرت اكثر مما ربحت . ويبدو هنا قصر النظر لدى السلطنة آنذاك ، حيث ظهر لها خصم عنيد شديد .

٤١ رهاه يعقوب :

لم يرض يعقوب ان يعيش تحت مظلة الخلافة بل حدثه نفسه بأكثر من هذا وذاك وهذا ما سيثبت فيما بعد . ومع ذلك كتب بها حققة من نفوذ وسيطرة على خصمه الى الخلافة طالبا اقراره على تلك الدمار (كرمان وفارس) بعد ما ازال حكم (علي بن الحسين بن شهل)^(٤) ثم رجع الى سجستان التي اتخذها مقرا لحكمه وقد

(١) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٧ ص ٥٢٠ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ٧ ص ٥٢٣ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ٧ ص ٥٢١ .

(٤) المصدر نفسه ، ج ٧ ص ٥٢٣ ، ابن الاثير / الكامل في التاريخ ج ٥ ص ٣٤١ .

سبق وارسل بالهدايا الى الخليفة المعتر من دواب ومسك (١).

بهذا الموقف اشعر الخلافة انه لا يزال يدبر لها بالامانة والولاء . مؤكدا ذلك بما قام به من قتال مع القبايل الهندية والتركية بالمشرق كما دعى للخليفة على المنابر مشعرا بذلك الخلافة انه يرفع لواء الجهاد ويعمل على حماية الدولة وتقوية نفوذها . وعلى الرغم من ذلك الولاء فان الطمع لديه والطمع لم يكن ليخفيهما مهما تقسّص وابتدى من المواقف فلم يدر زمنا طويلا الا وترى الخلافة تنقل تحركات عسكرها نحو الغرب بدلا من الشرق وبدلا من ان يمدّها بالجند والموءن في حربها مع الزنج (٢) فتراه يضيف اليها متاعب جديدة ويفتح عليها بابا كان الاولى ان يبقى مغلقة فأدى ذلك الى تجمع قوات الخلافة في حربها مع الزنج فاتجهت اليه لتضع حدا لتقدمه ولتهد يده ولا يدرك ذلك الا بالموقف الصارم وهذا ماتم فعلا من قبل الخلافة . فيها هو ييسط سلطانه على وادي السند وكابل وامثل هرات ويوشنج وكرمان وفارس وكذلك ولاية بلخ (٣) ويطلب من الخلافة ان تعترف بذلك ، فلم نجد حيلة الا بالموافقة على طلبه وعاد الى سجستان وفي رجوعه نزل بظاهر بلخ وضرب توساد (وهي اُمنية بناها داود بن العباس من مانجور في بلخ) ، ثم سار الى كابل واستولى عليها وقبض على زنيسل ، ومع ذلك لا يزال يحافظ على خيط الوصل بينه وبين الخلافة حتى يكمل مخططه ، فيها هو يرسل هداياه مع رسله الى الخليفة والوزراء لعله يستعملهم او يسكنهم ولو قليلا ريثما يحقق ما يريد .

الا انه لم يستقر بسجستان وبكفي بالولاية فكثّر راجعا الى محمد بن طاهر فقبض على عامله وقربه في كرمان (الحسين بن طاهر) (٤) . فطلب محمد بن طاهر منه ان يطلق سراح ابن عمه وعامله فلم يجبه . ويبدو هذا انه بداية المناورة بشق عصا الطاعة للخلافة حيث تقدم نحو نيسابور مقر حاكم آل طاهر متعللا بمناجاة عبد الله السجزي وملحا على محمد بن طاهر بتسليم عبد الله السجزي وبلغ به التماسد والاستهتار

- (١) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٨ ص ١١ ،
ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٥ ص ٣٦٩ .
- (٢) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٨ ص ١٧٥ .
- (٣) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٧ ص ٥٩٢ .
- (٤) المصدر نفسه ، ج ٧ ص ٥٩٨ ،
ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٥ ص ٣٦٣ .

بحاكم خراسان انه دخل عاصمته ولم يستأذن منه بل رفض ان يسلم عليه . وطهريها أن هذا مؤشرا خطيرا نحو آل طاهر ان لم يلبث حتى عزله وعماله وعين العمال من قبله وخاصة . وهنا كان الاعلان الواضح من قبله نحو الخلافة هو التمرد على السلطة الشرعية^(١) . ومع هذا الموقف الواضح من قبله نحو الخلافة يعود ويكتب اليهم اسم ان ما قام به كان نتيجة سوء تصرف آل طاهر وتقصيرهم في احوال البلاد مقدما الدليل بظهور الحسن بن زيد العلوي بطهرستان والد يلم والسيطرة عليهما^(٢) فعمل على عزل آل طاهر وحبسهم ، الا ان الخلافة لم توافق على موقفه وخطوته هذه بل تدخلت الخلافة وطلبت من يعقوب ان يترك الامر على حاله في خراسان ويعود الى ولايته ان كان فعلا مطيعا مظهرًا تأسفه وندمه وان لم يفعل ما يأمره به الخليفة كان من العصاة المارقين على السلطة والجماعة ، وحملت هذه الانباء رسل يعقوب الذين ارسلهم للخلافة^(٣) بعد ما اكرمهم الموفق ابو احمد وخلع عليهم الخلع (الملايس) .

وبعد وان الرسالة التي حملها رسل يعقوب لم تخيفه بل استمر بتحركاته وتوسعاته في الامصار حتى دانت اليه . فلم يفتح بولاية سجستان وكرمان وفارس وبلخ والسند وقهستان والطبلسين وكابل ، بل نراه يحطم كل قوة تظهر في تلك الامصار حتى لا تهدده وتشكل عثرة امام طموحاته الواسعة .

والذي يبدو من تحركاته وتوسعاته انه كان يريد احكام سيطرته على الجناح الشرقي للخلافة وبهذه الفرصة للانقضاض على قلب الخلافة ، فلم يبق امامه بالمشرق الا طهرستان ذات السالك الوعرة والتي كان بها الحسن بن زيد العلوي ، لذا اتجه نحوه عام ٢٦١ هـ وهدد سلطانه وشتت ممتلكاته بعد حروب قاسية مبررة . ومع هذا النصر الذي لم يجني منه الا فقدان جنده فانه لم يحقق القضاء النهائي على خصمه هناك في الديلم وطهرستان^(٤) ، بعد ها رجع الى سجستان وكأنه اطمأن الى الجناح الشرقي بعد رجوعه وأخذ يعد العدة بالتوجه نحو دار الخلافة .

(١) الطهرى : تاريخ الامم والملوك ج ٨ ص ١١ ،

ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٥ ص ٢٦٩ .

(٢) الطهرى : تاريخ الامم والملوك ج ٨ ص ١١ ،

ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٥ ص ٢٧٠ .

(٣) الطهرى : تاريخ الامم والملوك ج ٨ ص ١٥ ،

(٤) المصدر نفسه ، ج ٨ ص ١٨ .

١- موقف السلطنة :

وامام هذه المواقف تنتشر الخلافة مرسوما على حاج خراسان والري وطهرستان وجرجان نافية ولاية يعقوب على خراسان وامرهم بالبراءة منه ولعنه لدخوله خراسان وحبس آل طاهر هناك منكرة عليه ما قام به من اعمال وحروب وقتل وجبي الخراج ومصادرة الاموال^(١).

ومع ذلك ظهر منافس جديد ليعقوب مهددا اطماعه ومشكلا خصما للخلافة هو محمد بن واصل^(٢) وازاء هذا التأثير الجديد فلم تسكت الخلافة هذه المرة فأرسلت حملة ذات مستوى رفيع من العدد والعدة يقودها عبد الرحمن بن مفلح - نائب ابو احمد الموفق في المشرق - الا أن هذه الحملة لم تحقق ما ارسلت اليه بل كانت مددا زادت في قوة التأثير باستيلائه على اموال الحملة وموئنها وحبس قائد ها عبد الرحمن واعطته دفعا بالسير نحو واسط بعد ما ضم الاهواز وكان بها موسى ابن بغسا وهو صاحب المشرق آنذاك والمسؤول عن تعيين الولاة والعمال . فلما رأى واقع تلك الديار وكثرة الثاثرين بها وعدم ضبطه لها بفقدان السيطرة عليها مما اضعف شوكة الخلافة بها ، فأدرك ان الامور فوق طاقته فطلب الاعفاء من جميع مناصبه ورجع الى سامرا مع عماله . فضم عمله الى ابي احمد الموفق بمرسوم صدر من الخليفة المعتمد^(٣) ولما سمع يعقوب بانتصارات محمد بن واصل هاله امره وحدثته نفسه بالتحرك نحوه من اجل القضاء على خصم جديد ظهر امامه ، فاتجه نحو الاهواز مقام ابن واصل . فأراد يعقوب ان يعمل به كذا عمل بطوق بن مفلس وقائده الحسن بن علي بن شهل بأخذه على حين غرة وان يداهه فجأة الا ان يقظة ابن واصل برصد تحركاته ومراقبة اعماله فوتت عليه الفرصة فوجده حرا يصا على لقائه ومستعدا له فأخذ يناور باللقاء حتى انهك جنده يعقوب وارهقهم بالسير السريع ومواصلة الليل بالنهار فلم يدخل المعركة بناء على توقيت منه بل دخل المعركة بناء على اختيار خصمه فالتقى الطرفان وكان جند يعقوب منهاكا ، الا انه ثبت امام ابن واصل وكسب اللقاء فتتبع فلول خصمه هاربا لا يابى على شي . وغنم الاموال والموهن التي خزنها ابن واصل في قلعة والتي كسبها من جند الخلافة اثناء

(١) الطهرى : تاريخ الامم والملوك ج ٨ ص ١٨ ،

ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٦ ص ٧٠ .

(٢) الطهرى : تاريخ الامم والملوك ج ٨ ص ١٩ .

(٣) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .

لقائه مع عبد الرحمن بن مفلح^(١) واستقر هناك ناشرا سلطته وموزعا عماله وجاهيها للخراج في تلك الديار وموذيها خصومه مثل اهل زم^(٢).

بعد هذا الانتصار وهذا الكسب والثراء الذي جناه حتى غصت به خزائنه لم يكن يدم طويلا امام السلطة المركزية الا انها طأطأت رأسها مرة ثانية وناقضت ما اعلنته بالامس القريب - بلعنه امام حاج خراسان وطبرستان ومعلنة البراءة بعدم شرعيته بولاية خراسان - ان اعلن المرسوم الذي اصدرته الخلافة بعد ان اسفرت المراسلات والمفاوضات (ما بين يعقوب الذي اصبح ندا للخلافة وبين السلطة الشرعية) ان جلس ابو احمد الموفق ببغداد واعلن امام حاج وتجار خراسان ان امير المؤمنين امر بتولية يعقوب بن الليث خراسان وطبرستان والري وفارس وشرطة دار السلام وكان ذلك بصحبة صدقة درهم بن نصر^(٣).

هذا المرسوم الذي صدر عن الخلافة قد تكون معذورة في ذلك لانها كانت تشعر بالضعف وخاصة انها تخوض غمار معركة رهيبة منذ زمن مع صاحب الزنج ، وربما ارادت ان تعجم الوضع ريثما تضع نهاية لحرب الزنج القائمة آنذاك ، هذا زيادة ان سيطرتها على الاجزاء الشرقية باتت شبه معدومة ، ناهيك عن الجناح الغربي الذي بدأ يلح بالاستقلال والانفصال عن السلطة الشرعية (احمد بن طولون بمصر والشام) . واحتمال آخر انه لم يكن امامها اى خيار غير هذا ولربما انها خشيت ان يواجه يعقوب صفه مع صاحب الزنج وهناك تكون الطامة الكبرى على الخلافة فلا تستطيع ان تقف وحتى مجرد مناورة ، بل ربما ينضم الثائرون الآخرون لهذا الاتحاد من اجل تعجيم قوات السلطة والذي خشيته الخلافة فعلا .

الا ان يعقوب رفض طلب صاحب الزنج بتوحيد العواقف وكان هذا كسبا للخلافة وخسارة لخصومها . وقد سجل هذا الموقف ضد يعقوب ، وربما ان طموحه وتطلعاته كانت ابعد من ان يلتزم مع ثائر آخر يقاسمه الفخيمة وهو صاحب النفوذ الواسع بل شبه الوحيد بالجناح الشرقي اذا ما قيس بمساحات صاحب الزنج الذي قمع في تلك

(١) الطبرى : تاريخ الامم والملوك ج ٨ ص ٢٠ .

يقال ان الاموال بلغت اربعين الف الف واسر خال ابن واصل .

(٢) الطبرى : تاريخ الامم والملوك ج ٨ ص ٢٠ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ٨ ص ٢١ ،

ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٦ ص ٨ .

السباغ والهطاح وهذه الاسباب ربما دفعت يعقوب ان يرفض طلب صاحب الزنج وأي طلب آخر لمثل هذا الموقف . ووصل به الامر أن رفض المرسوم الذي اعلنته الخلافة بتوليته على المشرق وشرطة دار السلام حيث رجعت الرسل مخبرة رفض يعقوب وتنقل قوله الخطير : انه لا يرضيه ماكتب اليه من مرسوم دون ان يتق على ابواب السلطان^(١) . ولعمري هذا قول جد خطير ثمنه جسيم غال ولا يقدر عليه الا من يعرف انه اهل له ومدعوم بالقوة وبكل شيء .

ماذا تعمل الخلافة ازاء هذا الموقف ؟ تسكت ، ام تطأطئ مرة أخرى ، ام تناور .

ان سكنت فأبواب دار السلام وساءراء مفتوحة ، وازا دخلها يعقوب ماذا يكون ؟ ايقبل بأن يمكن الوصي على الخلافة ام انه يجلس على كرسي الخلافة ؟ وازا طأطأت الخلافة هذه المرة ، ماذا سيكون الثمن وقد رفض يعقوب مبدأ التفاوض واعلن طموحه وحدد هدفه الاعلى ابواب السلطان ، فلم يقنع بالولاية وشرطة دار السلام حتى لم يقبل ان يشترط شرطا واحدا او جزءا من شرط قد يكون بصيص ضوء شمعة يسترشد بهها الناس في ظلمة الليل الداكن امام هذه الاخطار الجسام فلا بد للخلافة ان تتحدى . ويبدو ان الخلافة اتخذت موقف المناورة فلم تسكت ولم تنحني امام هذه الجسام والذي يسمو للعظيم لا بد ان يقدم العظيم . وفعلا بدأت بمخطتها فنراها تكتسب مرسوما الى آل ساسان فيها وراء النهر تترهم حكاما مسوولين عن تلك الدمار مقيمة قوة جديدة تنافس يعقوب في سلطته ونفوذه في المشرق . فربما كانت تطمع من هذا ان يراجع يعقوب عن زحفه نحو دار السلام ويلتقي مع آل ساسان فيها وراء النهر . الا أن يعقوب ادرك الخطر المترتب على الرجوع فصمم على البقاء والاستمرار بالزحف نحو دار الخلافة .

ويبدو ان هذه المناورة لم تعط اي نتائج لصالح الخلافة لكنها بالمقابل جمعت رصيدها الشعبي والعسكري وعملت على حشد الطاقات وسحبت بعض القوات من امام صاحب الزنج وهتقت تشغله بقوات رمزية وبلقاعات خاطفة رهشا تضع حدا للخطر المائل والزاحف نحو ابوابها .

(١) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٨ ص ٢٢ .

ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٦ ص ٨ .

تقدمت قوات الخلافة يقودها ابو احمد الموفق - الذي انسحب من امام الزنج من اجل هذه اللقاءات - من بغداد فعسكر بالزعفرانية حتى تكتمل قواته وتتوافد المتطوعة، ولأهمية الموقف نرى الخليفة المعتمد يلحق بالجيش ويحده بقوة اخرى - وهذا يدل على عظم الموقف وقسوته - .

ثم واصل تقدمه حتى استقر بالجانب الغربي للنهر في منطقة سيب بني كوسا، وهناك التقت عساكر الخلافة مع قوات سرور الهلبي الذي سار من غرب دجلة باتجاه عساكر الخلافة^(١) من اجل توحيد القوى وضرب الخصم . وفي اثناء ذلك كان يعقوب بن الليث يسرع الخطى نحو لقاء خصمه فنراه يترك واسط صوب دير النماقول حتى واجهت قواته عساكر الخلافة .

١٠ دور الموفق بن المتوكل :

بدأت الاستعدادات ووضعت الخطط الحربية وأخذ كل واحد يرصد خصمه قبل ان يدخل في لقاء حاسم ، الا ان الموفق قائد الخلافة كما يبدو لم يترك وسيلة الا وسلكتها في سبيل تجنب اراقة الدماء ، وتوفيرا للاموال ، فأرسل الرسل ودارت المراسلات وعرضت العروض من قبل الخلافة ، واثناء ذلك رتب ابو احمد جنده وعيّن قواته ماديها ومعنويها وبث فيهم روح الحماس للقاء الخصم وامرهم بتقوى الله . والذي يبدو أن يعقوب لم يطلب طلبا واحدا ولم يذكر سببا لقتاله جند الخلافة فحدد ساعة الصفر لهداية اللقاء ، وقام بهجمة قوية ومركزة على عسكر الخلافة حتى انها اربكت ميمنة جيش الموفق ودحرتها عن مواقعها وتسرب الذعر والرعب الى جيش الموفق وكادت الدائرة تدور عليه وعلى جنده الا انه اظهر شجاعة نادرة وصبرا قويا فأخذ يجول على جواده ويهتف بهنوده انا ابو احمد الموفق انا الفتى الهاشمي .

(١) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٨ ص ٢٢ ،

ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٦ ص ٨ ،

ابو الفداء : تاريخه ج ٢ ص ٥٨ ،

ابن تغريبردي : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٣٧ ،

ابن الجوزي : المنتظم ج ٥ ص ٣٢ .

المراحل الاولى للقتال :

أثار الموفق الهمم وشجع المسيرة والقلب فرجعت ميمنته واخذت موقعها وصبر جنده وشبوا رغم ما لحق بهم من قتل فنقل الهجوم على قوات يعقوب وفتحوا شجرة تمكنوا بها ان يصيبوا يعقوب بثلاث ضربات شديدة الا انها لم تكن قاتلة ، فبدأت صفوفه تتركة وتنضم لعسكر الخلافة ، ولم يبق معه الا قلة من خلع اصحابه ومع ذلك لم يستسلم (١) .

ترك يعقوب المعركة وفر هارباً نحو الشرق ، الا ان السلطة لم تتشط بملاحقته سريعاً . ومع ذلك نرى ابا احمد الموفق يمرض الصلح عليه فيرفض ، وهذا يدل على بعد النظر الذي ابداه ابو احمد الموفق (٢) . واستمر الموفق في القتال حتى وصل الى محمد بن طاهر وفكه من حبسه وأمره وقتله ما كان عليه .

تحجيم قوة يعقوب :

اما يعقوب فذهب الى خوزستان ودخل ساهور يللم شعثه ويجمع انفاسه ويدأوى جراحه ويعيد تنظيم صفوفه ويجمع الاموال ، وفي اثناء ذلك جاءت رسال صاحب الزنج تطلب منه ان يرجع الى بغداد ويجتمعان على حرب الخلافة ، ويبدو ان صاحب الزنج الذي شعر بالراحة النفسية اثناء قتال يعقوب ، بدأ يدرك أن الدائرة اقتربت منه وان مصيره سيكون كمصير يعقوب فأراد ان يجمع الحشود للقضاء على الخلافة قبل وصولها اليه . فرد عليه رغم الظروف الحرجة والصعبة التي يعيش بها ، رداً يدل على تعاضد الاهداف واختلاف المنهج ما بينهما (٣) حيث كتب له (قل يا ايها الكافرون ، لا اعبد ما تعبدون . ولا انا عابد ما عبدتم ولا انتم عابدون ما اعبد لكم دينكم ولي دين) .

خسر يعقوب جل امواله حيث غنمتها الخلافة وعوضت ما خسرت مع صاحب الزنج

(١) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٨ ص ٢٢ ،

ابن الجوزي : المنتظم ج ٥ ص ٢٢ ،

ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٦ ص ٢٢ .

(٢) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٨ ص ٢٢ ،

ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٦ ص ٢٢ .

(٣) صورة الكافرون .

وما خسرت مع محمد بن واصل والذي استولى عليها يعقوب فرجعت الى بيت مال الخلافة .

ان ما جمعه يعقوب من اموال ابتدا^١ من خراسان وطبرستان والديلم وفارس وكرمان كل هذه الاموال رجعت للخلافة فتوّت صفها وزادت عطا^٢ جندها .

ويبدو ان يعقوب جانب الصواب بحمله تلك الاموال الكثيفة والتي الحققت به الفقر بل كانت قاصمة له رغم ما اهدى من ثقة بالنفس وما اظهره من صبر الا انه مغموس بالألم والغصة بجسامة تلك الخسارة العظيمة امام قوات الخلافة ، وهذا ربما يدل على عدم بعد النظر لدى يعقوب بهزحفه وعدم رضاه بما قدمته له الخلافة من مناصب واموال واصبحت نصف مساحة الدولة تحت تصرفه وامرته . ولينسه قبل كل ذلك لو فر الأموال والا نفس وعاش غير معذب النفس ولا متألم بما صار اليه مصيره .

لم يكد يرجع الخليفة المعتمد الى دار السلام وسامرا حتى انتشرت اخبار الانتصارات وخاصة دار السلام وسامرا ويبدو ان تلك المعركة لم تكن لقا^٣ بسيط مجرد خروج جماعة او قطاع طرق ، بل كانت بين قوتين منظمتين ومدربتين عسكريا وخاصة قوات يعقوب التي اجتاحت المشرق حتى دار السلام ، فهي تنتقل من معركة الى اخرى ومن نصر الى نصر حتى خسرت ذلك في اللقاء^٤ مع عسكر الخلافة بقيادة ابي احمد الموفق . وتلك المعركة كما يبدو زادت من سلطة الخلافة وقوت نفوذها في دار السلام وسائر المناطق المجاورة وحتى في الامصار الشرقية ، فأعطت الخلافة قوة بعد ضعف ومرونة بعد انكماش وصحوة بعد غفلة ، وتجلى ذلك بالفرح والسرور الذي عم الناس باقامة المهرجانات واللقاءات وعبروا عن تلك الانتصارات شعرا ونثرا ووصفت حالة الصفيين واعطيت مدلولات لصفات القادة مظهرة ان الموفق بطل ذلك اللقاء^٥ ، ويظهر ذلك ببعض الابهات

الشعرية المنتقاة حيث يقول الشاعر :
نعب الغراب عدمته من ناعب
لولي عهد المسلمين مناسب
ولقد اتى الصغار في عدد لها
جلب القضاء اليه حتفا عاجلا
وولي عهد المسلمين موفّق
يا فارس العرب الذي ما مثله
من فادح الزمن العضوض ومن لسقى

وصبا فوادى لأوكار حبائبي
شرفت واشرف نورها بمناسب
حسن فوافقهـن نكبة ناكب
سقى ورعا للقضا الجالب
بالله أمضى من شهاب ثاقب
في الناس يعرف آخر النواصب
جيش لذي غدر حرّون غاصب (١)

ومع ذلك لم يوضع حد ليعقوب وبقي يتعرض لولاة وعمال الخلافة فنراه عام ٢٦٣ هـ يتعرض ويهجم على احمد بن ليشونة الذي بدوره ترك تستر ليعقوب^(١) وسار الى الاهواز فلحق به يعقوب ودخل الاهواز ومع ذلك خسر امام علي بن اهان الزنجي واتفق معه ان يحمل علي الاموال والموثني ويترك الغلال ليعقوب وهذا موقف يدل على الضعف الذي وصل اليه يعقوب مما اجبر على التهاون مع قائد صاحب الزنج^(٢).

استمر يعقوب يوسع دائرة نفوذه رغم ما هو فيه فنراه يضم الضميرة^(٣) الى املاكه. ويبدو انه ليس بهذا صولة وشوكة كما كان عليه قبل الاندحار على الرغم من انضمام محمد بن المولد لصفه ضد الخلافة.

لقد عاش يعقوب حياة قاسية مليئة بالمشقات والصعاب مشحونة بالسهر واليقظة التي تشد الاعصاب وتديم التفكير من اجل تحقيق طموحاته وتطلعاته لبنا* مجد شخصي او قومي . وما رافق تنفيذ هذه التطلعات من تخطيط ولقاء* مع الخصم في ساحات القتال فلم ينج من الجراح ، وهذا كله لم يسمح له ان ينعم بطبيب العيش وينصرف الى الملذات كغيره ، بل كان يواصل الليل بالنهار ، وكان النهار ارضى سدوله على الليل فاذ هب ظلمته واشرقت عليه الشمس فحالت الى نهار فكان عمله ليل نهار ، رجل جلد صبور على اللقاء* . فكل هذه المواقف وهذه الامور لابد ان يضع لها حدا ، ولم يستطع الانسان ان يتخلص من مثل هذه الامور رغم الهزيمة والمرض ، لأن النفس تنبثق طموحة واسعة الخيال كثيرة التمني فلا يسكتها الا قوة صارمة لا يهلك معها الا التسليم والرضا بقضاء الله وقدره .

فكان يعقوب احد هذه الجموع التي اسلمت نفسها واستسلم صاغرا في عام ٢٦٥ هـ^(٤) وكأنه لم يعيش وان بقيت ذكراه في صفحات الكتب وبين السطور وعلى شفاة

(١) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٨ ص ٣٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ٦ ص ٣٤ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ٦ ص ٤٣ .

(٤) الشاهشتي : الديارات ص ١٠٤ ،

مؤلف مجهول : اخبار العيون والمدائن ج ٤ ص ٣٨ ،

الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٨ ص ٤٤ ،

ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٦ ص ٢١ ، ٢٢٠ .

الذين يبحثون عن الحقيقة ، تاركا الامر والمسؤولية لا تمامها لأخيه عمرو بن الليث .

ويروى ان الموفق قد ارسل اليه الرسل ليعود للصف والطاعة وينال العفو والصفح من الخليفة الا ان نفسه لم تطاوعه على الاستسلام والخضوع للخصم حتى في أشد الاحوال ضعفا . فأحضر رسول الخليفة واجلسه بجانبه ووضع السيف ورغيف خبز وبصلة وقال للرسول : قل للخليفة فاذا شفيت فليس بيني وبينه الا هذا السيف وان كسرني وغلبنني وافقرني عدت فأكل الخبز والبصل ، وان مت من مرضي هذا فقد استراح مني واسترحت منه .^(١) ويروى صاحب المنتظم ان وفاة يعقوب كانت سنة ٢٦٥ هـ بالاهواز فحمل تابوته الى جند سابور ، وخلف في بيته اموالا كثيرة وكتب على قبره هذا قبر يعقوب المسكين وعليه بيتين من الشعر :

احسنت ظنك بالاهام ان حسنت

ولم تخف سو ما يأتي به القدر

وسالمتك الليالي فاغررت بها

وعند صفو الليالي يحدث الكدر^(٢)

طويت صفحة في التاريخ سجل فيها حوادث ، ومواقف ليست بسيطة يمر عليها القارىء من الكرام ، بل انها تجذبه للاستطالة والتمعن والتأمل بهذه الشخصية الطموحة وما هي عليه من انفة وعلو همة ، رغم الواقع الذي كان يعيش به فلم يقف امامه الفقر وقلة العشيرة والصحب بل جعل العشيرة الشجاعة والصحب ساحات القتال فكثرت العشيرة بعلو همتهم وجمع الافراد ووسع سلطانه ونفوذ .

لم يرغب يعقوب في بداية امره بالاستقلال عن الخلافة العباسية ، بل كان طموحه ان ينصبه اميرا على البلاد التي كانت في حوزته ، الا ان الامور اخذت تسليج عليه بزيادة نفوذه وخاصة عندما وقف على ضعف آل طاهر بخراسان فدخلها واسرهم وعين عماله وجمع الخراج والاموال واخذ يطمع بالمزيد فأدركت الخلافة سو اطماعه فأخذت تراقبه بنفس الوقت تعمل على كسبه لصفها ، ومع ذلك لم يهرم اى اتفاق ولم يعط وعدا ولم يلتزم بأى موقف ، وربما يعود ذلك الى ان اطماعه اخذت تدفعه نحو السيادة والسيطرة وتتخطى القناعة بالولاية على خراسان وما جاورها بل حدثته نفسه بالوصول

(١) ابن تغريدى : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٤ ،

ابو الفدا ، تاريخه ص ٥٢ .

(٢) ابن الجوزى : المنتظم ج ٥ ص ٥٦ .

الى باب السلطان وتقرير مصيره هناك . وربما يعود اتخاذ لهذا القرار للحالة التي تعيش بها الخلافة من حشد الطاقات والجنود من اجل القضاء على ثورة الزنج التي اشتدت شوكتها وصلب عودها . فكيف يقتنع وقد انهى آل طاهر من خراسان ودالت له المشرق حتى فارس واصبح قاب قوسين او ادنى من دار السلام . فأسرع يشد السبيل من واسط مارا بدير العاقول حتى قابل جند الخلافة في سيب بني كوما على شاطئ نهر دجلة من الغرب ، الا انه لم يكسب هذه المرة بل خرج خاسرا لا يلوى على شي مما كان معه حتى جنده انضموا لجند الخلافة (١) .

وربما زاد من طمعه ان الخلافة كانت قواتها مقسمة وموزعة في لغات عديدة ان لم يكن هو الشاثر الوحيد ، فهناك مساوئ الشاري بالموصل (٢) والعلوى الناصر بالكوفة (الذي قتله صاحب الزنج) (٣) والحسن بن زيد في الري وطبرستان (٤) والكردي في فارس (٥) ومحمد بن عبيد الله أزارقرد في الاهواز (٦) ، وهذا قليل من كثير ممن شق عصا الطاعة على السلطة . فلو قدر لهذه القوى المشتتة ان تتجمع تحت قيادة واحدة وتحت شعار القضاء على الخلافة ، فلربما حققت جميع اطماعها وغاياتها وضربت الخلافة ضربة قاضية .

وامام هذا المشهد من الشاثرين على السلطة ندرك ان يعقوب رغم التوسع الذي حققه في الشرق حتى دير العاقول ، ورغم طموحه وذكائه وما يتمتع به من علو همة ونشاط جم ، الا انه لم يكن من ارباب السياسة والادارة في ادارة ممتلكاته فلم نلمح قواد ولا عمال بارزين لديه يشاركونه المسؤولية في تصريف امور تلك الديار الواسعة فهو القائد والقاضي وخازن بيت المال فكل شي كان يقرره بنفسه . فقد ظل في حياته الخاصة جنديا يرتدى الملابس القطنية كما اولى الجيش اهتماما كبيرا ولم يعط المؤسسات الادارية اى اهتمام فلم نلمح او نقرأ في ثنايا امهات المصادر شيئا من هذا القبيل سوى توسعاته وتحركاته من اجل السيطرة وبسط النفوذ وجمع الاموال ومصادرة اموال المعارضين له فانعكس هذا عليه فقل انتصاره وموحيده ودفع الآخرين بترك صفه والانضمام لصف

(١) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٨ ص ٢٤ . عام ٢٦٢ هـ .

(٢) اليعقوبي : تاريخه ج ٣ ص ٢٢٥ .

(٣) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٨ ص ١٦ . قتله صاحب الزنج سنة ٢٦٠ هـ .

(٤) المصدر نفسه ، ج ٧ ص ٥٩٧ .

(٥) المصدر نفسه ، ج ٧ ص ٥٩٨ .

(٦) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٦ ص ٢٢ .

الخلافة ، كما انه لم يستغل واقع الخلافة السيء والمتردى نحو الانهيار ، فلم يوسع دائرة صلاته الدولية فلم نراه يهرم اى اتفاق مع اى جهة كانت بل لربما كان يرى نفسه الوحيد في الميدان ما جعله يسخر من الآخرين ويرفض اى طلب يوجه اليه بالتعاون حتى مع صاحب الزنج حيث رد عليه بكتاب شديد المحتوى قال فيه (قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون . ولا انتم عابدون ما اعبد . ولا انا عابد ما عبدتم ولا انتم عابدون ما اعبد لكم دينكم ولي دين) .

ثم دخل بمقتال مع الكردي ومع الخوارج ، كل هذه المواقف تعطي دليلا على انه لم يكن من ارباب السياسة بل كان قائدا عسكريا في ساحات القتال ولم يمس بادارى محنك ، فلقد حمل الاموال ولم يكن له بيت مال بل نراه يحمله في حله وترحاله حتى وقع في يد الخلافة فاصبحت عوناً لها عوضت النقص الذى حصل في ميزانيتها ومصروفاتها التي تجاوزت حد الوصف في حروبها مع صاحب الزنج . ولم يكن شبيها بصاحب الزنج الذى بنى عدة مدن (المنبجة ، الحصن ، المختارة) وزودها بجميع المؤسسات الادارية والتجارية ، والمؤسسات الرسمية والشخصية ، وهذا مؤشر على قصر نظره فيما يتعلق بالامور الادارية .

وكذلك رفضه طلب الخلافة بالمصالحة والموادعة فرد على الرسل ليس ببني وبينها الا هذا السيف واذا انكسرت وافتقرت فارجع واكل الخبز والبصل (ويبدو من هذا القول انه كان من الطبقة الفقيرة ومن اسرة ليست عربية ولم يكن من اهل الجاه) . الا ان طموحه دفع به الى هذا النسب الرفيع ، فنراه لم يشرك اخاه ولم يسند اليه امر ، ولم يظهر اسمه في الحروب الا بعد موت يعقوب ، وهذا يدل على انه كان الوحيد في كل التحركات واللقاءات والآخرين سامعين مطيعين .

ويبدو ان الكتب التاريخية وحتى الادبية لم تشر الى اى تنظيم قام به يعقوب خلال الفترة التي كان بها قائدا شاقا عصا الطاعة ، فلم تعط التفاصيل عن اللقاءات العسكرية كما فعلت بشيرة الزنج رغم امتداد نفوذه الواسع الذى شمل الشرق حتى قارب ابواب بغداد ، سوى انه جمع الاموال وصادر اموال الاثرياء والذين لم ينفقوا بجانبه وحمل معه جميع تلك الاموال حتى وقعت بيد الخلافة .

ونقول من اين جمع هذه الاموال ؟ فأحد امرين : اما انه جمعه نتيجة فرض الضرائب الباهظة ، ومصادرة الاموال في المناطق التي لا يزال باسطا نفوذه

عليها ، او انه بقي لديه مال وفير رغم ما تركه من اموال جمة للخلافة عند اندحاره امام عساكر الخلافة عام ٢٦٢ هـ . والاحتمال الثاني يبدو انه اقرب للواقع من الأول .

وفي الختام نقول انه لم يتخذ مقرا لحكمه وان رجع الى جند نيسابور وجعلها مقرا انطلاقه وتعرضه لعمال الخلافة وربما جعلها عاصمة له الا انها لم تشحن بالمؤسسات ولم تأخذ مركز عاصمة او مقر حكم لانها لم تتميز .

لم يكن من اسرة عريقة ذات مركز اجتماعي ، الا انه كان طموحا وشجاعا ، استغل فرقه التطوع ضد الخوارج فكانت سببا في اظهار نبوغه العسكري وارتقائه مركزا قياديا ، حتى اصبح صاحب الأمر والنهي .

كانت حركته من اخطر الحركات آنذاك وابعدها تأثيرا على الخلافة حيث اوقفت نشاطها نحو صاحب الزنج وانصرفت اليه بكل قواها وجندها حتى حققت النصر التام عليه وقضت على اطماعه رغم انه بقي يمارس نشاطا بعد الاندحار الا انه كان ضعيفا ، وقليل الشأن ، ودل ذلك على ان الخلافة استأنفت نشاطها الحربي بلفاق صاحب الزنج ورمت بثقلها حتى قضت عليه كما ورد في ثورة الزنج من هذا الفصل .

ترك يعقوب الأمر من بعده لأخيه عمرو بن الليث الا انه لم يشارك اخيه من حيث الانفصال والتمرد فانصاع للسلطة وظهر الولاء ، وبقي يمارس عمله حتى نهاية الدولة بهوته عام ٢٩٠ هـ . وكان الفضل في اندحار هذه الحركة والقضاء عليها لعبقريته ابو احمد الموفق وحكمته وحنكته الحربية والادارة وتم له ما اراد .

٢- الثورات العلوية قبل ثورة الحسن بن زيد :

بعد الفشل الذي مني به التحرك الثوري الذي قام به العلويون في السدور العباسي الاول ^(١) ، اتجه الى السرية والعمل المنظم المستمر ، فكانت حركاتهم في هذا الدور اكثر خطورة واعق تأثيرا في الحياة السياسية للدولة . وكانت من العوامل الرئيسية التي ادت الى اضعافها ، نتيجة انسلاخ مناطق واسعة عن السلطة المركزية وممارستها سياسة استقلالية بعيدا عن اى نفوذ للخليفة .

تعددت الثورات التي قام بها العلويون وكثر الخارجون منهم في القرن الثالث وجاه تزامن الثورات ما بين ٢٥٠ - ٢٧٥ هـ .

٣- ثورة يحيى بن عمر بن يحيى : ^(٢)

من اوائل الحركات التي قامت في تلك المرحلة حيث ثار بالكوفة وحشد الناس للقاء السلطة لكن نفوذ لم يتعدى الكوفة ولم يستطع أن يقاوم السلطة على الرغم مما حشده من قوات لانه لم يكن له خبرة ، فسرعان ما اقل نجمه وخسر نفسه ، الا انها كانت الهداية لمشروع ثورات اخرى فيما بعد .

٤- ثورة علي بن زيد العلوى :

ظهر في الكوفة عام ٢٥٦ هـ علي بن زيد العلوى على مسرح الاحداث السياسية بعد انكشافها طويلا في العهد السابق .

لم يتمكن العلويون من النجاح في المناطق القريبة من مركز السلطة حيث فشلوا اكثر من مرة ، الا انهم بدأوا ينتشرون في الاماكن البعيدة عن المركز ، وقد ادرك هذا في الدور العباسي الاول يحيى بن عبدالله رغم انه انتهى تمرده ورجع الى السلطة وعاش

(١) مثل محمد بن عبدالله الملقب بالنفس الزكية بالمدينة واخوه ابراهيم بالبصرة ثم هروب الاخوان ادريس الى شمال افريقيا ونجح ، ويحيى في طبرستان ثم رجع الى بغداد حتى مات بها وغيرها من الثورات .

(٢) يحيى بن عمر بن يحيى بن حسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب .

الطهرى : تاريخ الامم والملوك ج ٢ ص ٤٢٥ .

في بغداد حتى مات واخوه ادريس الذي اتجه غرباً فتم له النجاح بعد ان هربا من
موقعة فخ (١) وهذا الحسين بن احمد بن اسماعيل المعروف بالكواكبي يظهر بقزوين
سنة ٢١٥ هـ ، ولم يحقق النجاح ، الا ان حركته اعطت الخط الثوري مداً ، فجاء بعده
وينفس المكان اسماعيل بن يوسف العلوي (٢) . وكأن هذا المكان أخذ يستعد لاستقبال
بذرة جديدة وبتهيأ لحضانة ميلاد جديد لهذا الفرع العلوي .

وهنا تتغير الصورة فبدلاً من ان يظهر شخص يبحث عن الاعوان والمؤيدين
نرى ان سوء المعاملة التي تقع على الشعب من قبل عمال السلطة تجعلهم يبحثون عن
قائد يقودهم من اجل رفع الظلم ونيل الحرية والعيش الكريم شعوراً بانسانيتهم ودفاعاً
عن حقوقهم المكتسبة ، فليس للسلطة مهما بلغت بقسوتها وشدتها ان تسلب الانسان
انسانيته وحقوقه البسيطة بالحرية والتملك وقول كلمة الحق . تقدمت جموع الشعب
تبحث عن قائد يقود الشعب بعدما توفرت الامكانيات وتهيأت النفوس ونتيجة لهذا الحس
اتجه الى طبرستان احد العلويين طالبيين اليه ان يقودهم على يخلصهم مما هم فيه
بعدما استولت السلطة على اراضيهم ومصادر عيشهم الا ان الزعيم الذي قصدوه (٣)
اعتذر ولم يجد بنفسه الكفاية فأشار عليهم بمن هو اكثراً منه فدلهم على الحسن بن
زيد العلوي (٤) .

٥ - ثورة الحسن بن زيد :

قاد الثورة بعدما تمت له الهبة من اهل طبرستان والديلم واهل كلا وشالوش
وطردوا عمال السلطة وتوالت تلك الديار بالانضمام الى قائد الثورة مباحين بالولاء
والطاعة وبهذا العمل اصبح الديلم مهيأ لانتفاضة علوية ، حصلت سلطة الخلافة هناك

(١) مكان ما بين مكة والمدينة ، موقعة بين جيش السلطة المركزية والثائر محمد بن
عبدالله ذو النفس الزكية .

(٢) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٨ ص ٤٧٧ .

(٣) محمد بن ابراهيم العلوي .

الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٧ ص ٤٣١ .

(٤) الحسن بن زيد بن محمد بن اسماعيل بن زيد بن الحسن بن زيد بن علي .

الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٧ ص ٤٣١ .

ابن قتيبة المعارف ج ٧ ص ٣٦ - ٣٧ .

ومضت قد ما توسع نفوذها وسلطتها ، وبذلك استمرت اول تجربة علوية في ارض الد يسلم تسير نحو النجاح والوصول الى الحكم على الرغم من المقاومة التي وجهت اليها ، ولم يتمكن خلفاء السلطة من القضاء عليها مكرها بل عاشت فترة من الزمن رغم الانتكاسات التي تعرضت اليها . أخذت قوات الحسن بن زيد تزداد مع الايام بعدما ضم اليه مدينة آمل واتجه الى سارية المدينة التي تحصن بها سليمان بن عبد الله عامل السلطة ورغم تحصينات سليمان لسارية الا انه هرب لا يلوى على شيء ، حتى اسرته تركها في المدينة فأرسلها الحسن بن زيد اليه بجرجان (١) .

لقد كانت هذه المعركة دفعا جديدا للحسن ودعما ماليا كبيرا لتقوية قدرته القتالية بما نال من اموال وموئن بعد الانتصار على سليمان بن عبد الله ، وبلغ الأمر بسليمان انه تخرج من لقاء الحسن عندما اتجهت قواته الى طبرستان ، وربما يعود لكثرة التشيع والمناصرين للحسن وكرههم للسلطة وخاصة بعدما استولت على مصدر عيشهم واعز ما يملكون من مراعي لماشيئهم .

اشدد ساعد الحسن وكثر اشيائه ، ووصلت الانباء الى مركز السلطة فبشدات بتطويق التوسع وامرت عاملها ان يقيم بهمدان حتى لا تتسع اماكن الحسن بعدما سار الى الري وضمها الى عسكره فتوى بها وقويت به (٢) فاستخلف عليها من الطالبيين ، الا انه اساء السيرة وصادر الاموال فكرهه اهلها ولم يشته امام جند محمد بن طاهر الذي ارسله لاسترجاع الري (٣) وربما كان سوء سيرته سببا في تخاذل اهلها بملقساء جند محمد بن طاهر والدفاع عنه حتى وقع اسيرا وارسل الى محمد بن طاهر بساهور .

توسعاته :

استمر الحسن يحقق انتصاراته ، فسرمان ما ارسل جيشا واسترجع الري وعين عليه الولاية (٤) ، الا ان حلاوة الانتصار لم تدم فيها هي الخلافة ترمي بثقلها في تلك الد بار النائية وترسل الجيش تلو الآخر فتقدم سليمان بن عبد الله عاملها السابق الى

(١) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٥ ص ٣١٦ .

(٢) الري : بلاد جنوب قزوین الجزء الشمالي من خراسان .

الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٧ ص ٥٩٢ .

(٣) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٥ ص ٣١٢ .

(٤) المصدر نفسه .

طهرستان من جرجان بجمع لاقبل لجند الحسن به فتركها متجها نحو الديلم حيث
أسر سليمان بن عبد الله ددا من الطالبين^(١) وفي نفس العام وصل مفلح قائد جيش
الخلافة المرسل من سامرا ، ودخل طهرستان واحرق دور الحسن بآمل واستمر يطلب
الحسن في الديلم^(٢) ، الا انه زجج مكثفيا بما نزل بالحسن والتقى مع موسى بن
بغا بالرى تاركا امر طهرستان للحسن^(٣) .

(رب ضارة نافعة) ، كانت هذه هدية قدمت للحسن عندما امرت الخلافة
بعودة موسى بن بغا ، ومفلح الى بغداد فتركا الرى والتي بدوره ضمها اليه الحسن .
والذى يبدو انه بمطلع عام ٢٥٧ هـ ان دور السلطة المركزية بدأ يتقوى ويحاول ان يحكم
القبضة على البلاد وعلى رجالاتها ، فهذا المعتمد يجهز قائد موسى بن بغا ويحثه
السير الى الرى^(٤) الا ان وصوله لم يكن سريعا . حقق الحسن بهذه الفترة مكاسب
لا بأس بها حيث عمل على ضم بلاد جديدة لنفوذه فنراه ينضم جرجان^(٥) رغم القوة التي
ارسلها محمد بن طاهر عندما علم بتحريك الحسن نحو جرجان ، الا ان الحسن ظفر بها
وغنم اموالا طائلة وفكك بمسكراهم طاهر وكان الحسن القنبلة الموقوتة في نفوس
محمد بن طاهر السياسي حيث انتفض عليه عماله في الامصار واصبح لا يقدر على شيء
ومنعه عنه الخروج وعن الخلافة ايضا ، وكان هذا مدعاة للطامعين والناشرين الذين همز
فيهم يعقوب بن الليث والذي ادعى ان محمد بن طاهر خرب البلاد ومكن الفجارج
من السيطرة وكان شار ذلك ثورة الحسن بن زيد وكان من نتاج ذلك دخول يعقوب
خراسان وحبس ابن طاهر والذي يبدو من سير الاحداث ان واقف الحسن بن زيد
بدأت تتأرجح ما بين الموازنة والرجحان ضده ، فلقد انهزم امام جيش ابن طاهر الذي

- (١) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٧ ص ٥٢٠
ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٥ ص ٣٢٩
(٢) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٧ ص ٥٢٠
ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٥ ص ٣٤٥
(٣) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٧ ص ٥٤٠
(٤) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٧ ص ٥٩٧
ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٥ ص ٣٦٦
(٥) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٧ ص ٥٩٧
ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٥ ص ٣٦٣
ابو الفداء : تاريخه ص ٤٨

استعداد انفاسه وايضا امام موسى بن هشا الذي تقدم بأمر المعتد . ومع ذلك لا يزال يحتفظ بمركز لا بأس به وان كان ذلك مدعاة لتنقله من مكان لآخر .

ورغم شدة الهجمات عليه نراه يهتق بعض التوسعات مثل الديلم حيث دخلها وضمها الى سلطته (١) .

لقد طوق يعقوب بن الليث نفوذ محمد بن طاهر وقضى عليه ، فلم يكن المنافس في تلك الديار ، ولم يبق عليه الا صاحب طهرستان ، وتجرى الاحداث ويروى شاهد عيان (كانه ملازم ليعقوب) أن عبد الله السجزي كان يتنافس الرئاسة بسجستان ، فقهرة يعقوب وتخلص منه فلهق محمد بن طاهر بنيسابور ، فلما صار يعقوب والي نيسابور فطهرسيا ان يرحل عبد الله عنها فلم يكن امامه الا الحسن بن زيد فكانت الشعرة التي قصمت ظهر البعير بالنسبة للحسن ان لحق يعقوب بخصمه القديم واراد ان يضرب عصفورين بحجر واحد ، الانتقام من عبد الله السجزي وثانيا القضاء على قوة الحسن بن زيد العتامية والتي ربما تكون نواة لسلطة جديدة هناك وهذا ما يهدد اطماع يعقوب التوسعية وطموحاته الشخصية .

سار الى طهرستان يطلب الحسن بتسليم عبد الله السجزي ، الا ان الحسن لم يجبه لذلك فكان نتيجة هذا الرفض المواجهة العسكرية فتقدم يعقوب من بين هذه المرات الصعبة والشديدة الخطورة ورغم ما حل بجيشه لم يعتبر وينجو بمسكركه ، الا انه استمر حتى كاد يقضي على جنده دون قتال من وهرة الطريق وصعوبة السير بها ، زيادة على شدة البرودة والثلوج الا انه تركها ومضى الى السمرقند وارض الديلم وجبى الخراج ، الا انه خرج من طهرستان ورجع الى الري بعد ان نال من خصمه القديم عبد الله السجزي فقتله (٢) وكان ذلك سنة ٢٦٠ هـ . وقد تعطلت آماله امام تلك الجبال الشاهقة والممرات الوعرة والتي كانت لصالح الحسن بن زيد وبذلك استمرت تجربة دولة الحسن بن زيد رغم النكسات والضربات ثم عاد ببسط نفوذه على ما تركه يعقوب ، الا انه لم يحسن لتلك الديار ان حاسب اهلها لنقضهم السؤلا وخاصة شالوس التي احرقها واقطع ضماها لاهل الديلم (٣) .

(١) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٥ ص ٢٧١ .

(٢) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٨ ص ١٧ .

(٣) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٦ ص ٧ .

لقد اتسم الجناح الشرقي عامة ومنطقة ما وراء النهر وحول بحر قزوين خاصة بكثرة الطامعين بالاستقلال عن جسم الخلافة ، فلقد تعدد الطامعون والثائرون في تلك الديار . كما أن صاحب طبرستان كان سيء الطالع بتلك الديار التي بدأت أهميتها لأولئك الثائرين . فنرى أكثر من طامع يدخل إلى طبرستان والد يعلم وكأنها لم تكن معروفة لديهم حتى ظهر بها الحسن بن زيد ، فنراهم يتعاقبون عليها واحدا تلو الآخر وكأنه فتح عليها باب من كل جهة وأوقعها فريسة بأنياب الطامعين .

فهذا النخجستاني يدخل جرجان ويلتقي مع الحسن بمعركة غير متكافئة بالعدد والعدة حيث نجح بطرد قوات الحسن الذي لحق بأمل تاركا جرجان للنخجستاني ولم يفتح بجرجان بل ضم أطرافا من طبرستان .

ونرى طامعا جديدا من نفس أسرة الحسن يتمرّد عليه في سارية معلنا أن الحسن قد أسروا مات وطلب من الناس البيعة فبايعوه ، ولم يستطع الحسن من استرداد الأمر إلا بحيلة أوقعها بالحسن بن محمد بن جعفر العقيقي حتى ظفروا بقتله .^(١)

بقي الحسن بن زيد يصارع الأحداث بنفس صابرة رغم ما حل به من هزائم وما جرى له من حل وترحال ، مرة خارج حدوده وأخرى من داخل صفه ، ومع ذلك استمر في تحقيق هدفه حتى وافاه الأجل سنة ٢٧١ هـ^(٢) وترك الأمور شبه جاهزة بعده . فاستمرت أسرته تحمل نفس الآمال والطموحات فخلّفت أخوه محمد بن زيد في معارك متعددة مرة يكسب وتارة يخسر ولكن خسارته كانت أكثر من كسبه فلقد خسر الرى أمام قوات ازكوتكين رغم ما تجمع اليه من عالم كبير إلا أنه لم يبرح وسقطت الرى تحت نفسون ازكوتكين ونشر عماله في الرى وكان ذلك بداية الانحسار لسلطة العلويين هناك .^(٣)

في عام ٢٧٥ هـ سار رافع إلى جرجان وخلص البقية الباقية من يد محمد بن زيد رغم ما لحق بهجيشه من خسارة إلا أن محمد هرب إلى قزوين وبقي حتى مات الموفق أبو أحمد عام ٢٧٨ هـ واستأنفت الأسرة عملها هناك أكثر من قرن تقريبا .

(١) الطهرى : تاريخ الامم والملوك ج ٨ ص ٤٩ ،

ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٦ ص ٢٥ .

(٢) الطهرى : تاريخ الامم والملوك ج ١ ص ١٤٧ ،

ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٦ ص ٥٥ .

وفي هذه السنة ٢٧٠ هـ دخل علويان المدينة واشاءوا الذعر والرهبة .

(٣) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٦ ص ٥٩ .

وبروي صاحب سني ملوك الارض رواية انفرد بها عن الطبري وابن الاثير وغيرهما من المؤرخين وهو خير رواة عن هشام عن القاسم بن سلمان النيسابوري ان معاذ بن مسلم حدثه انه لما صدر المنصور عن نيسابور ، عند انصرافه عن ابي مسلم صاحب الدولة بمرور ، ولما انقذه اليها اخوه ابو العباس السفاح ، لأخذ البيعة ، ولما بلغ موضعا بين اجرش وسمتان التفت الى الجبال التي بين قومس وطبرستان فقال لي : يا معاذ اي جبال هذه ؟ قلت اعز الله الامير جبال طبرستان فقطب وجهه وبقي واجما ، فقلت ما ذاك ايها الامير ؟ فقال : يشتغل القلب انه لا يزال امر بني العباس علينا الى ان ينشأ وراء هذه الجبال دولة مربية اعوانها والقائمين بها حجم هذه الهلاك ، ثم تنقلب عجمية وتنتقل في رجال منهم ثم يتعزز في رهط منهم فحينئذ يعبر بنو العباس .

(١) فتحت طبرستان على يد يحيى الثالث عام ١٤٤ هـ وقد اطلق هذا الخبر المنصور فأصدر امره حتى انتزعتها من يحيى وبقيت حتى ظهر الحسن بن زيد ، فبقي بها تسع عشر سنة وثمانية اشهر وست ايام ، بعدما ملكها العباسيون مائة وست سنين وشهرين وواحد وعشرين يوما (٢) وربما كان هذا النص قريب من الاحتمال وان كان ظهر فيما بعد قواد عظام من الديلم تنقلوا بالمراكز حتى حكموا وسيطروا حتى في بغداد واصبحت تحت نفوذهم فهم اهل حرب وشجاعة حتى صبغ العصر بالعصر الد بالمنية والبويهسي .

وفي ختام القول من ثورة الحسن بن زيد لقد اجمع المؤرخون بكثير من الاعجاب بشخصية الحسن وخاصة ورعه وتقواه وعلوه وثقافته الواسعة والتي كان لها الاثر الكبير في توطيد حكمه هناك واسرته على الرغم مما نزل بهم من نكسات فهو الذي ازال حكم بني العباس من تلك الديار اكثر من تسع عشر سنة .

كان كريما جوادا يعرف الفقه واللغة العربية جيدا وكان متواضعا لله تعالى . حكى ان شاعرا مدحه مرة فقال يمدحه " الله فرد وابن زيد فرد " فقال له اسكت سد الله فاك الا قلت الله فرد وابن زيد عهد ثم نزل عن سريره وخر ساجدا لله والصق خده بالتراب (٣)

(١) الاصفهاني (حمزة) : سني ملوك الارض ص ١٧٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٧٤ .

(٣) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٦ ص ٦٠ ،

ابن كثير : البداية والنهاية ج ١١ ص ١٢ .

وحكي مرة في مجلسه ان احد الشعراء اراد ان ينتقص من امر العباسيين بتفسير اسم العباس من بيت الشعر فغاب الشاعر ومنعه ان يعود لمثل هذا وطرده من مجلسه وقال : اتهجوا بني عمي في مجلسي .

وهذا يدل على رجاحة بالعقل وادراك للامور مهما اختلفت الاهداف ، وتباعدت الاسباب فكان مثال قام به هذا الثائر العلوي الذي جرب النجاح لأسرته لتعويض ما خسره في المعهود السابقة ، فلم يوتر عنه الا التقوى والزهد والكرم وسعة المعرفة بعلوم عصره .

كان يحتاج بادارة ناجحة وتنظيم دقيق ترجم ذلك في اعماله وصبره على ما حل به من نكسات الا ان همته وبعد نظره ابقته في الميدان ينتقل من مكان الى آخر رغم الصعاب والعقبات حتى قضى اجله وهو على رأس السلطة وسلمها لمن جاء بعده من اسرته وتلك كانت نهاية ذاك العوالمس والبناني لذلك المجد الذي قمر عهد التاريخ اكثر من قرن من الزمن .

٤- ثورة مساووين عبد الحميد الخارجي (الشاري) :

كانت الدولة العباسية منذ نشأتها مرتعا خصبا للثورات وتاريخها ، وشيئة الارتباط بها ، وهذه الثورات تظهر في مظهرين كبيرين بارزين ، اتسمت بهما ارض الخلافة العباسية طيلة حياتها ، فكانت هاتين الحركتين المتوازنتين في حالة مد وجزر ، أخذتا حيزا كبيرا من جهود وقوة السلطة المركزية ، ويبدو انهما شجعتا اصحاب الفتن والطامعين وجعلت السلطة لاتعبرا اهتمام لتلك الثورات الجانبية لانشغالها بهاتين الحركتين ، حتى وصل الامر بالطامعين الطموحين الى تكوين دويلات داخل وخارج السلطة المركزية وفي احيان كثيرة كانت السلطة نفسها تطلب ود هذه الدويلات وتخشاها حتى لا ينتشر شرها الى بقية الاجزاء . وهاتين الحركتين هما حركات الخوارج ، وحركات العلويين ولقد تم الحديث عنهما فيما سبق .

لقد كان شعار الخوارج طامع لذلك العصر ، بل كان القميس الذي يلبسه كل طامع ومخالف للسلطة ، وكانت فكرة الخوارج باقسام منتسبها خطورة هددت شوكة الاسلام وذهبت بضحايا كثيرة يعجز حصرها ، وعلى الرغم من شجاعتهم الا ان واقعهم بقي بعيدا عن التنظيم والتركيز وقوا عاجزين عن طرح شعارات واضحة يلتزم بها

تعاظم امر مساور وبدأت قوته تتنامى شيئا فشيئا وسبب ذلك حرصه بحركته هذه على جمع الجمهور اليه لأن هؤلاء سيكونون الذخيرة والعون له وفعلًا كان ذلك فلا زالت تمده بالحشود في كل لقاء وتحقق معه النصر على خصومه ، ونتيجة لهذه القوة المساعدة شعرت السلطة المركزية بها فسبرت اليها ساتكين إلا أنه لم يحسن بقاء مساور الذي ترك البواريج متجهسا إلى خراسان والتي كانت من أملاك محمد بن عبد الله بن طاهر ولم يسكت على هذا العمل فتحرك على الفور ببندار الطبرى ومر على مظفر بن سيسل^(١) فأشار عليه الآخر أن غدا الجمعة والعيد ثم بعدها تداهمه ، إلا أن ببندار لم يسمع لتلك المشورة وتقدم لمساور فلم يحقق نصرا ومع ذلك لم يرد أن يهاجم مساور وأصر على أن يكون لديه علما باللقاء ، وهذا فعلا صفة الفارس النبيل ، رغم الخصومة والعداء ، إلا أن هذه المرة لم يفر ببندار فكان اللقاء صعبا مع خصم عنيد وكأنه لم يسمع ولم يعرف من هم الخوارج ، فدارت الدائرة عليه ولقي حتفه ولم يرجع حيا^(٢) .

وببدو أن نفسية مساور بدأت تتحول وتهتم من الفأية التي خرج من أجلها ، فلقد خرج على النظم ليحقق العدالة ويقر الأمور ويسالم ويوادع الأمنين ، إلا أنه لم يفعل ذلك ، فنرى أن الجمع من أهل خراسان لم يسلموا من الاعتداء عليهم من قبله وجيشه حتى دخل حلوان ، ثم انصرف عنهم بعدما ألحق بهم القتل ، وهذه عادة الخوارج . ووثق عمله بشعر قاله في قتل ببندار الطبرى وأهل حلوان^(٣) . وبدأ مساور بواصل توسعاته ويلحق الهزائم بجيش السلطة فدخل جلولا بعدما هزم خطارم^(٤) فبسط نفوذه على أغلب أعمال الموصل فقام أمره وصلب عوده ونما حتى وصل الأمر بنائب الموصل أن يخرج للقاء الشاري إلا أنه فوت عليه خطته فلم يلتقيا على نهر الزاب بل في

(١) الطبرى : تاريخ الامم والملوك ج ٢ ص ٥١٤ ، ٥١٥ .

ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٥ ص ٣٣٥ .

(٢) الطبرى : تاريخ الامم والملوك ج ٢ ص ٥١٦ .

ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٥ ص ٣٣٥ .

(٣) فجعت العراق ببندارها وحزنت البلاد باقطارها

وحلوان صبحتها غارة فقبلت اغرار غرارها

وعقبة بالموصل احجرتة وطوقته السدل في كارها

ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٥ ص ٣٣٦ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٣٣٧ .

وادی الریان حسبما اراد مساور فحقق انتصارا علیه فزاد هذا من شوکته فنشر الرعب في نفوس الناس وياتوا يخشونه ويرتعدون منه . فأتاب عنه رجلا اسمه موسى بالدسکره على تلك المنطقة ما بين حلوان والسوس على دلمیق خراسان ويطن جوخی^(١) واتجه صوب الموصل لیتوج اعماله العسكرية بها مستغلا تکاثرا اتباعه وانصاره فنزل بظاهرها برصد اميرها عبد الله بن سليمان فلم یجروا على قتاله ويعود ذلك لمشاعر اهل الموصل الذین یشاركون مساور بهذا الاحساس فنرى اميرها قد حسب عاقبة الامر فخطط لهذا واحجم من اللقاء ، فتركها لمساور الذی احرق داره ودخلها بغیر قتال فخطب الجمعة وصلى بالناس تحت حراسة جنده ، ثم عاد الى الحدیثة مقر حجرته ودار اقامته .^(٢)

هال هذا الامر السلطة المركزية فاسرعت وارسلت اکابر قوادها موسى بن نبها وبارکیال الا انهما لم یستورا في تقدماهما ولم يتجاوزا السوس فرجعا عند علمهما بحوت المهتدی^(٣) ، فاستغل مساور هذا الامر واستولى على اراضي كثيرة من العراق حتى كان یهدد بغداد وسامرا .

ولما جاء المعتمد وتولى ابواحد الموفقی الامور بدأت تأخذ مسارا غیر المسار الاول فحشدت السلطة طاقات جمعة للقضاء على مساور كانت بقيادة مفلح الذی تعبرک صوب الشمال قاصدا مساور^(٤) لیرد الخراج الذی انکسر والاموال التي فقدتها بیت المال ولیمعد للتجارة أمنها الذی فقدته ، ونشاطها الذی اصبح معدودا امام الاخطار وقطاع الطرق .

تجاوز مساور ومفلح وكان کل لصاحبه حيث نزل مساور الحدیثة واعتصم بالجبال حيث لحق به الضرر وفقد قسما لیس بالقلیل من جنده وفوت الامر على مفلح من لقائه حاسم حيث رجع مفلح واعتصم بدیار ربیعة وشجار ونصیبین والخابور ثم عاد الى الموصل واحسن الى اهلها وكسب ثقتهم ، وهذا موقف عسکری یدل على بعد نظر ، ثم توجه نحو مساور والذی بدوره خدع خصمه فقاده الى منطقة فزع منها مفلح وخشي على نفسه وجنده ثم طلب السلامة راجعا فلحق به مساور ثم جعی الخراج فزاد في قوته واشتد امره حيث شملت سلطاته حتى خانقین بعد انتصاره على جند موسى نبها هناك .

(١) ابن الاثیر : الکامل في التاريخ ج ٥ ص ٣٤٥ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ٥ ص ٣٤٦ .

(٣) الطبری : تاريخ الامم والملوک ج ٧ ص ٥٩٦ .

(٤) المصدر نفسه ، ج ٧ ص ٥٩٨ .

لم يرجع مفلح حتى لحق بمساور والحق به خسائر في البوازيح فأسر عددا من اصحابه ورجع الى سامرا للحج تاركا الامر لثائبه لمواصلة القضاء على مساور الشاري^(١). والحركة في تقدمها المتزن على الرغم من تعكير صفوها بعض الامور السلبية فان مساور يحرص على توجيهه وكسب الرأي العام لصالحه ليخفف من الرعب والفكرة التي سيطرت على نفوس الناس فنراه يتقدم ويضم ممتلكات جديدة تحت سيطرته فاستولى على طريق خراسان وضم كرخ حذار بعد قتل يحيى بن حفص ، فشخص اليه سرور البلخي يطلبه كما لحق به ابواحمد الموفق . الا ان مساور ادرك اهمية اللقاء فوازن نفسه مع خصمه فأدرك ان النجاح ليس حليفه هذه المرة فترك الارض وانحاز الى مسالك ومرة ولم يلحق به احد ، وايضا هذه المرة كانت لصالحه على الرغم من انسحابه طلبه للنجاسة^(٢).

استمر مساور يعيش بحذر ومراقبة شديدة الى ان جاء خبر يحمل عليه ان جيش السلطة المركزية جاء للقضاء عليه ، الا ان هذه المرة داهمه القدر فلبى نداء ربه وذهب الى ما قدم وكل امرى بما قدم من خير وشر .

وفي هذا الجو كثرا الخارجون والتمردون على السلطة حتى ان الاشراف ازجوا السلطة فأرسل اليهم ابواحمد الموفق جيشا بقيادة ولده ابو العباس فتقضى عليهم^(٣).

(١) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٨ ص ١٠ ،

ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٥ ص ٣٦٢ .

(٢) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٨ ص ١٨ ، ١٩ ،

ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٦ ص ٧ .

(٣) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٨ ص ٣٤ ،

ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٦ ص ١٥ - ١٦ .

الفصل الرابع

العلاقات الداخلية والخارجية

صفحة	
	المجال الاول : العلاقات الداخلية :
٥٢	١ . العلاقات ما بين الدولة العباسية والطولونية .
٥٣ - ٥٤	أ - موقف ابن طولون
٥٤ - ٥٥	ب - علاقة الموفق باين طولون
٥٥ - ٥٦	ج - فراسة ابن طولون
٥٦ - ٥٨	د - انشاقق لؤلؤ
٥٨ - ٦٣	٢ . علاقة دولة الاغالبة بالخلافة العباسية
٦٣ - ٦٦	٣ . علاقة الدولة العباسية بالصفارية .
٦٦ - ٧٢	المجال الثاني : علاقة الدولة العباسية بالدولة البيزنطية

لقد كانت الدولة العباسية في العصر الثاني دولة ضعيفة القيادة ، غير مهابة الجانب ، ورزحت تحت رحمة الاتراك ، مما صبغ تلك الفترة باسمهم ، واطلق عليها عصر سيطرة الاتراك ونفوذهم .

هذا الوضع للدولة كان دافعا ومشجعا لظهور اشخاص لعبوا دورا بارزا في تلك الفعاليات وتحويلها من دور التمزيق والتشردم الى نوع من التحرر والقوة مما اعطاها شكلا جديدا حافظت به على وجودها ولو الى حين .

وعلى ضوء ذلك سنقوم بعرض العلاقات في مجالين :

المجال الاول : علاقة الدولة العباسية (الخلافة) مع الدول المستقلة والشبه مستقلة ، لانها اخذت طابع الدولة شبه المعادية - مثل الدولة الطولونية ، ودولة الاغالبة والدولة الصفارية .

المجال الثاني : علاقة العباسيين بالدولة الهزنطية .

المجال الاول : العلاقات الداخلية

١ . العلاقة ما بين الدولة العباسية والدولة الطولونية :

سيطر الاتراك على الخلافة العباسية منذ عهد المعتصم ، ولم يقتصر نفوذهم على قلب النسر (العاصمة) فحسب ، بل امتد حتى شمل جناحي النسر . ان اخذ الخلفاء يقطعونهم تلك الولايات مقابل ضريبة معينة يؤدونها لبيت المال . وقد جرت العادة ان يبقى هؤلاء الاتراك الى جوار الخليفة في العاصمة (بغداد ، سامراء) وبرسلون من ينوب عنهم في حكم تلك البلاد . وطبعها ان تكون هناك سلبيات جملة حتى ان من اسس هذا الطاقم لم ينج من التهديد الذي اثاره شعر بخطيئته بهذا العمل ، الا ان هذا الشعور جاء بعد فوات الاوان حيث تم لهم السيطرة والقبض على زمام الامر ، بل اصبحوا صانعي الملوك حيث قتلوا المتوكل^(١) الذي اراد

(١) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٧ ص ٣٩٠ .

أن يتحرر من قبضتهم الا انه هلك قبل ان يقضي عليهم ، ولقد وصل التذمر لدى بعض الشعراء ، امثال دعل من فعل الاتراك بالخلفاء بقوله :

خليفة مات ولم يحزن له أحد وآخر قام لم يفرح به أحد
فمر ذاك ومر الشوم بهمه وقام ذا فقام النحس والنكد

١ - موقوف ابن طولون :

كان احمد بن طولون منهم ، وفي الظاهر انه لبن العلمس لمن في بغداد وهو في باطنه شديد الوطأة عليهم ، لا ينزل لهم عن اقل حق من حقوقه ^(١) انه دونه علما وعقلا وعدلا وأنه يخشى ان يكيد بعد حين لبني العباس . ولقد اوصى جنده وقادته وولده خمارويه الا يغتروا بمخاريق اهل العراق ولا ينسوا ما في نفوسهم عليهم وان يذكروا أبدا ان في مصر شجرا في حلق من في بغداد وتقدم اليهم أن لا يضعوا ايديهم في ايديهم ، وقال لهم اني اعرف ذنبي لهم ^(٢) . وكل هذا يدعو الى التفكير في اخلاصه للعباسيين ، او يلقي الشك في ترويه باظهار اخلاصه لهم ، وان دعواه ، انه لا أرى له في نشوئه على ولي العهد ، الا دفعه ودانه عن اخيه موقوف فيه سؤال : كيف يدعي ذلك وهو يعلم علم اليقين بأن الموفق يعمل ليله ونهاره في دفع صائل الاعداء عن دولتهم ، وان المعتمد لا يستجيب الا لنداء شهواته وملذاته ^(٣) فلم يكن حرصه ناهيا من خلل يخشاه على بيعة في عنقه للمعتمد ، بل الأمر أبعد من هذا وان كان ذلك بقي سرا ، ويبعدو انه جذب الامور لصالحه اثناء حرب الموفق لصاحب الزنج الذي شغل الخلافة اكثر من عشر سنوات وكان مشجعا للطعاميين ان يستغلوا هذه الاحداث مؤثرين انفسهم ومصلحتهم الذاتية على الوحدة ، فبدلا من ان يؤخروا الاطماع والنزوات حتى يتم القضاء على الخارجين نراهم يقفزون مسرع المتعمرين ليقتطعوا ثمرة الظروف الصعبة لمصلحتهم ، فبدلا من ان يقوى صف السلطة ويعطوها الفرصة في نشر الاستقرار والامن ، بالعكس من ذلك نراهم يتعمدون ويوقعون الضعف في جسم السلطة ، ولولا هذه الاحداث لم يجرؤ المتحدث بمثل هذا فكيف يجرؤ على التمرد ويكتب الى الموفق وكأنه الند له ، بل يصل الامرا كبر من هذا فجاء القضاء والفقهاء واصدر اللجنة على ولي العهد وينزع اسمه من الطراز ^(٤) ويلحق الضرر

(١) ابن الهلوى : سيرة احمد بن طولون ، ص ٢٦ .

(٢) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .

(٣) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .

(٤) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٧ ص ٥١٩ .

فبين عارض الخلع واللعن^(١) ولولا ذلك ما كان بعده عن السلطة، ولا المئة الف عنان من جيشه لتدفع هذه العزل، ولولا انه جاء في غفلة من الدهر، وبنو العباس محكومون للاتراك لا يملكون الا ما يرضيهم ومن عادة العباسيين، اذا " استبسوا افترسوا، واذا ضعفوا استكانوا وذلوا " (٢).

ب - ملاقة الموفق باين طولون :

لما اشتد امر صاحب الزنج بالهزيمة وقعت السلطة في مسوولية جديدة اضيفت الى مسوولياتها، كما انها ارتبكت اقتصاديا فتأخر خراج الديار الشرقية التي كانت هيئذ الموفق، وتكاسل الناصر من حمل المال الذي كان بالعادة يرسل للسلطة، وحجبتهم في ذلك خروج صاحب الهيرة وقطع الطريق وفساد المسالك، دعاهم الى تأخير المال خوفا من مصادرتهم من قبل اصحاب صاحب الزنج، هذا الى جانب الطامعين وقطاع الطرق الذين انتهبوا هذه الحالة وبدأوا يسلبون وينهبون^(٣). وتأخرت الاموال وساءت الحالة والموقف يتطلب الانفاق بسخاء لتجنيد العسكر وتموينهم ولصنع السلاح وبناء السفن ورفع المرتبات.

هذه الامور مجتمعة دعت الموفق ان يكتب الى احمد بن طولون ليعمل اليه المال ليعمل المعركة وايلاف الزحف لمواجهة ابن الصغار الذي منع ارسال الخراج وهدد العاصمة ولم يرضيه الا الوصول الى حضرة السلطان. تسارعت الاحداث وتوالت النكبات وقل الخراج وازداد الطلب على الانفاق، وهنا جاء معرفة الصديقي فأرسل ابن طولون الاموال الا انها لم تقع في نفس الموفق. موقع الرضى وكأنه استقبلها فطلب المزيد برسالة تحمل بعض العبارات والمواقف الخاصة^(٤). ويبدو ان الموفق الذي كان يمارعه الموفق جد خطر وعلى الرغم

(١) القاضي ابن قتيبة. البلوى : سيرة احمد بن طولون ص ٩٠.

(٢) البلوى : سيرة احمد بن طولون ص ٢٧.

يتضح هذا من قول ابن طولون لابنه وولي عهده : الا يغتروا بمخاريق اهل العراق والا ينسوا ما في نفوسهم عليهم، وان يدكروا اهدا ان من في مصر شجا في حلق في بغداد، ونصحهم الا يضعوا ايديهم في ايديهم، وقال لهم اني اعرف ذنبي لهم. وهذا يدعو الى التفكير في اخلاصه للعباسيين. هل كان هناك امورا يكتبها صدره، ولا يعرف غيره سهرها، هل كانت تظهر لو لم تعاجله المنية. ويظهر هنسا دليل آخر هو انه رفض قتل المستعين وعاش في بغداد فعرف الامور.

الطبري : تاريخ احداث ٢٥٥ هـ. انظر : البلوى : سيرة احمد بن طولون ص ٢٦.

(٣) الطبري : تاريخ الامم والملوك، ج ٧ ص ٥٧١.

(٤) البلوى : سيرة احمد بن طولون ص ٧٩.

مما اهداه نحو ابن طولون من خشونة كان حري بصاحب مصر ان لا يعترف بالجواب ان كانت نفسه لا تحدثه بالانفصال والتعرد وهو يعرف حال السلطة وقد انتفض عليها المشرق وتزعم الامر يعقوب بن الليث ورفض التصالح مع السلطة رغم ما اعطته من عهود ومواثيق وخلق ، مروا بشرطة دار السلام وسجستان ، وخراسان حتى الحدود الشرقية للدولة ، الا ان الحقد والكراهة صما بصيرته فلم يسمع لما قدم من تنازلات فجمع الخسراج والاموال وتحرك نحو العراق التي اصبحت من جيشه قاب قوسين او ادنى ، الا انه رد على اعتقاله وفشل امام جند الخلافة بخبرته وحنكته والموفق قائد الجيوش العباسية ان شكل خطرا مرعبا الى جانب صاحب البصرة الا ان الله لم يوفق بينه وبين صاحب الزنج فسلمت الخلافة واستعادت هيبتها داخل العراق مما اعطاها الدفع لمواصلة حرب صاحب البصرة وقضت عليه فيما بعد . وهذه تبرهن على مقدار الاستغلال الذي تمكن القواد الطموحين من الاستئثار به عند اعتمادهم على الجيش حالت ضخامتها وسعة ممتلكاتها وتباعد اقطارها دون ادارتها بمقدرة وكفاءة وتوالت سقطات ابن طولون نحو الموفق فتراه يكتب الخليفة المعتمد مظهرا له المنة وحبرته عليه من حجاراها له وكادت الخطة تنجح لولا حذر الموفق رغم انه في ساحات القتال . فشل ذلك باللحظات الاخيرة ورد المعتمد حبيسا الى بغداد ورجع ابن طولون^(١) وقد خسر ما خطط له ودفعت اطعمته برن المعتمد . توالت الاساءات من الجانبين فلم يدخر احدهما وسعه في الغضب على نده فبدأ الموفق يرسل الجواسيس وطلب من موسى بن بغا ، ان يعزل ابن طولون عن مصر .

جـ - دراسة ابن طولون :

كانت الامور تجري لصالح ابن طولون ، فلم ينجح احد في تنفيذ ما دبره الموفق وكان سلاح صاحب مصر الحذر والغراسة في معرفة الجواسيس الى جانب رسوله الذي في مقر الخلافة^(٣) زيادة على ما كان يدفعه من هدايا واموال لمن يقيم في بغداد^(٤)

- (١) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٨ ص ١٠٨ ،
- الهلوي : سيرة ابن طولون ص ٢٨٨ - ٢٩١ .
- (٢) الهلوي : سيرة ابن طولون ص ١٠٧ - ١٠٨ . طيفور ممثل ابن طولون بالحضرة .
- (٣) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .
- (٤) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .

فاشتري النفوس قبل القلوب حيث احكم سيطرته على قلوبهم فتراهم يفتنون لجانبه ، ويروى ان هداياه المالية تجاوزت المليون والنصف دينار ذهب^(١) فعملت الدراهم فعمل الدواهل يزيد واخذ كل منهما يشنع على صاحبه فلمن ابن طولون على منابر الخلافة وعامل هو خصمه بنفس الاسلوب ، وانزل العقاب بمن لم يوافقه على تدبيره فلمن الخليفة الموفق . لم يبق الا مر عند هذا الحد فنرى الامور اخذت طابع اللاعودة للصالح بقرار لولوه غلام ابن طولون واللاحاق بالموفق وهو يحارب علوى البصرة . ورب ضارة نافعة فكان جيش لولوه عوناً كبيراً في دعم قوة الموفق من احراز النصر حتى قيل كساد لولوه أن يذهب بالنصر كله^(٢) . وكان ابن طولون يتابع اخبار انتصارات الموفق أولاً بأول وربما غمه ذلك وخاصة عندما اقتربت بشائر الانتصار تصل مداها ويحسم الموفق خطر صاحب الزنج .

د - انشقاق لولوه :

هز موقف ابن طولون بانشقاق لولوه عنه فألكه الحقد عليه وحاول بهشتي الوسائل حتى يرجع لولوه الا انه لم يكتب له النجاح فبدأ يعمل بالحيلة والدهاء ، الا ان لولوه رغم ما كسب لدى الموفق ، فان الموفق لم يخدع بلولوه فسقط من عينه عندما ابدى موافقته بالذهاب على رأس جيش الى ابن طولون ، ويبدو ان جميع ما كان يعمل به الموفق نحو ابن طولون لم يكن الا غيرة عليه الا يكون له كما هو لأخيه وكان يذكر رجولته وضبطه الامور في مصر^(٣) ونتيجة لهذا فانه لم يشق لولوه بسبب تنكره لصاحبه الذي رياه (ابن طولون) . كما انه اوقف لعن ابن طولون وحفظ له في نفسه الاحترام والتقدير رغم موقفه نحو السلطة وخاصة الموفق . ولم يسلم لولوه من حجز امواله ، ويرجع ذلك لولوه طبعه مع سيده الاول ولعدم تصرفه الجيد وحفظه للجهد فتركه الموفق كلها والغنا ، فارغ اليدين مكسور الجناح^(٤) . ويبدو موقف الموفق واضحاً له برسالة اورد ها البلوى في سيرة ابن طولون يقول فيها : " . . . ما كنت ارضى ان يحمل الي نفقته لأصلاح ما انا بهسهيله ، ولضيق الامر وتعذر الاموال علي ، فيما اعانيه

(١) البلوى : سيرة ابن طولون ص ٣٦٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٧٦ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٣٠٢ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٣٠٦ .

ودفعت اليه ، وناظر فيها اذا تأمله المتأمل المنصف علم ان عذره في خلعي اوجب ما خرجت اليه في واحدة وفي انحرافي عنه وان كنت اظهر ذلك بلساني وقلبي ينكره ويعلم خطأي فيه ، وعذره فيها يأتيه (١)

ويبدو من هذه العبارات المقتطفة من الرسالة ان الموفق لم يكن على خلاف حقيقي مع ابن طولون بل حفظ له الجميل وشهد له بالعمل الصالح وحسن الامور وضبطها ، ووضح ان ابن طولون اصاب اكثر منه وكان خلافه لسانا لا قلبا . ولذلك نرى كلاهما يعتذر لصاحبه وكان القطيعة بدأت ترحل عن الساحة وصدر الامر من قبل المعتمد بامارة من الموفق (٢) رغم الخلاف ، لولا ان الغنية كانت اعجل من ذلك فرحل ابن طولون والاجواء بدأت غرومها تقلل تكاثفها ، ولقد سبق وارسل الى حضرة الخليفة وفد من اكابر مصر واشرافها وشيوخها يشكرون سيرته فيهم ، وضبطه لبلدهم ، وانفذ معهم عينا له عليهم فكانوا كما اراد بل افضل (٣) ، ويبدو أنه يمسك العصا بالوسط يريد ان يستقل ولكن تحت مظلة الخلافة يمارس كل شي دون تلقي الامر من مركز السلطة ويبدو ان يكون منفردا في كل شي . وهي بوادر النزعة والانفصال بتركيبها التركيبية وكانت دولة بني طولون مثالا لكثير من الدويلات التي شيدت على اشلاء الخلافية وانفصلت عنها ولم يجد لها علاقة بها غير الاعتراف بسلطة الخليفة الاسمية ، وتبرهن سيرة ابن طولون على مقدار القوة العسكرية التي يستطيع ان يصل اليها القائد الطموح حيث يعتمد على مناصرة الجيش ويستأثر بالسلطة السياسية على حساب الحكومة المركزية ، الا ان الدولة الطولونية وغيرها من الدويلات التركية لم تكن تركز على اساس قومي في البلاد التي تولتها ولذلك لم تعش طويلا وربما مصدر الضعف فيها يعود الى عدم وجود جماعة كبيرة من ابناء البلاد من عناصرها فمعظم رؤوسا هذه الدويلات دخلا تغزوا الى السلطة ، اما عبيدا او خدما (٤) نالوا عند الخلافة ثقة وشجاعة لصالح خليفة اعطاهم بعدد الثقة العمياء ، سخروها فيما بعد نحو ولده (٥) او هو نفسه وقفزوا اما على السلطة الفعلية دون الرسمية او استقلوا بقطر من اقطار الخلافة ، والتاريخ ملي بهذه

(١) البلوى : سيرة ابن طولون ص ٣٦٠ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٠٤ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٧٣ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٣٤ .

(٥) الاتراك عندما اشتراهم المعتصم اصبحوا نعمة على ابناءه فيما بعد - قتل المتوكل -

الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٧ ص ٢٩٠ .

الدويلات^(١) . لم تستمر المفاوضات الودية بين الخلافة ودولة بني طولون ظناً من الموفق ان الشاب الذي خلف اياه ربما يقل^(٢) عن والده خبرة وحكمة ، الا ان الاحداث لم تكن هذه المرة لصالح السلطة ايضاً ، نرى خلفه يضم الارض في الشام ووصل الى مصر حتى الرقة في الشمال^(٣) الا ان الموفق دخل طور التفاهم بعد وفاة الموفق وكان ثمنه زواج المعتضد من قطر الندى بنت خمارويه^(٤) وتلطف الجو وحصل التفاهم حتى زوال بني طولون .

٢٠٠ . علاقة دولة الاغلبة بالخلافة العباسية :

لقد تسلم مؤسس هذه الدولة - ابراهيم بن الاغلب -^(٥) السلطة في شمال افريقيا من قبل هارون الرشيد^(٦) عندما شكوا سكانها والي السلطة - محمد بن مقاتل - سوء تصرفه وتجهيره بأهلها . ومنذ ذلك التاريخ بقيت شمال افريقيا تحت حكم الاغلبة رغم المنافسة والتحدى للذين وجها لهم من قبل دولة الادارسة^(٧) التي قوى نفوذها وامتد سلطانها ، الا انه حجم قواتها وركنت الى الصحراء في الغرب وانعزلت عن مسرح الاحداث في شمال افريقيا . كما ظهر منافس آخر ، لكن خطره لم يظهر اثره الا بعد حين^(٨) رغم تعدد المنافسين لهم لم يكتب لهم النجاح ضد بني الاغلب واستمر حكمهم حتى عام ٢٩٦ هـ وربما يعود ذلك لقوة شخصية حكامهم وبعد نظرهم .

(١) مثل الطولونيين والصفاريين . . . وثورة الزنج .

(٢) الشاب : خمارويه . الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٨ ص ١٤٨ .

(٣) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٦ ص ٦٣ .

(٤) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٨ ص ١٢٥ .

(٥) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٦ ص ٨٠ .

(٦) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٦ ص ١٠ .

(٧) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٦ ص ١١ .

(٨) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٥ ص ١٠٤ .

(٩) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٦ ص ١٢ .

(١٠) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٥ ص ١٠٤ .

(١١) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٦ ص ١٤ .

(١٢) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٥ ص ١٠٤ .

ان المتتبع لهذه الاسرة يدرك انها ركزت دعائم حضارية ، وتركت آثارا تنطق باسمها ، وظهر ذلك في بناء عاصمة لها سموها العباسية على مقربة من القهروان حيث بدأت ترفد بغداد بالاموال ، بعدما كانت تأخذ مئة الف من مصر ^(١) فتنازل ابراهيم عن هذا المبلغ وتعهد بدفع اربعين الف . فدوق دولة الاغلبية بهذا الجزء من العالم دفعها لتحمل لواء الجهاد في شمال افريقيا ونتيجة لهذه الاعمال كانت العلاقات الودية ما بينهما طيبة ويسودها التفاهم والاحترام المتبادل طيلة حكمها تقريبا .

وعلى الرغم من زحمة الاحداث الداخلية وعلى حدودها في الغرب والجنوب كثر الثائرون وتعدد المتربصون على هذه الاسرة ، الا انها كانت قادرة على تحمل مثل هذه السوء ولية في هذا الجزء المطموح فيه . فشجاعة حكامها وكرمهم الى جانب ذلك اعطى رؤية جديدة في رؤية الاحداث ودرس الامور ومجرباتها بالتأني والحكمة . هذه الامور مجتمعة ربما كانت من الاسباب التي اعطتها دفعا للتغلب على زحمة الاحداث والصعاب التي وقفت في طريق حكمها وعيشها . وربما نضيف الى مجموعة الاسباب السابقة ان فترة الحكم لبعض الحكام منهم كانت طويلة ، اعطت فرصة للإدارة الحكيمية بتهصرة الامور ، حيث جمعوا القلوب قبل جمع الاعداد من الرجال ، فحجموا الثورات واسكتوا النفوس الطامعة المتوثبة وارضوا الخلافة وشغلوا الآخرين في الفتوحات والحملات فركبوا البحر واتجهوا شمالا صوب جزيرة صقلية ، والذي استمر فتحها ما يقارب السبعة والسبعين عاما ^(٢) وكان فاتحها القائد العالم اسد بن الفرات في عهد زياد بن الاغلب امير تونس ، كما ساعد اسد بالفتح اهل الاندلس الذين فروا من مقتلة الرهني ^(٤) فكانوا

(١) وربما يعود دفع مئة الف لحاكم تونس للعمل الذي كان يقوم به من دفع الاعداء والاطحار عن الدولة العباسية في شمال افريقيا .

(٢) اقام ابراهيم الاغربي مدينة العباسية ودفع للخلافة وكفاها شرور الثائرين .

حسن ابراهيم : التاريخ السياسي ج ٢ ص ٢١٢ .

(٣) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٥ ص ١٠٤ .

(٤) نسبة الى رضى قرطبة قاموا بثورة على الامير الاموي في الاندلس الحاكم بن هشام (١٨٠-٢٠٦هـ) وعرف بذلك نسبة ما اوقع بها اهل الرهني ان قتل منهم خلق كثير

وانذرهم ثلاثة ايام . فخرجوا خوفا على انفسهم فاتجهوا صوب صقلية وما دخلوا ناحية الا استوطنوها وقهروا اهلها . انظر :

ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٥ ص ١٢٢ - ١٢٣ .

ابن الاثير : الرحلة السيرة ج ١ ص ٤٤ ، ٤٦ .

ابن عذاري : البيان المغرب ج ٢ ص ١١٣ - ١١٥ .

عونا في فتح صقلية وسيادة العرب في البحر الابيض المتوسط. وليس كما يدعي الآخريين انهم ارسلوا من قبل الامير الاموي ، لأن الامير كان يخاصم الاغلبة لموالا تهم للخلافة العباسية ويمكن اعتبار ذلك الفتح حلقة من حلقات الصراع ما بين البيزنطيين والعرب آنذاك ، حيث كان لفتح الجزيرة اثر كبير لدى العرب وبالوقت نفسه لدى البيزنطيين ان فقدت سيطرتها وهدد مركزها البحري وعرضت شواطئها لهجمات الاسطول المغربي مما ادخل المنطقة في حال صراع ساخن ازداد حدة وعنفا في تلك الايام ، ونتيجة لما سبق وجد صدى طيبا لدى الخلافة بهفداد^(١) عندما ارسل امير الاغلبة رسالة الفتح يهنئ بها الخليفة . وهذا يعطي دليلا على حسن العلاقة ما بين دولتي الاغلبة والخلافة . واستمر هذا الاسلوب بين الطرفين ، واصبحت دولتهم تمتد مترامية الاطراف تضم مساحات ليست بسيطة وتتطلب جهودا وكفاءات ذات خبرة عسكرية وشجاعة من اجل الحفاظ عليها . ولا تنسى ان لفتح الجزيرة كانت له اثاره الايجابية في تحسين الميزان التجاري لدى الدولة العباسية فشجعت التجارة والزراعة وكان لمواقفها العملية اثر ملموس لدى الجزيرة ان جلبت لها الغراس والاشجار حتى اصبحت كأنها مدينة محمولة من الشرق^(٢) .

لقد كانت علاقة الاغلبة بهفداد على الرغم من البعد الشاسع احسن بكثير من جيرانها الادارسة والفاطميين فيما بعد . وفي زحمة الاحداث هذه لم يصف الجو في تونس فلقد بدأت بوادر المشاكل الداخلية تطفو على السطح وحدثت ثورة من الموالي على الاغلبة زمن ابراهيم الثاني عام ٢٦٤ هـ^(٣) وفي اثناء ذلك استغل البيزنطيون ما يجري في تونس وقطفوا ثمرة ذلك لصالحهم . ان حسمت قوة الاغلبة امام البيزنطيين ودارت لقايات متعددة بين الطرفين حقق بها العدو تقدما ملموسا كانت نهايته معاهدات صلح لترميم المواقف ومع ذلك تم فتح الجزيرة على الرغم من طول الفترة التي استغرقتها الجزيرة . ويعود ذلك لمواصلة الامدادات والدفاع عن

(١) زمن المأمون .

المالكي : رياض النفوس ج ١ ص ١٨٠ .

محمود اسماعيل عبدالرزاق : الاغلبة ص ١٩١ .

(٢) ابراهيم العدوي : قوات البحرية العربية ص ٩٤ .

حسين مونس : اثر ظهور الاسلام ص ١٠١ .

الدوري عارف : صقلية ص ٢٩٠ .

(٣) النويري : نهاية الارب ج ٢ ص ٨٠ .

الجزيرة ما اطلال عمر الفتح بتشجيع بطريقها . وربما يعود ذلك الى حالة الدولتين
واوضاعهما الداخلية حيث كانت الامدادات المتواصلة من كلا الدولتين سببا آخر في
اطالة عمر الفتح ويعتمد ذلك الى قوة شخصية امراءها ومقدرتهم الحربية والسياسية ، ان
كان الواقع الاسمي والاقتصادي لدى هيزنطة مرهون بشخصيات الابطاطره ومشاكل الدولة
كالحروب مع العرب في الشرق والارمن والروس وحوادث الهلجان والامارات والمسلمين
الاطالية وسلطة الفرنج .^(١)

لقد تمخض الفتح العربي لصقلية عن نتائج سياسية واقتصادية واجتماعية
وتنازع ثقافي ، حيث انتهى حكم هيزنطة للجزيرة وتم الجلاء عنها واصبحت عربية تحكم من
قبل الاغالبة بتونس وتدين بالولاء اسميا للخلافة ببغداد وطويت صفحة السيادة
البحرية لهيزنطة آنذاك^(٢) . الا ان الامر لم يدم طويلا فعادت اللقاءات بين اخذ
وعطاء . ويعتبر فتحها منعطف جديد لسير الاحداث والعلاقات ما بين العرب
والهيزنطيين من جانب وما بين الاغالبة والعباسيين من جانب آخر كما انها ابرزت قوة
دولة الاغالبة وهابها من بجاورها وربما كان لهذا صدى لدى الامارة الاموية فسي
الاندلس ، ونتج عن ذلك الفتح تحسن الوضع الاقتصادي للاغالبة وظهرت سيطرتهم
وامتد نفوذهم حتى شمل البحر وتحكموا بالمرات المائية ووصل الامر الى بحر
الادرياتيك وجزر ايجيه .^(٣)

ولا نستبعد ان هذا الفتح للجزيرة كان يعتبر بعد ذاته مدا جديدا للخلافة
وضعفا للهيزنطيين حيث حطم قواتهم عن الحدود الشمالية وقل خطرهم على المواسم
والشغور بالشام والجزيرة . كما انعكس ايجابيا على حالة العلاقة ما بين بغداد والغالبة
بل ازادت احترامات وتقديرا لأن الاغالبة شكلوا عتبة امام توسع نفوذ الامويين فسي
الاندلس على حساب العباسيين وكذا العباسيين مؤونة تحجيم نفوذ الامويين واسم
يحملوا ببغداد اي مصروفات او تكاليف اخرى وبقيت العلاقات ودية ، حيث ان المصادر
لم تمدنا بمثل هذه العلاقات الا في حالة متأخرة من فترة دراستنا عام ٢٨٩ هـ . حيث
ان المعتضد طلب من ابراهيم الثاني ان يخلع نفسه نتيجة لشكوى اهل تونس ، وربما ان

(١) محمود اسماعيل عبدالرزاق : الغالبة ص ٢٠٢ - ٢٠٣ .

(٢) الخروطلي : البحر المتوسط ص ٥٦ .

(٣) حسين مؤنس : اثر الاسلام ص ١١٢ .

ابراهيم العدوي : قوات البحرية العربية ص ٩٤ .

هذا الطلب كان صعبا وليس بالامكان تنفيذه من قبل اسرة استمرت اكثر من قرن تحكم تلك الديار بل استطاعت ان تفتح صقلية وتقف امام خصوم عنيدين لدى هندا فكيف يمكن تنفيذ شكوى اهل تونس وعلى ما يبدو ان الاخطار بدأت تزداد سوءا في المغرب وبدأت قوات جديدة تظهر نفسها ومطامعها بتلك الديار . وربما ان المعتضد اراد ان يبحث عن قوة نشطة جديدة عليها توقف او تقضي على تلك الاخطار المستجدة وربما كان هذا الواقع وراء الخلع .^(١)

ولقد عاصر بعض حكام الاغالبية عددا من الخلفاء^(٢) واقره كل منهم على عمله واهده كتاب التقليد^(٣) . ويبدو ان العادة جرت ان كل خليفة يرسل او يهبث كتاب التقليد لسابقيه .

هذه الامور توضح طبيعة العلاقات القائمة ما بين الاغالبية والخلافة وتوضح ايضا مشاركة عرب الاندلس بالفتح دون امراء الاندلس في فتح صقلية^(٤) وربما كانوا يقابلون نجاح الاغالبية وتقدمهم بالجزيرة بتوطيد علاقاتهم مع بيزنطة ، حيث استمروا على تسلك السياسة التقليدية بمصادقتهم^(٥) وكان طبيعيا ان تتأثر علاقات صقلية بالدولة الاموية بالاندلس بالعلاقات العدائية التقليدية بين العباسيين والامويين وذلك بحكم تبعية صقلية للاغالبية وولاة الاغالبية للخلافة العباسية . ووصل الامر ان تم تبادل العلاقات

(١) دائرة المعارف الاسلامية . مادة بني الاغلب ٢١٢ - ٢٧٣ هـ .

(٢) المستعين : ٢٤٨ هـ / ٨٦٢ م .

المعتز : ٢٥٢ هـ / ٨٦٦ م .

المهتدي : ٢٥٥ هـ / ٨٦٩ م .

المعتد : ٢٥٦ هـ / ٨٧٠ م .

(٣) كتاب التقليد كان من المستعين للامير الاغلبى وقد سبق كتاب التقليد .

من المنتصر وكذلك طلب من المتوكل الا انه مات قبل ارسال الكتاب .

انظر : الهلوانى : فتوح البلدان ص ٢٧٧ .

(٤) ابن عذارى : البيان المغرب ج ١ ص ١٣٢ .

النويرى : نهاية الارب ج ٢ ص ١٢٦ .

الدورى عارف : صقلية ص ٥٤ - ٥٥ .

(٥) لويس : القوى البحرية ص ٢٢٨ .

الهلوى : سيرة ابن طولون ص ٢٤٨ .

الدبلوماسية ما بين بيزنطة والامويين في الاندلس على حساب العلاقات ما بين الخلافة والبيزنطيين . وعلى الرغم من حسن العلاقات الا ان طابع سوء التفاهم قد عكر هذا الحسن ولو على فترات متقطعة ، تجلت في تحرك العباس بن احمد بن طولون عندما خرج على ابيه ومع ذلك فان طابع الرد بينهما كان هو المهيمن لتلك الفترة .^(١)

فالاغلبية كانوا يعملون الخلافة ويطلبون الموافقة على اعمالهم ويدعوا لها على المنابر ويتوجهون اليها بالولا . رغم ما فيه من شكليات ، تجلى ذلك في فتح صقلية^(٢) وفي حروبهم مع البيزنطيين ، وبدوان ضم العلاقة التي بين الاغلبية والبيزنطيين الصقلية الى قائمة العلاقات ما بين البيزنطيين والعباسيين وكأنها حلقة مكملة لسلسلة العلاقات ما بين الشرق والغرب آنذاك .

٣ . علاقة الدولة العباسية بالصغارية :

نشأت الدولة الصغارية في ظروف كانت بها الخلافة منصرفة الى ثورات داخلية اهمها ثورة الزنج (٢٥٤ - ٢٩٠ هـ) فلم تستطع ان تضع لها حدا او تجبرها على الولا والطاعة . ويعود ذلك الى شخصية مؤسسها وقوة شكيمته وطموحه ، ولقد تكلمنا عن ذلك بالفصل الثاني من الرسالة بشي . من التفصيل عن تأسيسها ولكن الذي يهمنا هنا كيف كانت علاقتها مع الدولة العباسية .

ويمكن دراسة هذه العلاقة بموقف كل من الطرفين نحو الآخر فطابع المهادنة كان يحكم العلاقة بينهما اول الامر ، وربما يعود ذلك الى حاجة مؤسسها لتنفيذ مخططة واحكام السيطرة وتحقيق مطامعه فيها بعد ، وكل ذلك يعود الى موقف السلطة المتردى والمنهوك القوى فكانت تهادن لضعف الموقف الداخلي لديها .

فنرى معتوب الصغاري يوسع نفوذ سلطته حتى احكم السيطرة على الولايات الشرقية ومع كل اتساع يحققة كان يشعر السلطة بالولا . وربما كان هذا موقف سياسي بارع يعرف كيف يسكت خصمه وينتزع تأييده لصالحه . وبدأت مطامعه واضحة عندما تحدى السلطة بالقضاء على اسرة آل طاهر وسجن زعيمها^(٣) ، ومع ذلك استطاع ان يموه

(١) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٦ ص ٦٠ .

(٢) رسالة كتبها الامير زياد الاغلبي الى المأمون تخبره بفتح صقلية .

الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٧ ص ٢٩٢

(٣) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٨ ص ١١ ،

ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٥ ص ٢٦٩ .

على السلطة ويستص نقيتها عليه ، وكتب الى الخليفة ان اهمال آل طاهر كان مدعاة لظهور الثائر الجديد في طبرستان والديلم والحسن بن زيد^(١) الا ان السلطة لم تقبل عذره هذا وطلبت منه الالتزام والعودة الى مكانه الاصلي وترك آل طاهر وشأنهم . ومع ذلك رفض الاستجابة واستمر في توسعاته في الامصار حتى دانت اليه ورسخت اقدامه فيها وجنى غراجها ونفذ احكامه على سكانها فأخضع المشرق بمعد هزمه للعلوي الحسن بن زيد .

ويبدو هنا انه بدأ يتحرك لتنفيذ خطوته الثانية وهو التحرك نحو بغداد وخاصة بعدما نشرت السلطة خبرا على حجاج المشرق تلعن الصفاري وعدم شرعيته^(٢) على الشرق وحبسه آل طاهر . وفي ضوء ذلك تسارعت الاحداث وخسرت السلطة امام ثائر جديد لم يلبث الثائر نفسه ان وقع هو وجنده تحت سيطرة الصفاري فجنى كسبا جديدا وزاد ذلك من قوته ومقدرته وتوسعته^(٣) مما اجبر السلطة ان تقع في احراج وتعلن ان مانشرته بالامس هو اليوم غير صحيح وتعلن شرعية الصفاري على المشرق وتطاطى رأسها ثانية لهذا الثائر ورهما كان ذلك بطلب منه نتيجة للمراسلات والسفارات بين الطرفين .^(٤)

لقد كان المرسوم الذي نشرته الخلافة به نوعا من الاهانة لها ، ولكن ربما يبدو انها غير ملومة بما نشرته وناقضت به نفسها ، ويعود ذلك للوضع الداخلي وكثرة المتمردين والثائرين وخاصة ثورة الزنج التي بدأت تشتد وتقوى ويهلب عودها ، وحتى نفوت الفرصة على الصفاري باعلان الاستقلال او التقدم نحو بغداد او على الاقل تعده عن الاتفاق مع صاحب الزنج فتكون بهذا قد وضعت حدا لكارثة ربما تكون نهاية

(١) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٨ ص ١١ ،

ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٥ ص ٣٧٠ .

(٢) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٨ ص ١٨ ،

ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٦ ص ٠٧ .

(٣) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٨ ص ٢٠ ،

ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٦ ص ٧ ،

هو محمد بن واصل كسر جيش الخلافة ثم انتصر عليه الصفاري .

(٤) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٨ ص ٢١ ،

ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٦ ص ٠٧ .

(١)

الخلافة ويبدو ان صاحب الزنج طلب من الصفاري الا انه رفض ذلك جملة وتفصيلا كما سبق ورفض تقليد الخلافة الذي اعلنته بتوليته على المشرق وشرطة دار السلام وهو ارفع المناصب آنذاك .

رجعت الرسل من عند الصفاري تحمل الرفض والتعنت والشدة من قبله مفهمة السلطة - انه لا يرضيه ما كتب ونشر على حجاج المشرق وطبرستان دون ان يقف على ابواب السلطان .^(٢)

روى ان الخلافة قامت بعرض شروط اخرى ، الا انه اسرع نحو الغرب عله يفوت عليها امر الاستعداد للقاءه ، الا انه لم ينجح بذلك فوجد ان سامرا قد اعدت العدة وحشدت الطاقات والتقت معه في معركة شبه حاسمة كانت لصالح السلطة ورجع الى سجستان وغيرها رافضا طلب السلطة الصالح معه والرجوع ، ومع ذلك استمر على عناده وموقفه^(٣) وبقي يتعرض لولاة الدولة وعمالها ويطاردهم^(٤) حتى خسر امام احد قواد الزنج ومع ذلك استمر في الاعتداء ولم تحسن علاقته مع السلطة وبقي حتى اسلم نفسه للموت عام ٢٦٥ هـ .

ولما توفي يعقوب بن الليث اقر ابو احمد الموفق اخاه عمرو بن الليث على المنشور الذي قرأه على حاجي خراسان والديلم بتولية شرطة بغداد وولاة سجستان وكرمان وخراسان والسند وخلق عليه وتبادل عمرو مع الموفق الهدايا فكان عمرو اكثر من اخيه سياسة وحكمة بالادارة وتصريف الامور والاحسان الى الجند واكثر ملاينة مع السلطة ، الا ان حسن العلاقة لم تدم طويلا فنرى ان السلطة تعزل عمرو عن ما ولته .

(١) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٨ ص ٢١ ،

ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٦ ص ٥٧ .

(٢) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٨ ص ٢٢ ،

ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٦ ص ٥٨ .

(٣) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٨ ص ٢٢ ،

ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٦ ص ٢٢ ،

ابو الفدا : تاريخه ج ٢ ص ٥٨ ،

ابن تغربردي : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٣٧ ،

الجوزي : المنتظم ج ٥ ص ٣٣ .

(٤) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٨ ص ٣٤ .

وربما انه لم يخضع للسلطة الا اسميا وهذا لا تريد ، ووصل الأمر الشتم واللعن على المناهر وفي المناسبات العامة ، الا انه رفض وتحركت قوات السلطة نحو عمرو وتمكنت من الانتصار عليه عام ٢٧٤ هـ ، الا ان السلطة لم تهبط نفوذها على كرمان وسجستان وعادت ادراجها^(١) وبقي عمرو يناصر السلطة العداء حتى قُبض عليه وارسل الى بغداد فمات بالسجن عام ٢٨٣ هـ واستمر الامر حتى تم القضاء على الاسرة عام ٢٩٠ هـ .

وبعد ضعف الصفارية وزوالها الى موقف الدولة العباسية العدائي المستمر وتشجيعها للساميين بالمشرق حتى كان زوالها على يدهم هناك الى جانب ضعف الصف الداخلي .

المجال الثاني : علاقة الدولة العباسية بالدولة الهزنطية

ان المتتبع للعلاقات ما بين الشرق والغرب يجد انها قد ديمة منذ ان كان هناك شرقا وغربا ، الا ان طابعها ومصوغاتها كانت تختلف من عصر الى عصر ومن حاكم لآخر ، فنراها على فترات التاريخ تأخذ تغيرات متعددة مرة بالاجتياح والاستيلاء قد تطول زمنا حتى تستطيع القهورة ان تأخذ طور المبادرة والدفاع من نفسها ، واخرى بالتسلسل والانسجام ، الا انها كانت وبصفة شبه مستمرة تحمل طابع السيطرة او الامتزاج المغموس بالتفاهم والتعاون .

وعلى كل لقد كانت علاقات المسلمين والهزنطيين احدى فترات العلاقات ما بين الشرق والغرب^(٢) فكانت في القرنين الاول والثاني الهجريين لصالح الاسلام

(١) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٨ ص ٥٤ .

ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٦ ص ٦٣ .

(٢) بين دولة هزنطية والعرب البيروني - فعل - اجناد بن مسرج الروم .

انظر : الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٣ ص ٩٦ .

والمسلمين وكأنها مؤشرات بانحراف عقرب الساعة لغير صالح البيزنطيين^(١)، الذي بدأ يعود الى واقعه الطبيعي لصالح البيزنطيين في القرن الثالث الهجري وخاصة بعدما جلس على كرسي الخلافة اشخاص ضعفاء لم يكن لهم من السلطة الا اسمها^(٢).

لقد تغير موقف البيزنطيين وانتقلوا من مواقع الدفاع الى مراكز الهجوم وبدأ نجم توسعهم العسكري يعلو رغم ما هم فيه من مواقف داخلية ورغم ما حـلـ بانهمزاهم في البحر حتى أصبح الابيض المتوسط بحر الشام^(٣) ويبدو ذلك لانهمك الدولة العباسية في السياسة الداخلية المضطربة^(٤)، فاستولى ذلك على نشاطها الخارجي وربما حجم ذلك النشاط الذي ادى بدوره الى اعاقا اتخاذ موقف اكثر صلاحية مع البيزنطيين لو كان واقع السلطة يصرف من قبل حاكم حريص على حكمه وبلده وليس العوة بأيدي قواده له الاسم ولهم الفعل^(٥).

لقد كانت حلقة العلاقات ما بين العباسيين والبيزنطيين حلقة يشترك بها اكثر من خصم وصدى، فظهر على ساحة العلاقات الدائمة اطراف اخرى فتسرى الصقالية في صقلية بأخذون جانب العباسيين رغم اختلاف المعتقد ضد البيزنطيين خصوصهم التقليديين^(٦)، وبالوقت نفسه نرى الامويين بالاندلس يكونون مع البيزنطيين جهة واحدة او موقف متفاهم ضد العباسيين والصقالبة^(٧).

(١) مجموعة مواقف خلال القرنين الاوليين الهجريين ابتداءً من اليرموك ومحاصرة القسطنطينية وسيادة البحر الابيض المتوسط. مثل انتصار المأمون وكتاب توفيل صاحب الروم يسأله الصلح.

الطبري: تاريخ الامم والملوك ج ٧ ص ١٩٣.

(٢) مثل المستعين، المستنصر، المعتز، خسر العرب في جبهات اللقاء مع البيزنطيين اكثر من مرة وخاصة بالشمال على الشغور والعواصم المتقدمة نحو الخصم. انظر: الطبري: احداث من ٢٣٨ - ٢٥٥ هـ.

الطبري: تاريخ الامم والملوك، ج ٧ ص ٣٧١، ٣٨٠، ٤٠٥، ٤٢١-٤٢٢.

ابن الاثير: الكامل في التاريخ ج ٥ ص ٢٩٢، ٣٠٨، ٣١٣.

(٣) انظر: الطبري: تاريخ الامم والملوك ج ٧ ص ٣١٦.

(٤) كثرة المتمردين والطامعين مثل يعقوب الصفار العلوي وثوراتهم.

(٥) تلاعب الا تراك بالسلطة في احداث متعددة بعد موت المتوكل بل كان هو

الهداية لقوتها. انظر: الطبري: تاريخ الامم والملوك ج ٧ ص ٣٨٠.

وهنا يبدو مواقف الحكام الذين كانت تحكمهم العلاقات الشخصية قبل ان تحكمهم مصالح شعوبهم ودولهم ومجتمعاتهم . فالعداء^(١) الشخصي يجب ان يتترك جانبا ولا يكون هو المتحكم بالعلاقات . ومن هنا كانت ربط العلاقات بين صفين بجميع كل منهما جانب عدم الانسجام والرضا ، ولكن واقع الحال السياسي فرض نفسه على مثل هذه التجمعات . وربما تكون الدولة العباسية مجبرة على ذلك ، لتعدد الدويلات شبه المستقلة والمستقلة ايضا والتي تحمل طابع العداء^(٢) ، امتدادا من الشرق الى الغرب فلم يكن آنذاك للسلطة المركزية الا البسيط من تلك المسافات المترامية وربما يعود ذلك لوجود بعض الاشخاص الذين قادوا دفة السوولية وحفظوا لها ما^(٣) الوجه ولو الى حين^(٤) امثال الموفق الذي تولى ادارة السوولية مايزيد عن العشرين سنة والذي تمكن من تصريف وتوجيه القوى المتصارعة^(٥) على السلطة السيادية بين القتال الداخلية مع المواقف الجانبية على الحدود والتي ليست لها نسبة عالية فيها اذا قيست بالشؤون الداخلية التي اخذت جل وقته وكبدت السلطة معظم وارداتها وجباياتها المالية .^(٦) فتاريخ العلاقات بين الشرق والغرب ، هو تاريخ الانسانية نفسها منذ القدم حتى وقتنا الحاضر ، حيث احتكت العقول والافكار ، وتضاربت المشارب والاهواء ، وتهدت المطامع عارية وقامت الحروب الدامية^(٧) واختفت دول وممالك وامبراطوريات وظهرت اخرى على انقاضها ، واندثرت انظمة وحضارات لتحل محلها مدنيات وثقافات جديدة مغايرة .

(١) مثل دولة الصفار ، ابن طولون ، العلوي بطبرستان ، وطورة الزنج .

انظر : الطبري : احداث (٢٥٠ - ٢٧٠ هـ) .

(٢) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٧ ص ٧ .

(٣) اشتغل الاتراك بالقتال وخاصة مع صاحب الزنج والصفار .

الطبري : احداث ٢٦٥ - ٢٧٠ هـ .

(٤) اوقفت وصول الاموال الى بغداد ولحق بالخلافة ضررا لعدم وصول الاموال

نتيجة لحرب البصرة واستمر ١٤ سنة .

انظر احداث

(٥) مثل لقاء الروم مع العرب وتغير امارات ثم زالت دولة الروم في صقلية على يد

الافالقة .

انظر : الطبري احداث ٢١٢ - ٢٧٠ هـ وهي سلسلة من الاحداث .

ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٥ ص ٢٦٣ .

في زحمة هذه الاحداث والتغيرات الهائلة ، قام الصراع بين شقي العالم في شتى العصور القديمة والوسطى حيث قامت الحروب بين الفرس والاغريق منذ القرن الخامس قبل الميلاد ، انتهت وقتذاك بسيادة الاسكندر ^(١) المقدوني على اكثر بقاع الارض وقال كلمته المشهورة " لقد استعبدت شعوب آسيا لانها لم تعرف كيف تقول لا " . وقد استتبع ذلك من فرض الحضارة الهيلينية عليها بعد قضاؤه على دولة الفرس والتي اصبحت عاصمتها المدائن احدى الولايات الداخلية في نطاق دولة الاسكندر الجديدة .

ثم جاء بعده الرومان ولعبوا على مسرح الاحداث وتوسعت دولتهم في الشرق بعد معارك طويلة حملت روما لواء الكفاح في الغرب ولقد كان الصراع سياسيا وحربيا غير مبهورا بالطابع الديني بين قوتين مختلفتين وترمي كلاهما للسيطرة على الاخرى . ^(٢) وبقي الامر حتى عام ٣٢٣ م حينما اعتنق الامبراطور الروماني قسطنطين الكبير الديانة النصرانية التي اصبحت الدين الرسمي للدولة الرومانية واخذ الصراع منذ ذلك الحين يصطبغ بالصبغة الدينية ، فقامت الحروب ثمانية ما بين الفرس والروم ، في وقت شهدت فيه الاولى نهضة دينية كبيرة بينما كانت الثانية تدين بالمسيحية واستمرت العلاقات بين مد وجزر حتى اوائل القرن السابع حينما برز في الميدان ثورة جديدة بظهور الاسلام ^(٣) في شبه جزيرة العرب وقيام الدولة العربية الاسلامية وانتقل الصراع منذ ذلك الحين الى اطراف جديدة بين العرب والروم من ناحية وبين العرب واللاتين من ناحية اخرى ، وتستمر العلاقات بينهما على هذا النهج طيلة القرنين الاول والثاني الهجريين ثم بدأت تظهر عوامل جديدة في القرن الثالث الهجري لغير صالح العرب .

(١) اخذت هذه العبارة من كتاب يدرس في كليات المجتمع بالاردن عن الحضارات

القديمة والصراعات الدولية مؤلف مجموعة من الاشخاص .

(٢) الصراع ما بين الروم والفرس وبقي حتى غلبت الفرس الروم زمن بعثة النبي صلى

الله عليه وسلم فنزلت سورة الروم : بسم الله الرحمن الرحيم " الم . غلبت الروم

في ادنى الارض

(٣) ظهور دولة الاسلام مجموعة من المعارك ما بين الطرفين .

انظر : الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٣ ص ٩٦ .

وإذا دققنا النظر في حقيقة الصراع الذي قام بين شقي العالم خلال العصور نجد انه اتخذ في كل عصر شكلا معيناً يتناسب والظروف الموضوعية القائمة في وقت ما ، وان اتحد في الغاية والهدف واختلف في المنهج والاسلوب .

وعلى هذا فمن الخطأ ان نضع الخط الواضح الذي يفصل بينهما وبين المرحلة السابقة لها وتلك التي اعقبها ، ان هذا الصراع عبارة عن مجموعة مترابطة من الوقائع والاحداث المترابطة التي لا يمكن تقسيمها او تجزئتها او فصلها عن بعض وان كل مرحلة منه ماهي الا فترة انتقال من السابق الى اللاحق او وقفة استجمام لخطوة لاحقة .

تحسن واقع البيزنطيين بعدما علت الاسرة المقدونية عرش بيزنطة فحدث انقلاب في ميزان القوى في المنطقة واختلت الموازين التي كانت سائدة منذ قرنين من الزمان . وفي عهد هذه الاسرة بلغت الدولة البيزنطية ذروة قوتها في القرون الوسطى فاستتب الامر في الداخل وحسن التفكير وانعكس على الخارج الذي توسع بالسيطرة (١) .

ونتيجة لما سبق يمكن اعطاء بعض المواقف لتلك اللقائات الحربية ما بين الجانبين ، ففي عام ٢٥٩ هـ زحف صاحب الروم على سميساط ثم نزل على ملطيه وحاصر اهلها فحاربه اهلها فهزموه وقتل بطريق البطارق (٢) ثم زادت تحرشات واعتداءات الروم على الحدود فنراهم يقومون في العام التالي ٢٦٠ هـ بمهاجمة لؤلؤة واخذها من المسلمين (٣) وتقدم بها بعد ثلاث سنوات هدية الى ملك الروم (٤) ، ولم يقف الامر عند هذا فنرى عبدالله بن رشيد يقود اربعة آلاف من اهل الشغور الشامية بالتقدم ومهاجمة حصون الروم ويسلب ويأسر الا انه فوجي باعداد كبيرة يقودها البطارقة

(١)

(٢) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٨ ص ١٤ ،

قتل احمد بن محمد بن القابوس نصرا لا قريطش بطريق البطارقة .

النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٣٠ ،

ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٨٣ .

(٣) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٨ ص ١٨ ، قلعة قرب طرطوس .

ابن تغربردي : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٣١ .

(٤) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٨ ص ٣٤ .

(سلوقية ، فذهبيته ، قره ، كوكب وخرشنة)^(١) وحاصروا وقتلوا جل جيشه فلم ينج
الا خمسمائة على الاكثر واخذ اسيرا الى لؤلؤة ثم الى ملك الروم مقيدا مكلا وعاش
في الاسر حتى ارسل هدية الى ابن طولون مع عدد من الاسرى .^(٢)

ولقد لحق بالمسلمين ضررا كبيرا باستيلاء الروم على لؤلؤة لانها كانت مركزا
استراتيجيا تنذر بالقادم على السواحل برا وبحرا . وتوالت هجمات الروم على الشغور
والحدود فنراهم يهاجمون ديار ربيعة وتأسر منهم مائتين وخمسين انسانا ومثلت
بالمسلمين حتى اسعفهم اهل الموصل من خطر الروم وفي نفس الوقت دارت لقاءات بحرية
ما بين الاسطولين عند صقلية فظفر الروم بعد قتال شديد .

ويمكن اعتبار العلاقات ما بين الاغالبة وصقلية وبيزنطة حلقة من حلقات الصراع
ما بين الشرق والغرب باعتبار ان الاغالبة يعيشون بظل الدولة العباسية ودليل ذلك
ان ضعف الاغالبة مهد الطريق لدخول تونس ثم مصر تحت الحكم الفاطمي فيما بعد
 وخروجها من سيطرة العباسيين مما دفع بالخطر الفاطمي ان يهدد بغداد فيما بعد
 زمن الساسيرى^(٣) والذي بقي يخطب للخليفة الفاطمي مدة اربع عشرة سنة ، ويمكن
اعتبار هذا مكلا الحلقة ما بين البيزنطيين والعباسيين لانها تغطي الجزء المختص
بالبحر الابيض المتوسط وتضيف دعما جديدا للعلاقات ما بين الطرفين وان كانت
عدائية وصراع مستمر من اجل السيطرة واثبات الوجود .

وعلى الرغم من اللقاءات غير الساخنة الا انها كانت موجودة ويبدو انها كانت
تبدأ من جانب الروم فنراهم بين الحين والآخر يقومون بحملات شبه انتقامية وظهر ذلك في
خبر ورد الى دار السلام سنة ٢٧٠ هـ ان الروم نزلت بناحية باب قلنته ، وهم زهاء مائة
الف برأسهم بطريق البطارقة ، الا ان الموقف يبدو انه كان لغير صالحهم حيث تصدى
لهم يازمان الخادم ليلا فباغتهم وقتل قائدهم وآخرين برتته ولم ينج من البطارقة
الا بطريق قره وبه جراحات واستولى على خزائنها وسلاحهم وموئدهم وكانت هذه المعركة
اعادت الثقة الى الصف العربي الاسلامي حيث خسرت الروم على ما يبدو خسائر جسيمة

(١) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٨ ص ٣٥ ،

ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج ٨ ص ٤٤ .

(٢) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٨ ص ٣٥ .

(٣)

ولم تحقق مطلبها^(١) ولم يمر أكثر من ثلاث سنوات على فشل الروم بهذا اللقاء حتى جاء خبر إلى يازمان أن ثلاثة بنين ثاروا على ملك الروم وقتلوه ونصبوا أحدهم مكانه^(٢) وعلى اثر ذلك بدأ يازمان يقوم بخطافات جريئة على الحدود ويأسر وينهب ويقتل ويعود إلى مكانه حيث غزا وذلك في شهر رمضان سنة ٢٧٤ هـ^(٣)، كما قام بغزو البحر فأخذ من الروم أربعة مراكب^(٤). ويبدو أن شوكة الروم في تلك الفترة بالذات ظلت تقتل ملكها وتضعف الداخل فأنصرفت السلطة لامرها الداخلي تاركة الأمور الخارجية للمقادير رغم ما بدأ يحل بها. أو قل إنها فترة انتعاش جديدة بدأت تسرى في الموقف العربي نحو الثغور والشواطئ، بوجود قواد أكفاء عرفوا الأمر واخلصوا له مثل يازمان.

إن المنتهح لأحداث تلك الفترة لم يلمس مواقف سلمية مابين الجانبين سوى وقفات على الطريق أما هدنة وقوتة مشروطة بزمان وضمن مثل استبدال الأسرى أو دفع الغرامات وغير ذلك وأما طابع الزيارات والمجاملات تبدو أنها ليست موجودة وإن وجدت فإنها نادرة ولم يسودها الود. ويبدو أن المصادر التي تمكنا الوصول إليها لم تسعفنا بشيء من هذا سوى استنتاجات تؤخذ من بعض المواقف والمعارك واللقاءات.

-
- (١) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٨ ص ١٤٦ - ١٤٧ .
 ابن تغريبردي : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ١٧ .
 (٢) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٨ ص ١٥٢ .
 ابن تغريبردي : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٧١ .
 (٣) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٨ ص ١٥٢ .
 (٤) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٨ ص ١٥٣ .
 ابن تغريبردي : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٦٧ .
 الجوزي : المنتظم ج ٥ ص ٥٤ .

الفصل الخامس

الحياة الثقافية

تمهيد

التربية والتعليم

المسجد والكتاتيب

خزائن الكتب

اقوال الشعراء في مدح الموفق :

١ . ابن الرومي علي بن العباس

٢ . البحتري

٣ . احد الشعراء يةول

٤ . يحيى بن خالد بن مروان

٥ . يحيى بن محمد

٦ . يحيى بن خالد

بدأت الحركة العلمية والحياة الثقافية منذ ظهور الاسلام ، الا أنها لم تأخذ تلك الابعاد والمسارات التي نعرفها اليوم ، فكانت اول بحثة علمية خروج معان حسن جبل من المدينة صوب بلاد الشام ، ليعلم أهلها امور دينهم ^(١) . فأخذت الثقافة تنتشر انتشارا يدعو للعجب ثم بدأت تزاد في القرن الاول والثاني الهجريين ، الا أنها تجاوزت حد الاعتماد على الغير وبدأت حركة التأليف والابداع في القرن الثالث الهجري وتسايق الشعب والحكم في دفع حركة العلم وكثر العمران واتسع افق الفكر الاسلامي في أرجاء الدولة ، ويبدو ان هذا قد يرجع لقيام مجموعة من الدول التي استقلت عن الخلافة فشجعت العلم والعلماء ، وزخر ببلاد هذه الدول بالعلماء والشعراء والادباء زيادة على ما في بغداد وسامراء .

وعلى الرغم مما اصاب المسلمين في تلك الفترة من التفكك والانحلال السياسي لقد كانت الحياة الثقافية تسير بمسار على عكس الحالة السياسية ، ان أخذت تتقدم يوما بعد يوم . ويقول ابن خلدون في هذا " . . . حيث اعتبر العلم من جملة الصنائع " فقال : (ان تعليم العلم في جملة الصنائع) والصنائع (انما تكثر بالامصار ، وعلى نسبة عمرانها في الكثرة والثلة والحضارة والترف تكون نسبة الصنائع في الجودة والكثرة ، لأنه امر رائد على المعاش ، فمتى فضلت اعمال اهل العمران من معاشهم انصرفت الى ما وراء المعاش من التصرف في خاصة الانسان ، وهي العلوم والصنائع " ^(٢) .

وابتداء من القرن الثالث شهدت البلاد حركة علمية شملت جميع العلوم والمعرفة بقسميها - الديني والعقلي - فالى جانب علوم القرآن الكريم وتفسيره وعلوم القراءات وعلوم الحديث والفقه وعلوم الكلام ، فقد ازدهرت علوم اللغة والادب والشعر

(١) معان بن جبل جاء الى فلسطين وجرح بها ومات بطاعون حمواس ، وقبره في طور الاردن .

الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٢ ص ٢٨٠

ابن كثير : البداية والنهاية ج ٧ ص ٩٥

ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج ٢ ص ٨٧٧

(٢) ابن الجوزي : فضائل القدمين ، ص ١٢٠ ، تحقيق جبرائيل سليمان جهور .

(٣) ابن خلدون : المقدمة ص ٤٣٤ .

والتاريخ والرحلات والهندسة والفلك والطب وغيرها (١).

ولم يكن هذا حدث او جاء فجأة ، بل كان يقوم على بناء اخذ سنوات وزمن ليس بالقصير ، فلم تقدر ان ترى القرن الثالث يهيج بالعلوم والفكرين دون سواه . لذا نرى عصر المأمون يظهره اكابر العلماء والشعراء والادباء (٢) ، واذا تجاوزنا عصر المأمون الذي اتسم بالقوة وبسط نفوذ الدولة الى عصر الموفق بالله نرى ان الموفق بل وزراءه كان لهم شعراء وادباء يمدحونهم ويقصدون اربابهم (٣) فهذا ثعلب والمبرد (٤) كانا فرسي رهان في التسابق والمشورة العلمية لدى المسئول والناس ايضا . الا ان ثعلب كان موضع تكريم واعزاز من الشعراء والامراء والوزراء . ويبدو ان ثعلب كان انقي واكثر ويرا من ابي العباس المبرد (٥) وكان بين ثعلب واسماعيل بن بلبل صداقة حميمة وحسن معايشة ، دفعت هذه العلاقة ببعض الشعراء يمدحهما :

فهذا لهما الجود والسيف والتقنا
وانت لبسط العلم غير مهمل (٦)

هذا ثعلب ، وما ادراك ما ثعلب ، والى جانبه جمهرة من الادباء والظرفاء والعلماء كلهم في حامية العلم والتأليف ، فولدت حركة الثقافة الشابة القوة الفتية انتجت الكثير من الكتب والتصانيف التي لم تصل اليها الا القليل او اسماء فقط كما يذكر ابن النديم بالشهرست .

حدث هذا الابداع واشتد ساعده والخلافة في حالة ضعف وركود سياسي ، الا ان الموفق كان يشارك الحركة العلمية والسياسية بأن واحد كما يبدو ، فجالس العلماء

(١) يذكر من ابن خلكان بتعريفات عن علماء القرن الثالث الهجري ج ١

ص ٣٣٠ ، ج ٢ ص ١٢٦ .

(٢) البخاري (احمد بن طيفور ، ثعلب .

(٣) الشكعة : مذكرات في المكتبة العربية ص ٨٢ .

(٤) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها . جاء رجل يسأل عن المبرد و ثعلب اي الرجلين

اعظم قال : " ما اقول في رجلين العالم بينهما " .

(٥) الشكعة : مذكرات في المكتبة العربية ص ٨٤ .

(٦) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .

وارهاب السياسة فأثر وتأثر في كليهما معا (١).

الا ان الحركة العلمية قطعت شوطا كبيرا في الحضارة العلمية بل كانت باكورة العصر الذهبي الذي ازدهرت وبلغ حد العطاء فيها بعد رخم الاضمحلال والجمود والتشقق والتمزق الذي اصبحت به الخلافة . فلم تنطفئ جذوة الحضارة فيها حتى وهي تحت السيطرة وبسط النفوذ .

وعلى ضوء ما تقدم أن عملية التربية والتعليم اختلفت من عصر الى عصر ، ومن قطر لاخر حسب الاهتمامات والامكانيات . فكان البعض يرسل الابن الى الكتاتيب او المساجد ملتحقا بحلقات الدرس ثم يعتني به حسب الواقع الاجتماعي الذي يعيش فيه . وتعددت الاقوال والاراء حول التعليم ، فهذا ابن عهدين يقول : (..... والتعليم صناعة ، تحتاج الى معرفة وتآني ولطف ، فانه كرياضة للمهر الصعب ، الذي يحتاج الى سياسة حتى يرتاض ويتقهل التعليم) (٢).

لذا فان حركة الثقافة والتعليم نهجت مناهج مختلفة في الدول العربية الاسلامية مروراً بالكتاتيب وحلقات المساجد وبهوت الخاصة وقصور الخلفاء ، حتى اصبحت فيها بعد مكان للمعرفة ومن رغب فعملية ان يزيد في تحصيل العلم ، ويلحق بحلقات العلم بالمساجد ، وكانت اشبه ما تكون بمعاهد وكلية . فلقد جمعت الى كونها مكانا للمعاهدة والتبذل مكانا للدراسة والتدريس ، فهي المؤسسة الثقافية والتعليمية والمعاهدة ، ان كان لكل عالم حلقة يدرس بها ما يتقنه من العلم والتخصصات الاخرى ، حيث يتعلق حوله طلاب العلم وهو متخذ اسطوانة المسجد كرسيا له او مكانا يطي فيه على طلابه ما يريد املاه ثم يشرح ويتابع الاملاء والكتابة التي يقوم بها طلابه وكان يرفع الصوت احيانا ويكرر العبارة ثانية ، وكل ذلك من اجل ان يتمكن الطلاب من كتابة ما يقول . وكان العالم لا يغير مكانه بل يتخذ نقطة لا يجوز تركها . ويروى ان نبطويه درس الفقه والنحو في جامع المنصور ببغداد اكثر من خمسين عاما

(١) الزهير بن بكار : الاخبار الموفقيات . فطلب ملخصا بالنحو فعمل كتاب

الموفقي بالنحو لابن كيسان . مقدمة الاخبار ص ١٦ ،

ابن خلكان : ج ١ ص ٣٣٠ .

(٢) ابن عهدين : رسالة ص ٢٠٥ نشر في المجلة الاسبوعية ١٩٤٣ ،

الشلي : تاريخ التربية ص ١٩٠ .

لم يترك او يبرح مكانه (١) حيث كان من اهم مراكز التعليم في الدولة . ويحكى ان الخطيب البغدادي لما حج شرب من ماء زمزم ثلاث شربات ، وسأل الله عز وجل ثلاث حاجات ، آخذا بقول النبي صلى الله عليه وسلم : ماء زمزم لما شرب له ، فالحاجة الاولى ان يحدث بتاريخ بغداد ، والثانية ان يهدي الحديث بجامع المنصور ، والثالثة ان يدفن اذا مات عند قبر بشار الحافي ، ولقد تم له ما اراد فحدث بتاريخ بغداد ودرس بجامع المنصور ودفن بجوار بشار الحافي . ولعمري ان هذا منتهى الرفعة والاخلاص في اتقان العلم والتضحية من اجله . (٢)

المسجد :

وهذا بدوره ادى لتطوير الدروس المسجدية من كتاب الى دروس شبيهة منتظمة يواظب عليها الطلاب بمختلف اعمارهم ومستوياتهم حتى اصبحت هذه المساجد او هذه الدروس التي تعقد بالمساجد جامعات حرة الاختيار تخضع الى رغبة الطالب بالاختيار والالتحاق حسب رغبته ومبولة ، وقد تبدل وينتقل من حلقة لاخرى ربما ينسجم ويتوفر لديه الدافع والالهام وتحمل الرغبة القوية والقدرة على الفهم لهذه الحلقة او غيرها ثم يتابع الدواظمة على الحضور ، وكان هذا الامر في القرنين الاوليين ثم بدأ الامر يأخذ مسارا اكثر اتساعا وتخصصا في البحث حيث برزت مرحلة متوسطة بين ما كان وما هي عليه المدارس والجامعات الرسمية ذات المنهج وال المستوى المدروس والتي ادى الى ذلك برزت المدارس التي ساهمت في ايجاد ميادين تهوية وعلمية وكان بالامكان ان تتكامل هذه الاطر ، الا ان دوافع وموانع تعرضت لها البلاد ، حالت الى تشتيت هذه الاطر ، حتى انتهت الى الركود والجمود فيما بعد ، نتيجة للفوضى السياسية التي تعرضت لها البلاد على اثر ثورة الزنج والصغار وتسلط الاثراك .

فالمسجد اذا كان دار ثقافة ولا تقتصر الدراسة فيه على العلوم الدينية ، بل تناولت اللغة والاخبار والسير والشعر ، وهذه الحلقات التي كانت في المسجد ومتعددة

(١) باقوت : معجم الادباء ج ١ ص ٢٠٨ .

المقدسي : احسن التاسيم ص ٢٠٥ .

وقيل انه لم ينقطع مرة واحدة وحصل ان نزل الثلج ببغداد وتجمد فخرج وعقد الجلسة على الجليد .

(٢) باقوت : الارشاد ج ١ ص ٢٤٦ .

آدم متر : المضارة الاسلامية ص ٣٣٢ .

كل حسب مناجه وتخصصه فذلك كان لحرية الانتقال من حلقة لاخرى اثرا بالغ الاهمية في التثقيف والتربية ، وهي من اهم اسباب خصب الانتاج الفكري في تاريخ الاسلام . وكذلك لم تكن الكتابات على نمط واحد بل كانت تختلف من بيئة لاخرى ومن قرية لاخرى وكذلك تتوقف على نوع معلم الكتابات ومدار اخلاصه وورعته في العطاء واتقان مادته واسلوبه في تعليم الصبيان وحرصه على افادة المتعلمين على يديه .^(١)

تطورت الاساليب وتعدت في المهد الراشدي والاموي ، الا انها اخذت حظوة فائقة من الخلفاء والامراء في العصر العباسي الاول حتى ادى ذلك للنضوج فيها بعد بالدور الثاني العباسي حيث ظهرت العلوم الفقهية واللغوية والشعر والنثر وتفنن العلماء وجمعوا اكثر من نوع من الثقافة حتى اصبح الادب ملأ بالكثير من نسوج من الثقافة فنرى في عهد بني العباس انه اصبح تأديب ابنائهم نظاما خاصا ، فالفضل النخعي كان موهوب المهدى فالف كتابا اسماء الفضليات ليكون مناجا او طريقا يسلكها او يطالع عليها التلميذ . فقد اختار اشعار الفضل^(٢) ليهتف عليها وكذلك الكسائي موهوب الامين بن هارون الرشيد^(٣) بعلمه الادب وكذلك ابن السكيت كان موهوبا ولد ابن طاهر ، فلم يكن عمل الموهوب ضيقا بل كان يشمل جميع الفعاليات التربوية والتعليمية وتبعا لذلك فان هؤلاء الموهوبين كانوا اصحاب منزلة اجتماعية عالية تسود على غيرها من المنازل ، تدل على منزلة التلميذ الساذي موهوبه فكانوا من ابناء الخلفاء والقواد والامراء والوزراء وكبار رجال الدولة والاعيان وكبار التجار ، فكانوا يحظون برواتب كبيرة وعالية ويجمع بين راتب الموهوب والعالم والندم^(٤) وقد يبلغ المراتب خمسمائة دينار شهريا سرهان ماوصل الالف .^(٥)

كذلك اتخذ العتوكل الموهوبين لابنائهم ، واغدق عليهم الرواتب والهدايا واجزل في العطاء ، وظهر ذلك مع الزهير بن بكار الذي كان موهوبا للموفق والتف

- (١) كتاب الحضارة العربية الاسلامية ، منهج دراسي للصف الاول الثانوي في الاردن فصل الحضارة ص ٤٧ .
- (٢) الشكعة : مذكرات في المكتبة العربية ص ١٤ .
- (٣) ابن كثير : البداية والنهاية ج ٧ ص ٢٠٢ .
- (٤) ابن النديم : الفهرست ص ٦١ ،
ياقوت : ارشاد الاديب ص ١٤٤ .
- (٥) آدم متز : الحضارة الاسلامية ج ١ ص ٣٤٧ ،
الزهير بن بكار : الاخبار الموفقيات .

له كتابا اسماها الاخبار الموفقيات . (١)

لم يبق الامر بالعطاء والاشراف على العلم والعلماء عند الخلفاء . بل كان الولاة والحكام والوزراء يهجون نفس النهج وينشطون العلم بتقريب العلماء وجزلهم لهم العطاء وخاصة القضاة والعلماء من كل صنف . فأسرة الصغار بذلت الكثير على اهل الحديث وخاصة ابا عبد الله الهوشنجي شيخ اهل الحديث بنيسابور سنة ٢٩١ هـ (٢) ثم السامانيين (٣) بعد الصغار فكان الساميون بجزلون العطاء على العلماء والفقهاء جزلا مشبها وبوصلونهم بالعطاء في ديارهم وكان هذا ديسدن الاسرة حيث زعم بلاطهم بأشهر علماء ذلك العصر من الفقهاء واصحاب الحديث والادب والشعر ، ووصل الامر انهم كانوا بجزلون العطاء لكل عالم ينزل بولايتهم ، وكذلك الحال بمصر . وهناك قصة تروى ان اجتمع اربع من العلماء بمصر وكلهم فقراء محمد بن جرير الطبري ، محمد بن اسحاق بن خزيمه النيسابوري ، محمد بن نصير العروزي ، ومحمد بن هارون الردياني فضاقت حالتهم ، الا ان حاكم مصر ارسل خضين ديناراً لكل واحد منهم (٤) .

كما ان قسماً من العلماء كان يأنف أن يأخذ على ما يقوم به اجرا بل كان يدفع لبعض الطلاب المساعدات حيث كانوا يمتحنون التجارة او الصناعة وينفقون على أنفسهم ويأفون ان يأخذوا من احد درهما ، وكل ذلك طلباً للأجر والثواب من الله فيما يمسد .

الا ان الاكثرة كانت تعيش من رواتب الدولة ، ووصل الامر ببعضهم ان يؤلف الكتب ويهدونها للحكام ويسمونها باسمهم ، ومنها كتاب الاخبار الموفقيات ، والموفقيات في النحو وبدل على اهتمام الامير الموفق بالعلم ومعرفته باللغة والشعر حتى طلب ملخصاً للنحو فعمل له هذا الكتاب ، وربما كان هذا العطاء دافعا للطلاب على الاقبال على العلم للفوز بمثل هذه المراتب والعطاءات المعجزة .

(١) الزهير بن بكار: الاخبار الموفقيات . تم تحليله في الفصل الاول من هذه الرسالة .

(٢) ابن كثير - البداية والنهاية ج ١١ ص ١٠٠ .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) المصدر نفسه ج ١١ ص ١٠٣ .

ولم يقتصر التعليم على المساجد بل كانت قصور الخلفاء* منتديات ادبية وصالونات للمناظرة والمقالات العلمية التي كان الطلاب يرتادونها ويستفيدون منها وخاصة الشباب ، يتعلم الحجة بالحجة وغلبة الخصم بالحق وبالباطل احيانا وتفويض كتب المتكلمين بمثل هذه المناظرات الادبية والعلمية . (١)

المجالس الادبية :
وببدو ان المجالس الادبية التي ظهرت ساذجة بالعصر الاموي انتشرت وتطورت تطورا بالغ الاهمية بالعصر العباسي ، فالخليفة ينظم اعمال الدنيا ويعنسي بشؤون الدين ، ومن اجل هذا ، كان من اهم شروط المعلم المؤدب الاجتهاد . وكذلك الحلقات الادبية ، فان كل منهما خدم التطور الثقافي وعمل على نشر المعرفة .

وفيما عدا ذلك تظهر فوارق شاسعة بين تلك المجالس وهذه الصالونات ، ففي المجالس على ما يبدو ، ان لكل واحد الحرية الكاملة في ان ينضم الى المجلس او يعدمه متى شاء* وحسب رغبته حيث كان الخليفة يجلس والحشد امامه على سجادة متواضعة ، وعلى حصير وحيانا على الارض الجرداء* . (٢)

وكانت هذه المجالس تحف باجل الوشي اقتباسا من الممالك العظمى وتحدث عن ذلك باسهاب ابن عدي (٤) والمقريزي (٥) والمقري (٦) وكان يستقبل به نوعا خاصا والمرغوب فيه وليس لكل الراغبين (٧) ، وكان هناك نظاما خاصا للانصراف حسب اشارة تعطى من الخليفة . وكان هناك سلوكيات لتلك المجالس يجب الالتزام بها ، وهي حسن الاستماع كما يتعلم حسن الكلام وامهال المتحدث حتى ينهي حديثه ، والالتيان عليه بالوجه والنظر والوعي لما يقول . فلا يشغل السامع طرفه عن المتحدث بنظر ولا اطرافه بعمل ، ولا قلبه يفكر ولا يساهقه الى حديث يبدأ به لمعرفة السامع

-
- (١) الباوردي : الاحكام السلطانية ص ٥ ،
الطقطقي : الفخرى ص ٢٠ - ٢١ .
(٢) زيدان : التمدن الاسلامي ج ٥ ص ١٣١ .
(٣) ابن عدي ، العقد الفريد ص ١٠١ ، ١٠٨ .
(٤) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .
(٥) المقريزي : الخطوط ج ١ ص ٢٨٥ ، ٢٨٦ .
(٦) المقري : نفع الطبيب ج ٢ ص ١١٢٨ .
(٧) الجاحظ : الناج ص ٢١ .

بذلك الحديث هل يريه الارتياح له والتعجب منه ، ما يوهمه انه لم يخطر بهاله
ولا وقرني سمعه (١) .

وكذلك كانت مجالس الخلفاء العلمية والادبية تعقد لامور يحتاجها الخليفة
دون ان يشعر الآخرين بما يريد ، فكونها تخدم الثقافة بالاضافة الى الترويح والترفيه ،
ولكن بعضا من الخلفاء كانوا يديرون المناظرات لمعرفة التاريخ لدراستها والاستفادة
منها ، لمعرفة اعمال القواد والحكام واشهر الوقائع وحوادث الشجاعة ومعاملة
المسؤول مع المسؤولين ليستعينوا بها على المقابلة وحل المشكلات الخاصة بهم ،
وبدولتهم (٢) وكانت رغبة الخلفاء في بعض الاحيان الاستفادة من السابقين ، وكان
منهم من يوقفوا كل مظاهر الترف في الازمات ويتجهوا بكل مرافق الدولة الى الجرد
والحزم حتى اعتزال النساء ، كما فعل عبد الملك بن مروان بحربه مع ابن الزهير وسروان
ابن محمد مع مسلم الخراساني :
قوم اذا حاربوا شدوا مآزرهم
دون النساء ولو باتت بأطهار (٣)

ويبدنا ياقوت فيما معناه ان الصبي يظل يتلقى العلم حتى يجاوز عهد
الصبا ، وينتقل من مستوى تلميذ الكتاب الى مستوى الطالب في حلقات المساجد
والمدارس ، ويمتاز هذا التعليم بلون آخر ذي اهمية كبرى ، وذلك ان كثيرا ما كان
يخصص للمؤدب جناحا خاصا في القصر يعيش فيه ، ليكون اشرافه على الامير احكم
واشمل ، ويذكر احمد بن يحيى ابو العباس ثعلب اقعدي محمد بن عبد الله بن طاهر
مع ابنه طاهر واقربلي دارا في داره واقام لنا وظيفة فكنت اقعده معه الى اربع ساعات
من النهار ثم انصرف اذا اراد الغدا ، فبينما ذلك الى ابية فكان الهجو والاروقة
خاص ما يعد به من الالوان فلما حضر وقت الانصراف انصرفت فنتي ذلك اليه فقـال
للخادم الموكل بنا : قد نبي الي انصراف احمد بن يحيى ، فظننت انه يشغل
ما يحضر ولم يستطع الموضوع فانصرف فقال له : ابيتك ابرد من بيتنا او طعامك اطيب
من طعامنا فلما عرفني الخادم ذلك اقيمت فكنت على هذه الحال ثلاث عشر سنة . (٤)

(١) ادب النديم ص ٢٢ - ٢٤ ،

الشلبني : تاريخ التربية ص ٥٤ - ٥٥ .

(٢) مجبوعة من الروايات في كتاب الاخبار الموفقيات رقم ١٢٠ / ٤٥ / ١٣٥ .

(٣) المسعودي : مروج الذهب ج ٢ ص ٢٠٢ - ٢٠٣ .

(٤) ياقوت : ارشاد الاديب ج ٥ ص ١٢٥ - ١٢٦ .

ولم تعد المنازل مكانا صالحا للتعليم العام ، اذ ان السكان والطـلاب لا يجدون الراحة واليسر في التوفيق بين هـدو المنزل وبين حلقة الدرس وما تستدعيه من حركة ونشاط وقد قيل " ان افضل التدريـس هو المسجد لأن الجلوس للتدريس اما فائدته ان تظهر به سنة ، او تحمد به بدعة ، او يتعلم به حكم من احكام الله تعالى والمسجد يحصل فيه هذا الغرض ومتوفرا " لأنه موضع لاجتماع الناس رفيعهم ووضيعهم ، عالمهم وجاهلهم ، بخلاف البيت فانه مجبور على الناس الا من ابيح له ، والبيت يحترم وتهاب حتى لو ابيحت للجميع . (١) وتحت ظروف ملحة وقاسية قامت حلقات علمية تعليمية بالمنازل على ما جرى في بداية دعوة الاسلام حيث كانت تعقد في دار الارقم بن الارقم وفي دار الرسول عليه السلام .

هذا ما يتعلق بأبناء الطبقة الخاصة ، اما أبناء العامة فلم يكن نصيبهم كسابقهم ، الا ان التعليم انتشر على مستوى الكتاتيب وكان المعلمون يقومون بتدريسهم الا ان منزلتهم الاجتماعية كانت دون منزلة المؤدبين وروائهم اقل بكثير ، ودار حولهم القول وضربت الامثال وجاء ذلك في كتاب الجاحظ ، في المعلمين اورد مجموعة من النكت وغيرها حولهم ووصل الامر ان كانت شهادته لا تقبل ومن امثال الجاحظ " احق من معلم " (٢) ويذكر ابن قتيبة عن السندي انه كان لا يستحلف المكاري ولا الحائك ولا الملاح ويجعل قول المدعي مع يمينه ويقول اللهم اني استجبرك من الحمال ومعلم الصبيان . (٣)

واطنب الجاحظ في رغبان المعلم لانها تختلف بحسب اختلاف آباء الصبيان في الغنى والفقر والجود والبخل ، وقد انشد الجاحظ للرقاشي في معلم :
مختلف الخبز الرغيف
منتشر الزاد لثيم الوصيف
وأشدد لأبي الشمق :

خبز المعلم والبهال متفق واللون مختلف والطعم والصور (٤)

فكانت حالتهم ومنزلتهم تنهى بحالهم وتدل على المستوى الاقتصادي المتردى لتلك

(١) باقوت : ارشاد الاديب : ج ١ ص ٨٥ .

(٢) الجاحظ : البهان والتهيين ج ١ ص ١٠٠ .

(٣) ابن قتيبة : عيون الاخبار ص ٣٣ ،

آدم متز : الحضارة الاسلامية ج ١ ص ٣٤٥ .

(٤) آدم متز : الحضارة الاسلامية ج ١ ص ٣٤٥ ، ٣٤٦ .

الطبقة ونظرة المجتمع إليها ، ويبدو ان هذا القول مبالغ فيه ولم يكن مصيبا لأن نظرة المجتمع ترفع بالإنسان ولا يستبعد ان هناك فئة قليلة من المعلمين كانوا ليس على مستوى المعلمين مما جعل للآخرين مجالا للاستهزاء والسخرية ، وكان الاولى بالمجتمع ان ينصفهم ويقدم لهم الاكتفاء ويرفع من منزلتهم لأن هذا ينعكس على الإنسان والمعلمين في كتابتهم .

ويبدو ان المبرر كان من المحاضرين في الجامعات ، كانت ترعا الدولة وتشرف على المحاضرات في المساجد ، وكذلك الزجاج الذي فرض له المعتضد فيها بمسند دخلا خاصا به .

ومن الدلالة على الاهتمام بالعلم وتشجيعه انه اهتم به أولا من الناحية التربوية ثم التعليمية ثانيا ، والدليل على هذا ان انشاء المدارس جاء متأخرا في القرن الخامس على الاخص . فلم تكن حركة التعليم القراءة والكتابة غاية ، فالتربية تجسي عندهم قبل التعليم في الاهمية ، لذا نراهم يركزون على الاخلاق وسمو وشدة النفوذ والرجولة ويركزون على النواحي الثلاثة الروحية والعقلية ثم البدنية .

وتجلت مواقف ذات اثر بعيد لدى الخلفاء ، فنرى المعتضد يكتب شعره بما الذ هب^(١) وكان يعنى الوزراء مولعا بالادب والعلم ويضرب المثل بقراءات الفتح بن خاقان حيث كان من اكبر الدولة العباسية زمن المتوكل ، فانه كان يحضر لمجالسة المتوكل فاذا قام المتوكل اخرج كتابا من كفه وتصفحه .
خزائن الكتب :

لم يقف الامر عند التربية والتعليم مروراً بالكتاتيب والمسجد الى حلقات التخصص في شتى العلوم بل كانت ترافق حركة التربية والتعليم مراكز اخرى لدعم الثقافة وحفظها فهناك المكتبات العامة والخاصة ، فأخذت تنتشر سريعا في كافة اقطار الدولة وتلقى عناية جمة من مختلف المستويات ، فتقدمت صناعة الورق في القرن الثالث ، فلقد كان في كل جامع كبير مكتبة ، لأنه كان من عادة العلماء ان يوقفوا كتبهم على الجامع^(٢) فعمت المكتبات وانتشرت وازدهرت فهناك بهيت الحكمة ودار الحكمة الى جانب المكتبات الخاصة التي كانت تفوق المكتبات العامة ، وكذلك الحوانيت المقصورة على الوراقين

(١) الشاهشتي : الديارات ص ٣٩ .

(٢) آدم منز : الحضارة الاسلامية ج ١ ص ٣٢٤ .

(٣) ياقوت : ارشاد الاديب ج ١ ص ٢٥٢ ، ج ٤ ص ٢٨٧ .

تحمل نمطا متقدما من الثقافة ونشر العلم وكانت من العوامل التي ساعدت على انتشار الثقافة وازدهار الحركة العلمية ، ويذكر البيهقي ان بغداد كان بها اكثر من مائة حانوت للوراقين في سوق واحد .^(١)

وكذلك انتشرت طريقة بيع الكتب من قبل النساخين والخطاطين . وكان اكبر عشاق الكتب المولعين بها في القرن الثالث الهجري المعتمد الجاحظ وكثيرا ما يذكر بذلك والفتح بن خاقان واسماعيل بن اسحاق القاضي ، وفي مقدمتهم الخليفة المأمون والآخريين من الخلفاء^(٢) . فأما الجاحظ فانه لم يقع بيده كتاب قط الا استوفى قراءته كائنا ما كان ، حتى انه كان يسألي دكاكين الوراقين ويبيت فيها للنظر . ويحكى انه مات في حب الكتب حيث وقع عليه مجلد ولم يستطع دفعه عنه ، وربما يعود ذلك الى طريقة صف الكتب حوله كأنها الحائط وهو يداخلها فتساقطت عليه وكان عليها^(٣) فقتلته .

وأما الفتح بن خاقان كان من كبار رجال الدولة فكان مولعا بالمطالعة ولديه مكتبة خاصة وكان يطالع في فترة خروج المتوكل لبعض شأنه .^(٤)

أما اسماعيل بن اسحاق ما دخل عليه احد الا رآه ينظر في كتاب او يقلب كتبها او ينفذها .^(٥)

وفي سنة ٢٧٥ هـ توفي السجستاني المحدث ، وكان له كما واسع وكما ضيقا فليل له في ذلك فقال : الواسع للكتب والآخر لا احتاج اليه^(٦) . كما عمل علي بن النعمان في منتصف القرن الثالث الهجري خزانة كتب عظيمة في ضيعته وسماها خزانة

(١) البيهقي : البلدان ج ٢ ص ٧٠ .

(٢) كان يكتب اشعاره بها الذهب مع ندماء .

(٣) تاريخ ابي الفداء تحت سنة ٢٥٥ هـ .

(٤) آدم متر : الحضارة الاسلامية ج ١ ص ٣٢٤ .

(٥) ابن النديم : الفهرست ص ١١٦ ،

باقوت : ارشاد الاديب ج ٦ ص ٥٧ ،

ابو المحاسن ج ٢ ص ٧٩ ،

آدم متر : الحضارة الاسلامية ج ١ ص ٣٢٤ .

(٦) باقوت : ارشاد الاديب ج ٥ ص ٤٦٢ .

الحكمة وكان يقصدها الناس من كل بلد يقيمون بها ويتعلمون منها صنوف العلم، وكذلك كان ينفق عليهم من ماله الخاص، وقيل ان ابا المعشر المنجم ^(١) قصد الحج فمر بمكتبة ابي المنجم فقدمت له كتب التنجيم، فدرسها وألحد وترك الحج والاسلام ^(٢).

وهناك شواهد على هذا النوع من المكتبات الخاصة اضافة الى المكتبات العامة منتشرة في كل مصر، زيادة على المكتبات التي لم يعرف احد عنها شيئا. لقد كان القرن الثالث الهجري عصر الابداع والتفوق العلمي الذي بدأ يورق بالشار سوا بالعلماء او التأليفات العلمية والادبية.

ولقد برز دور الدوفق في تشجيع العلماء والادباء والشعراء ^(٣)، فكان يجلس حلقات العلم والادب ويسمع ويشارك بهذا العلم ^(٤) وحضي عنده بعض الاطباء النصارى وقدمهم على الآخرين ^(٥). كما وزر له بعضهم، فلم يقف مجاله العلمي عند ادارة الدولة ومؤسساتها بل كان يشجع الحركة العلمية وبرعاها. فلقد كان كتاب الاخبار الموفقيات، اثر اعلما بعيد المغزى والتثقيف، قريب المناسال محدثا موجهها، عاشه الدوفق كاخبار كتابه الى حد ما، وربما كان لقربه من استناده البكار في منفاه في مكة اثر بالغ في حياته.

(١) كان يلازم الدوفق في تحركاته العسكرية اثناء حصار صاحب الزنج.

انظر: الطبري تاريخ الام والملوك ج ١١ احداث الزنج.

(٢) ياقوت الحموي: ارشاد الاديب ج ٥ ص ٤٦٢.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية ج ١١ ص ٦٣.

(٤) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(٥) ابن الاثير الكامل في التاريخ ج ٥ ص.

قال علي بن العباس الرومي يمدح الموفق بالله ويهجو صاحب الزنج (١) :

موفق آراء ، وزير * موفق *
وانني لمهدي للموفق شكري
فمن مبلغ مني الأمير الذي به
ومرئى لكرضاة الإله مناخيسلا
أما أحمد : أهدت أمة أحمد
حقت نيام العقر والعقر بعد ما
وأمنت ليل الخافين : فما جند
بك ارتجع الإسلام بعد ذهابه
قتلت الذي استحبها النساء وأصبحت
وقتل أجدال العبادنة عنوة
بنال اليهود الفاسقون أمانة
حضرت عهد الزنج حتى تغاذلت
فظل - ولم تنله - رليظ نفسه
وكانت نواحيه كفافا فلم تنزل
تفرق عنه بالعكايد جند
ولو كنت لم تزد نههم وقتلتهم
ولكن بغى حتى نصرت فلم تكن
وليس سيف القرن عند استيلائه
وما زلت قدما تشفع الكرد للعدا

بماضده ، والركن بالركن بمضد
وشكركم من كل من يتشهد
رسا الأئمة وانتصي اليه المصدق
فضاها مضاهيا ليس فيها مضد
بلاء سبرضاة ابن عمك أحمد
هريق حراما ، والخلفين رقد
وشاكر نعمي قائم يتجهجد
وعاد منار الدين وهو مشهد
وهدته في البر والبحر ثوان
وهم ركب بين السوارى وسجد
وبشقى به قوم الى الله هود
قواه وأودى زاده القسزود
وظل - ولم تأييزه - وهو مقيد
تفهمها سحنا كأنك مريد
وتزدادهم جندا وجيشك مخصد
لكان له في قتلهم مريد
تنقصه إلا وأنيت قريه
أضر له من كاسيريه وأكيد
بكيده ، ومن تلقاه ربك تنجد

(١) ابن الرومي أبو الحسن علي بن العباس، رومي من ناحية أبيه فارسي لاه نشأ في بغداد وطلب العلم الذي ظل مولعا بتحصيله ومذاكرته الى ما بعد سن الكهولة حتى استقامت له ثقافة واسعة كانت معظم حياتة في بغداد لا يبرحها فلم يمدح الخلفاء رغم انه عاصرهم كما عاصر البحتري وهو استاذة الا ان اعصابه كانت اقوى من ارادته فلم يتمكن من الظهار والتظاهر بالمراوغة . الا انه اتصل باسماعيل بن بلبل وآل طاهر وآل وهب وآل المنجم الا انه لم ينل عندهم ما يعلا رغبته في الاسراف والبهذخ وكان موته زمن المعتضد بسم دس له عن طريق الوزير القاسم بن عبد الله بن سليمان فلما قام قال له الوزير الى ابن اياه ابن الرومي الى حيث بعثتني قال سلم على والدي فرد عليه اني لم اجتاز الى النار . انظر

ابن كثير البداية والنهاية ج ١١ ص ١٠٣ د يوان ابن الرومي .

نزلت به تأييد القوي غير نفسه
 بأمرن لو يرمي به عرض يذل
 إذا اجتاز بحرا كان ينجح مآوه
 فما رمته حتى استقل رأيه
 تراه مهن الناظرين ودونه
 سبر له في الدهم رأي مطن
 ولم قال إنذارا له فهو أنيه
 حدوت به نمو النجاة كأنما
 فلما أي الا الهوار شلته
 سكنت سكونا كان رهنا بمسودة
 وحامي اهو العباس في كل موطن
 محامة مقدم حيود عن الهوى
 وما شبل ذاك اللث الا شبيهه
 وما يفس عوي العره كان ابن مخلص
 مض لك إذ كل الحدي من الظها
 وهت كل درع فانشى كل منسل
 فلا يحد الرأي الذي اختره به
 لكم داجل بين التسمين مصلح
 ترى العين والطمول يطلن جفنها
 تشكي فلا يهدي عليها لصيقها
 وما زلت مفتوحا عليك بصاعيد
 بتدبيره طورا وطورا بهينه
 فمن يهني إن غاب منك مدد
 فلما أراك الله فرة وجهيه
 برأت به من كل ما أنت ضامن
 وبذلت من قرح يفتح مسير
 ألا ذلك الفتح المبين هناوه
 ومن يهني أن دمر العهد وأهنيه
 وأشيع أهل النفسى من أوليائه
 كأنني بهم قد قيل عند راءهم
 بقول مقالتي في نصيحك من مشي
 وما قيل فيه من مدح فانه

وذاك قوي من مثله لك معتد
 لأصبح مرسى صخرة وهو جدجد
 وإن خاف بئرا كادت الأرض تجرد
 مكان قناة الظهر اسمر اجرد
 حجاب وباب من جهنم مؤصد
 وجثمانه بالقاع شبلو مقصد
 رأى ان متن البهر صرح مقصد
 معجتها البهمناء محل مقصد
 الى النار، يفس المسورد المتورد
 عماين كذاك اللث للوشب بالمرد
 على يومه توب من الشر مجسد
 ولكنه عن جانب النار اجسد
 ويتر عجب ان ترى الشبل بأسد
 نصيحك، والافداء نحوك صمد
 وحاطك إذ رت النسج المسرد
 سيوى صاعد، والموت للموت ينهد
 وقرفته، هل من أي ذاك ينعسد
 كما أنفل بين العين واليهن مسرد
 إذا ما غدا انسانها وهو أرضد
 فتدنى الذي يهدي وقربه اهد
 تغوز، وتستعلي، وتحطى، وتسعد
 وما قاده التدبير فالهمن اقود
 فذاك دون الدرع ازيق مسرد
 تراه لك السعد الذي كنت تعهد
 وانت لشروى تلك منه مسود
 بأمثاله فاط الحسود المحسد
 فتم، ولا فاه يزيد وزيد
 وملاح قن، فالثلاثية هميد
 فوافاه، والهاقون قل مشرد
 رهوا ظماهم حتى إذا تم اوردوا
 ويقد مهم في ذاك من ينفسد
 مدحك، والنبات نحوك عسد

وقال البحتري (١) يمدح • الموفق بالله • ، وبذكر العلوي الخارج بالبصرة :
 مع الدهر ظلم ليس يطلع راتبه
 اهت وليلي في نصيبين • ساهر
 وان اغتراب العره في غير ههنا
 فلمن يمشدور اذا ردت سيئره
 ويعطيه مرجو العواقب مسرعا
 وما خللني والحادثات من الحمى
 فلو انه قرن ترائد صفاته
 أرجو وما نفع الرجاء اذا التقت
 ومما يفتى النفس كل عناها
 اذا لقت الضراف طال مداها
 وما مملك يخشى على كسب شاعر
 لعل ولي العهد يأخذ قادرا
 فان الذي بين الدافن • قاطعا
 فلا أرى إلا ما أفات رماحه
 وما كان يدرى صاحب الزنج • انه
 أقام بجانبه الى الله حقه
 وكان صريح الحين جئت ملحن
 تعاقد من شكل الأنيس بقسوة
 وما كادت الأيام عترا برهقه

وَحَكْمٌ أَمْتُ إِلَّا أَوْجَاجًا جَوَانِبُهُ
 لِيهِمْ عَنَانِي فِي نَصِيبِينَ • نَاصِبُهُ
 بِطَالِبِهَا مِنْ حَيْثُ دَهْرٌ بِطَالِبِيهِ
 إِلَيْهِ بِأَنْ تَعَمَّا عَلَيْهِ مَذَاهِبُهُ
 إِلَيْهِ رُكُوبُ الْأَمْرِ تُخْشَى وَاقِبِيهِ
 أَخْبَبَ مِنْ مَالِي وَبَغْنَمٍ نَاهِبِيهِ
 لَا حَزَنٌ حَظِي أَوْ بَكِي أَغَالِبِيهِ
 مَنَاجِسُ أَمْرِ مُبْهِمٍ وَمَعَاظِبُهُ ؟
 تَوَقَّعُهَا الصَّنْعُ الْبَطِيءُ تَقَارُبُهُ
 لِمَنْتَظَرِ السَّيْرَاءِ مِمَّا تَرَاهِيهِ
 بِعَرْضِيهِ عِنْدَ الْمُلُوكِ مَكَايِبُهُ
 بِحَقِّ مُغْنَى مَكْدِيَّاتِ مَطَالِبِيهِ
 إِلَى • الصَّيْنِ • عَرْضًا سَبِيحًا وَمَوَاهِبُهُ
 وَلَا فَنَمُ إِلَّا مَا أَفَادَتْ مَقَانِبُهُ
 إِذَا أَهْطَرَتْهُ قَلْبَةُ الْعَيْشِ صَاحِبِيهِ
 وَكُلُّ تَوَافِي لِلْقِيَاءِ حَلَايِبُهُ
 مَتَى شَاءَ يَوْمًا ، قَالَ مَا شَاءَ عَائِبِيهِ
 مُوَهِّمٌ أَنْ السَّيْبِيَّاهُ تُنَاسِبِيهِ
 وَلَا الدَّهْرُ يَهْلِي مَا أُجْدَتْ عَجَائِبُهُ

- (١) البحتري ولد بمنهج ونشأ في قومه فتغللت عليه فباحثهم ثم انتقل الى العراق وهو ميدان القلق والاضطراب ، والخلافة ضعيفة لاستبداد الاتراك فاتصل بالمتوكل فحنى لديه واصبح شاعر القصر ينشد الاشعار فاغدت عليه الاموال . وعند ما قتل المتوكل بقي يتردد على كل ذي سلطان لكن عيشته كانت ما بين الخوف والحذر . ولقد سبق ودخل بغداد في عهد المعتصم سنة ٢٢٦ هـ حيث كان العراق زائرا بمحاول الحضارة فمدح عليه القوم والكبراء من رجال الدولة مثل آل طاهر واولاد حميد بن الحميد الطوسي وآل سهل الا انه بقي يتردد بين العراق ومسقط رأسه حتى وافته المنية في بلده منهج ومات هناك عام ٢٨٤ هـ انظر ابن كثير البداية والنهاية ج ١ ص ٧٥ . معجم الادباء الاعلام ديوان البحتري .

وَلَمْ أَرِ كَالْمَلْعُونِ أَقْوَى زَيْبَرَةً ،
 إِذَا قُلْتُ ؛ بِهَيْبَةِ الْمَشْرِفَةِ أَهْمَدَتْ
 بَيْتُ الْمَنَافَا ، وَالْمَنَافَا بِحَزْنِهِ
 إِذَا أَرَادَ شَيْخًا كَانَ وَالِي قِرَاعِهِ
 كَمَا اللَّيْلُ إِنْ تَزْدَدَ لِعَيْنِكَ ظُلُمَةً
 يَلُونُ بِهَوْدِ الْبَحْرِ فَالْفَوْزُ مِنْسَدُهُ
 إِذَا انْحَارَ بِهَوْدِ الْبَعْدِ حُمْتُ وَرَاءَهُ
 إِذَا مَا تَلَاوَا حَضْرَةُ الْمَوْتِ لَمْ تَسِرْ
 تَرَى وَاشِجَ الْبُرْصَانِ تَهْتِكُ بِهَيْبَتِهِمْ
 فَإِنْ لَا تَشْفِ الْعَيْنَ لِلْعَيْنِ أَكْثَرَتْ
 تَنْزَى قُلُوبُ السَّامِعِينَ تَطْلُعَا
 بِغَالِبِ طَعْمِ الْمَاءِ فِي مَلْتَنَاهُمْ
 كَانَ الرَّدَى يَسْقِي الْعُضْلُ صِرْفَهُ
 إِذَا أَتَمَّ الرِّجْعُ الْمَرْكَبُ رَأْسَهُ
 وَلَمْ يَلَفْ مُضَوٍّ مِنْهُ إِلَّا ضَرْبُهُ
 وَكَانَ شِفَاءً صَلْبُهُ لَوْ تَأَلَّفَتْ
 تَعَجَّلَ مِنْهُ رَأْسُهُ ، وَتَخَافَتْ
 فَاصْبَحَ مِنْهَا عَلَى النَّاسِ يَفْتَدَى
 بِجَاهِهِمْ رَأْيِهِ بِأَطْرَاقِ عَابِسِ
 يَنْكَبُ فِي إِشْرَافِهِ وَهُوَ آزِمٌ
 فَلَمْ يَبْقَ فِي الْآفَاقِ خَالِجٌ رَيْفَةٍ
 جَبَاهِرَةُ الْأَرْضِ اسْتَكَانَتْ لِضَرْبِهِ
 وَكَانَ عَلَى أَشْرَافِ كُلِّ فِتْنَةٍ
 فَعَادَ " بَنُو الْعَبَّاسِ " عَمَّ " مُحَمَّدٌ
 بِهَيْبَتِهِ ، وَالسُّلْطَانُ شَاكٍ سِلَاحُهُ
 فِيمَا " نَاصِرُ الْإِسْلَامِ " لَوْ أَنَّ نَاصِرًا
 كَفَيْتَ أَمِيرَ الْوُفْدَيْنِ ، وَقَهْلَهُمَا
 وَمَا زِلْتَ مَدُونًا لِرَأْسِ خِلَالَةٍ
 أَخَذْتَ بِوَيْتِ الدِّينِ مَتْنِي وَطَفَرَتْ

وَأَبْقَى دَمًا وَالْعَادِثَاتُ تُجَانِبُهُ
 حُشَائِشُهُ ، كَرَّتْ تَثُوبُ ثَوَائِبُهُ
 وَبَكْرُ مِنْهُ الْحَتْفُ ، وَالْحَتْفُ كَارِبُهُ
 مَلِيًّا لَهُ بِالْفَضْلِ حَمْنٌ بِشَاغِبِهِ
 حَنَارِسُهُ تَزْدَدُ ضِيَاءَ كَوَاكِبِهِ
 مِنَ الدَّهْرِ بِسُوءٍ تَسْتَقِلُّ جَنَائِبُهُ
 عِتَاقُ الشُّذَا بِالْمَرْهَقَاتِ تُصَاقِبُهُ
 كَنَافَتُنَا حَتَّى تَطْيِيعَ كَنَافَتُهُ
 نَحُورَ الْأَسْوَدِ أَوْ تُرَوِّى شَعَالَتُهُ
 مَسَامِيعُ مَدْعُو لِيَدَاعِ بِجَاوِبِهِ
 إِلَى خَيْرِ مَسْئَلَاتِ رَكَائِبِهِ
 حُسَى الدَّمِ حَتَّى يَلْفِظَ الْمَاءَ شَارِبُهُ
 مِنَ السَّيْفِ دَيْنٌ أَرْهَقَ الْوَقْتَ وَاجِبُهُ
 عَلَيْهِ يَلْفَنُ قُلْتُ ؛ إِنْ وَرَاكِبُهُ
 لَا يَهْمُ مَا ثَوَّرَ تَهَابَ مَضَارِبُهُ
 لَهُ جِثَّةٌ يَرْضَى بِهَا الْعَيْنُ صَالِحُهُ
 لِطَبِيبَتِهَا ؛ أَوْصَالُهُ وَمَنَاقِبُهُ
 بِهَا مِنْ أَوْفَى عَلَى النَّاسِ نَاصِبُهُ
 شَهَى إِلَهُهُمْ سَخَطُهُ وَتَغَاضِبُهُ
 أَرْوَمُ الْخَلْعِ أَرْوَدُ عَنْ بَعَائِبِهِ
 مِنَ الدِّينِ إِلَّا فَايَحَاتِ مَصَائِبُهُ
 أَرَتْ قَهْمَ الْمَشْجِ الَّذِي ذَاقَ نَاكِبُهُ
 سَنَا فِتْنَةٍ يَدْعُو إِلَى الْغَيِّ نَاقِبُهُ
 وَشَاهِدُ عِزِّ النَّاسِ فِيهِمْ وَفَائِبُهُ
 بِعَقْدَتِهِمْ ، وَالْوَدَّ سَوْدُ ذَوَائِبِهِ
 بِرَأْفَدِهِ فِي حَفْظِهِ وَهِنَاوِيسُهُ
 كَفَيْتَ أَخَاهُ السَّدْعَ بِعَوِزِ شَكَائِبِهِ
 تَنَاصَرَهُ أَوْ مَنَعُولَ مُلْكِ تَجَارِبِهِ
 بِذَاكَ فَلَمْ يَهْلِكْ عَدُوُّ تَطَالِبِهِ

وَقَدْ يُحَرِّمُ الْمُؤْتَوْرُ إِمَّا تَحَسَّرَتْ
مَشَارِقُ مُلْكٍ صَحَّ بِالسَّيْفِ قَطْرُهَا
وَأَنَّ "أَبَا الْعَبَّاسِ" مَنْ تَمَّ رَأْيُهُ
بُرْهَانُكَ لَا تَرْتَابُ فِيكَ إِذَا بَدَا
وَقَدْ شَحَذْتُ مِنْهُ حَدَاثَةً سَيِّئَةً
إِذَا الْمَرْءُ لَمْ تَبْدُ هُكٌ بِالْحَزَمِ كُلِّهِ

عِدَاهُ وَإِمَّا فَاتَ فِي الْأَرْضِ هَارِبُهُ
فَلَمْ يَنْقُ الْأَنْ تَصَحَّ مَقَارِبُهُ
وَمَنْ شَهَرَتْ أَيْامُهُ وَمَنَاقِبُهُ
بِرُؤُوسِكَ نَصًّا نَجْرُهُ وَضَرَائِمُهُ
شَهَامَةٌ فَطَرَفٌ حِيدَانٍ مَخَالِبُهُ
قَرِيبَتُهُ لَمْ تُفْنِنِ عَنْكَ تَجَارِبُهُ

ولما تم القضاء على ابن الصغار وارتعد الى خراسان ، قال احد الشعراء
يعدج ابا احمد وبذكرا امر الصغار :

نعب الخراب عدته من ناعب
نادى بينهم فجاءت فمعلتي
باتوا بأثراب او انس كالسد من
فأولكن فرائر تيمنى
لولى عهد المسلمين مناسب
ومراقب في ذرة لا تترسقى
ولقد اتى الصغار في عدد لها
جلب القضاء اليه حتفا عاجلا
اغواه اهلوس اللعين بكسده
حتى اذا اختلفوا وظن بانسه
دلفت اليه مساكير ميمونة
في جفيل لجب تسرى ابطاله
وبدا الامام برأية منضورة
وولي عهد المسلمين وفقى
وكانه في الناس بدر طالع
لما التقوا بالمشرفة والقنا

وصها فوادى لا تكار حباثي
لزيال ارحلهم بدمع ساكب
مثل المهابت البطون كواعب
بسوالف وقوائم وحواجب
شُرقت وأشرق نورها بمناصب
أكرم بها من ذروة ومراتب
حسن فوافتهن نكهة ناكب
سقةً ورعياً للقضاء الجالس
واغتر منه بوعد كاذب
قد عز بين مساكير وكناصب
يلقون زحفا باللسواء الغالب
من دارع او رامح او ناشب
لمحمد سيف الاله الغاضب
بالله أمضى من شهاب ثاقب
متهلل بالنور بين كواكب
ضربا وطعن معارب لمعارب

ثار العجاج وفوق ذال حمامة
فصل الجموع بحزم رأى ناقب
لله در موفى ذى بهجة
بافارس العرب الذى ماشله
من فادح الزمن العضوض ومن لقى

فسراء تسكب ول صوب صائب
منه وأفرد صاحباً عن صاحب
ثبت المقام لدى الهياج مواسب
في الناس يعرف آخر لنواصب
جهش لدى غدر حرون غاصب (١)

وفيه يقول يحيى بن خالد بن مروان (٢) :

أين لي جواباً أبها المنزل القفر
أين لي عن الجهران أين تحملوا
وكيف تجيب الدار بعد دروسها
فنازل أيماني هفاني أهليها
كانهم قوم رفا الهكر فيهم
وعاشت صروف الدهر فيهم فأسرت
فقد طأمت الدنيا وأمنع نبتها
وعاد إلى الاوطان من كان هارباً
يسف ولي العهد طالت يد الهدى
وجاهدتهم في الله حق جهاد

فلا زال مثلاً بساحاتك القطر
وهل عادت الدنيا وهل جمع السفر
ولم يبق من اعلام ساكنها سطر
وضاقت بي الدنيا واسلطني المبر
وكان على الأيام في هلكهم نذر
وشر ذوى الأصعاد هل الدهر
بمن ولي العهد وانقلب الدهر
ولم يبق للملعون في موضع أثر
وأشرق وجه الدين ظلم الكفر
بنفس لها طول السلامة والنصر (٣)

وأشار يحيى بن محمد في قصيدة طويلة تأخذ منها هذه الأبيات :

عني اشتغالك اني عنك في شغل
لا تعذلي في ارتعالي انني رجس
لا تعذلي مني مني وقرو عن العبد
وقف على الشد والاسفار والرحيل

(١) قول الشاعر محمد بن علي بن فهد الطائي مدح العوف بن حناسة انتصاره على
بعقوب بن ليث الصغار . انظر : الطبري : تاريخ الام والملوك ج ٨ ص ٢٤-٢٥ .

(٢) الطبري - تاريخ الام والملوك ج ٨ ص ١٤٦

(٣) الطبري : تاريخ الام والملوك ج ٨ ص ١٤٦ .

(٤) المصدر نفسه

كأنني لعجال العيين والكلل
 يقظان قد جاذبته لذة المقل
 من أن يبيت له جار على وجعل^(١)

فيم المقام اذا ما ضاق بي بلد
 فاستيقظت همة لم تلق صاحبها
 ولم يبيت أنا من لم يبيت وجلا

وقال في هذه المناسبة (القضاء على ثورة الزنج) يحيى بن خالد^(٢):

والغامرين النيام بالافضال
 والمعلمين لكل يوم نزال
 واستنقذ الاسرى من الاغلال
 واليك يقصد راغب بسؤال
 باسأهب الامال والاجبال
 ماضي العزيمة طاهر السئوال
 متلددين قد ايقنوا بسؤال
 ملأت قلوبهم من الأهوال
 بالمشرفي وبالقتل الجسوال
 متقطّع الاوداج والأوصال
 بسلاسل قد أوهنته ثقال
 وبما أتى من سيي الاعمال
 وأدلته من قاتل الأبطال
 من بالمقارب صولة الأبطال^(٣)

يا ابن الخلائق من أرومة هاشم
 والذائد من الحرم عدوهم
 ملك أعاد الدين بعد دروسه
 انت العجير من الزمان اذا شطا
 اطفأت نيران النفاق وقد علت
 لله درك من سليل شلاق
 افنت جمع المارقين فأصبعوا
 أمطرتهم مزامير رأى حزام
 لما طفق الرجس اللعين قصده
 وتركته والطير بهجبل حوله
 بهوى الى حر الجحيم وقمرها
 هذا بما كسبت يداه وبأجنى
 اقربت عين الدين ممن كادته
 صال الدواق بالعراق فأفرقت

(١) الطبري : تاريخ الام والبلوك ج ٨ ص ١٤٦ .

(٢) المصدر نفسه ج ٨ ص ٨٢٥ .

(٣) قصيدة طويلة اخذت منها هذه الابهات .
 الطبري : تاريخ الام والبلوك ج ٨ ص ١٤٥ - ١٤٦ .

وأشار يحيى بن محمد الأسلمي^(١) في مناسبة القضاء على ثورة الزنج بقول :

أقول وقد جاء البشير بوقته
جَزَى اللهُ غيرَ الناسِ للناسِ بعدَ ما
تَفَرَّدَ إذْ لم يَنْصُرِ اللهَ ناصِرُ
وتشريد ملك قد وهى بعد عزة
ورق مارات ازبلت واخربت
ويرجع أمصارُ أهبجت وأخربت
ويُشفي صدور المؤمنين بوقته
ويُتلى كتاب الله في كل مسجد
فأعرض من أحبائه ونهههم

اعزّت من الاسلام ماكان واهبها
ابيح حكامهم بغير ماكان جازمها
بتجديد دين كان أصبح بالها
وإدراك ثارات في تيمم الاعادها
ليرجع في قد تنكرم وافهبها
ميراراً فقد أمت قواء موافبها
تقرر بها منا العيون البواكبها
ويلقى دماء الطالبين خاسبها
وعن لذة الدنيا وأقبل غاربها^(٢)

ويقول من قصيدة طويلة غير السابقة :

أين نجوم الكاذب المارق
صهجه بالنفس سعد مدد
فحسر في مازقه مسلما
وذائق من تآين الردى مستهزء

ماكان بالطيب ولا الحاذق
لسيد في قوله صادق
الى أسود الغياب في المازق^(٣)
كرهية الطعم على الذائق

(١) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٨ ص ١٤٤ .

(٢) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٨ ص ١٤٤ - ١٤٥ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ٨ ص ١٤٥ -

الفصل السادس

الحياة الاقتصادية

الصفحة

١٥٩	تمهيد
١٦١ - ١٦٥	أ - الزراعة
	تطور الزراعة في تلك الفترة وما طرأ عليها من شق
	طرق بإشراف المهندسين وتعميم انواع الاشجار .
١٦٦ - ١٧٥	ب - الصناعة
	تمهيد
١٦٩	الحياكة - مراكزها
	صناعة الحصر
	صناعة الاصباغ
	الصناعات الخزفية الفخارية
	صناعة الورق
	الات القياس
	صناعة العطور والدهون
١٧٥ - ١٨٣	ج - التجارة
	تمهيد
	مراكز التجارة

الحالة الاقتصادية

تمهيد :

الاصل في السياسة المالية ان تعمل على تحقيق التوازن بين مواردها ونفقاتها ، وربما سارت الدولة الاسلامية على هذه السياسة منذ ظهورها فأنشأت بيتا للمال ليقوم على حفظ الموارد وصيانتها والتصرف به لصالح الدولة وهو ما يشبه اليوم وزارة المالية .

وقد بلغ النظام الاقتصادي في العصر العباسي الثاني مبلغا رفيعا تجاوز الحد من الحيلة والحفظ والانفاق فلقد وضع لكل ولاية ديوان للخراج يتبع ديوان الخراج العام بالعاصمة . كما قسم الى قسمين ، قسم يشرف على النفقات بالولاية ويحمل ما تبقى الى العاصمة . والقسم الآخر يشرف على الجمع من مصادره الاصلية على مختلف المستويات والامكانيات . ولقد كتب الخوارزمي^(١) القوانين والدفاتر والاعمال التي كانت مستعملة في الدواوين وكلها تبين كيف كانت الاموال تخرج من بيت المال وتوقع حسب سجلات ودفاتر ونظام دقيق يعتمد على المتابعة حتى لا يقع اختلاس او سوء تصرف . ولقد كانت هناك في العصر العباسي الاول ثلاث طرق لجباية الخراج :

- ١ . المحاسبة : وهي اما ان تكون نقدا او نوعا او الاثنان معا .
- ٢ . المقاسمة : وهي ضريبة نوعية تؤخذ من المحصول .
- ٣ . المقاطعة : وهي ضريبة تجنى بمقتضى اتفاقيات معينة بين الحكومة والخاصة وهي تخص معظم اراضي التاج^(٢) .

وقد اهتم العباسيون بالزراعة واعطوها عناية فائقة ، وصل الامر عندهم بأن طلب هارون الرشيد من ابي يوسف يعقوب بن ابراهيم الانصاري صاحب الامام ابي حنيفة النعمان يكتب في الخراج كتابا جامعيا يعمل به في جباية الخراج والعشور والصدقات وغير ذلك^(٣) . ولقد رتب ابو يوسف الطريقة المثلى التي يجب ان يجمع بها الخراج وبقية موارد بيت المال مقسمة الى ثلاثة ابواب

الاول : موارد بيت المال وتنقسم الى ثلاث اقسام :

(١) الخوارزمي : مفاتيح العلوم ص ٢٦ - ٢٩ .

(٢) ابو يوسف : كتاب الخراج ص ٣ .

(٣) المصدر نفسه

- ١ . خمس الغنائم .
- ٢ . الخراج : ويدخل فيها وظيفة الارض الخراجية ثم جزية اهل الذمة ثم العشور .
- ٣ . المدقات .

الثاني : بيان الطريقة المثلى لجباية كل الاموال .

الثالث : بيان الواجبات التي يقوم بها بيت المال .

ونتيجة للحرص الشديد الذي أبداه خلفاء العصر الاول من بني العباس ، قصت خزائن الدولة بالاموال . فلم يتركوا المجال مفتوحا للولاة والوزراء بل كان الخليفة نفسه يحاسب^(١) . وليس ادل على ذلك من صرف جريدة دخل الدولة زمن الرشيد حيث بلغت ما يقرب من اثنين واربعين مليون دينار ماعدا الدفعات العينية^(٢) من قوائم الخراج المجموع من انحاء الدولة المترامية الاطراف^(٣) .

ومع ان خزائن العباسيين كانت تنفد بالاموال والعينات المادية وغيرها فسي العصر الاول . وكان هذا راجعا الى عنايتهم الفائقة بالموارد الاقتصادية وخاصة الزراعة والصناعة والتجارة واخذت جل اهتمامهم وكان لها الاثر الاكبر على مستويات دخل الدولة ، آنذاك انعكس على الدولة في البناء والحفلات والهدايا والمراسم التي كانت تحتاج الى اموال كثيرة الى جانب الرخاء والرخص بالحاجيات وخاصة ما يتعلق بالمأكل والشراب . ان يقول الخطيب البغدادي : " سمعت داود بن جعفر بن شبيب ابن رستم التجارى يقول : رأيت في زمن ابي جعفر كشاً بدرهم ، وحملوا بأربعة دوانيق (والدانوق سدس درهم) ، والتمر ٦٠ رطل بدرهم والزيت ١٦ رطلا بدرهم والسمن ثمانية ارطال بدرهم وكان ينادى على لحم البقر تسعين رطل بدرهم ولحم الغنم ستين رطل بدرهم ، ثم ذكر العسل فقال عشرة ارطال^(٤) " .

ويبدو ان هذا يعود الى اهتمام الخلفاء بالحالة الاقتصادية وغيرها من شؤون الدولة الاقتصادية والمالية . الا ان الامر قد تغير في العصر العباسي الثاني

(١) الخليفة ابو جعفر المنصور وهارون الرشيد .

ابو يوسف : الخراج ، ص ٩٥

(٢) القلقشندي : صبح الاعشى ص ٣ - ٢٧ .

(٣) ملحق رقم ١ ، ٢ ، ٣ .

(٤) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ج ١ ص ٧٠ .

نتيجة ما حل بالدولة من تمزق وتشتت وتمرد ، خاصة في زمن الاتراك الذين بدأوا يسيطرون على الامر ، واصبحوا صانعي الخلفاء ، ومع ذلك كانت الحالة الاقتصادية في القرن الثالث الهجري اقل سوء من القرن الرابع الهجري وهذا يعود للحديث عن مكونات الحياة الاقتصادية ، الزراعة ، الصناعة والتجارة .

أ - الزراعة :

ان عمل الخلفاء في رى الفرات يشبه اعمال الري في مصر والولايات المتحدة الأمريكية وأستراليا في هذا العصر ^(١) . ان المسلمين استعملوا جميع انواع الزراعة وحملوا كثيرا من النباتات الى صقلية واسبانيا وروما في اوروبا فأحسنوا تربيتها حتى نظنها مستوطنة ، ومثل ذلك الارز والزعفران والعنب والمشمش والبرتقال والبطيخ الاصفر والعطر والورد الازرق والاصفر والياسمين والقطن والقصب . ^(٢) يهتم المسلمون عند فتح اى بلد بشيئين في وقت واحد هنا المساجد وتنظيم الحقول ^(٣) .

فالزراعة هي احدى ركائز الحياة الاقتصادية فيدونها لا تقوم صناعة وتجارة . ان هي عصب الحياة وسرها ونتيجة لا هميتها واشرها الاقتصادي عني بها العباسيون كثيرا وشجعوها ونشطوا في حفر الترع والمصارف واقامة الجسور والقناطر وكانت الاراضي الواقعة ما بين دجلة والفرات على ما يبدو من اخصب الاراضي آنذاك حتى وصل الامر بالدولة انها اشرفت على ادارتها اشرافا مباشرا وعملت على تحسين مواردها وامتدتها بشبكة من المواصلات المائية فكثفت فيها البساتين والمزارع وكانت تعرف بأرض السواد ^(٤) كما ان عنايتهم امتدت الى بقية اجزاء الدولة في المشرق واليمن والشام وكما يبدو ان الزراعة بلغت شأنا بعيدا في العناية والدقة والتخطيط وانتشرت النظم الزراعية فسي

(١) الدوري ، عارف : صقلية ص ١٢٥ .

(٢) المرجع نفسه .

(٣) المرجع نفسه .

(٤) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ج ١ ص ٢٤ .
وسميت بالسواد لشدة خضرتها وميلها الى السواد مصداق لقوله تعالى فسي
سورة الرحمن (مدهامتان) اى خضر .

جميع اقطار الدولة غربا وشرقا ويبدو ان هذا التقدم بالزراعة وطرقها وشدة الاهتمام بها يرجع الى وجود خبراء ومهندسين بالرى وطرق حفر الترع وايصال الماء وتوزيع نوعيته الزراعة من حبوب وفواكه وخضروات على اتساع الدولة كل حسب مايناسبه في الزراعة حتى تكون النتائج الزراعية ايجابية وربما يعود ذلك الى دراسة الظروف المناخية لكل قطر واختيار نوع المحصول الذى يتلاءم مع هذا المكان حتى تتم الفائدة الاقتصادية وينعكس ذلك الوضع على (الناحية الاقتصادية) ودخل الدولة الاقتصادى وبالتالى يظهر على الحياة المعاشية التي تمتاز باليسر والرفاهية لكافة افراد المجتمع اذا استثنينا الآفات والمجاعات التي كانت تحصل في فترات متقطعة او نتيجة لحروب مدمرة او آفات فائكة بالزراعة وهذا يؤيد العناية بالزراعة وبناء السدود ، وقد ذكر مسكويه (. . .) أن السدود تكون من قصب وتراب يرقم في وجوه المياه الجارفة عند ضعف جريانها وغاية نقصانها فاذا وردت المياه القوية ومنعت من جذورها كفى معها اليسير من المعونة) حتى تنبعث وتدفع بعضها البعض ، ربما كان سبب انبثاق ثقب الماء بواسطة فأره يوسعه الماء وينتهي فيه الى حيث لا حيلة في سده . (١)

ولقد عمل العباسيون من اجل الاحتفاظ بالماء وطرق الرى ديوانا اطلق عليه ديوان الماء (٢) . وطبيعي ان يكون لهذا الديوان كواد عديدة كل حسب اختصاصه ونوع عمله وما تبع ذلك من سجلات ودفاتر تحفظ الاسماء والمقادير والخراج كل حسب نوع الرى (٣) وكذلك اعتنوا بالحراثة على الايقار والجواميس ر حسب طبيعة الارض . مثلا كان في اردبيل ثمانية من البقر كل محراث لكل اثنين معها قائد (٤) كما ان تنوع الانتاج كان حسب المكان ونوعا للبيئة . فنرى انواعا مختلفة من الفواكه والحاصلات الغذائية من الحنطة والشعير والذرة في جنوب الجزيرة والمشم باليمن والزيتون بفلسطين ومختلف الفواكه بخراسان وافغانستان وقزوين الى الذهب في المغرب والفضة بالشرق (٥) . ويبدو مما سبق ان الزراعة بلغت حدا من التقدم والمعرفة

(١) مسكويه : تجارة الامم ج ٢ ص ٢٩٦ .

(٢) الخوارزمي : مفتاح العلوم ص ٤٥ .

(٣) ابو يوسف : كتاب الخراج ص ٦٢ .

(٤) آدم متر ج ٢ فصل الحاصلات . ٢٠٠ - ٢١٠ المصادر .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٣٠٢ - ٣٠٤ .

الجاحظ : التبصرة بالتجارة ص ٢٩ .

ما يتجاوز الوصف من حيث اعداد التربة والعناية بها من حيث اشراف المهندسين والخبراء^(١) تم بواسطتهم جلب انواعا متعددة من الخضروات والفواكه وتم تعميمها ما يمكن تعميمه على المناطق التي تلائم طبيعة الخضروات والفواكه ثم اضافة الاسمعة الى الارض مع الري المناسب الذي يتطلب الترع والقنوات وحفر الممرات والاتصالات التي تجلب في قنوات دجلة والفرات والتي لا تزال آثارها ناطقة بتلك الانجازات التي سر عليها زمن طويل . وعلى الرغم من التقدم الذي نشهده اليوم الا ان ذاك الواقع لا يزال يشار اليه بالتقدم وباكتمال المعرفة الزراعية والاقتصادية لتلك المعرفة واخص بالذكر فترة الموفق بن المتوكل .

ان بداية الزراعة كانت في اوج نشوتها وازدهارها في القرن الثاني وبداية القرن الثالث الهجري ولكن مجريات الاحداث الجسام التي تعرضت لها الدولة من ثورات داخلية تطالب بالاصلاح^(١) الى تمردات معلنة الاستقلال والانفصال^(٢) حتى كدت ترى الدولة اجزاء متناثرة هنا وهناك لا يجمعها الا دعا الخطيب على المناهر اسما لا معنى ، فنرى بغداد وسامرا كأن احدهما في جزيرة ، هجم عليه الموج من كل صوب فلم تستطع السباحة او الدفاع امام تلك الهجمات العاتية ، امام هذا الخصم والموج الصاخب ، نرى الموفق يتف امامه بكل حزم وصبر فيضع حدا لها ويردها الى مكانها . الا ان تلك القوة لم تكن تمثل صولة الدولة كما كانت عليه زمن الرشيد والمأمون ولكنها استرجعت قواها ولو الى حين . وعلى الرغم من ازدهار الزراعة الا انها اصيبت بنكسة غيرت الموازين وعكست الرخا وبدلت ارض السواد من الخضرة النظرة ذات البهجة والمسرة الى ارض قاحلة يخافها المسافر ويخشها الفقير ويهرب منها الغني نتيجة لاهمال الترع والسدود والقنوات التي اهملت على اثر ثورة البصرة التي قام بها صاحب الزنج والتي اصبحت ميزانية الدولة خربة نتيجة الحروب والخراب الذي اصاب الزراعة في ارض السواد والتي دامت اكثر من اربع عشر سنة الى جانب ثورة يعقوب بن الليث الصفار في الشرق والذي هدد دار الخلافة وقطع الموان وواردات بيت المال في الشرق الى جانب استئثار بن طولون بملك مصر مقابل دفع قليلا من المال اذا

(١) ثورة الزنج . الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٢ ص ٥٤٣ .

ابن الجوزي : المنتظم ج ٥ ص ٧١ .

(٢) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٢ ص ٥٤١ .

(٣) ابن حوقل : صورة الارض ص ٢١٣ ، ٢٣٠ .

قيس لدخل مصر، وربما يعود ذلك الوضع السيء الذي وصلت اليه الزراعة آنذاك الى عدم الاستقرار السياسي والذي يقره ابن حوقل بخراب بعض الارض في الجزيرة لمجاورتها للحدود البيزنطية نتيجة للغزوات والحروب المستمرة مع البيزنطيين.^(١)

هذا التدهور الزراعي كانت له اسباب سلبية على الدولة وبالتالي على العلاقات التي كانت قائمة ما بين السلطة الشرعية لسامراء وبغداد وما بين الدول المستقلة والشبه مستقلة الى جانب الدول الخارجية. ظهر ذلك في فصل العلاقات الخارجية، لقد كانت الحكومة تدرك تماما العلاقة القوية ما بين حالة الزرع وبين السوارد لبيت المال. ولما كانت ضريبة الارض اهم مورد لبيت المال، فان النشاط الزراعي معناه ازدياد السوارد، ولذلك كانت مساعدة الفلاحين تعتبر سياسة مالية مستبشرة^(٢) ومع ذلك لم يؤخذ دائما بعين الاعتبار خير الفلاح حيث لم تنشأ سياسة زراعية موحدة وانما كانت التدابير الفردية تعتمد على شخص الحاكم والامير المسؤول^(٣). وتظهر رعاية الدول من تلك القصة حيث كتب علي بن عيسى الى عامله الى منطقة الصلح والمبارك ليخبره ان السواد أخذ عنوة وانه ليس ملك الخليفة او الدولة بل انه في المسلمين وانه بمثابة وقف لهم وان زراعه بمنزلة المزارعين يدفعون الخراج ايجار الاراضي التي يزرعونها.^(٤)

وهذا على ما يبدو ان الدولة كانت تعني بالزراعة لانها عماد اقتصادها بالدرجة الاولى حيث كانت الارض اهم حقل للانتاج كما ان الزراعة هددت عندما انتشر نظام الالجا* للقادة الاثراك في اواسط القرن الثالث قتل من الواردات لدرجة دفع الاجناد الاثراك المطالبة بالغاء* التلاجي*^(٥) وبشير الاصطخري الى ارض في ولاية فارس كانت مسجلة باسماء* لبعض رجال الحاشية المتقدمين مقابل ربح الحاصل وهكذا كان نظام الالجا* وسيلة للتخلص من عبث الجباة والعمال ومن ارهاقهم. كما ان نفوذ

(١) ابن حوقل : صورة الارض ص ٢٢٣، ٢٢٤.

(٢) التنوخي : نشوار المحاضرة ج ٣ ص ٨٩.

(٣) مسكويه : تجارب الامم ج ٢ ص ٢٧.

(٤) الصابي : الوزراء ص ٣٣٨ - ٣٤٣.

(٥) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٢ ص ٥٩٦.

الالجا* : هو التهريب من دفع الضرائب والزامها للشعب.

الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٢ ص ٥٩٦.

الحامي قد يجعل الجباة والعمال يتقاعسون عن جباية جزء من الضرائب المستحقة (١) وتمرور الزمن كان الحامي يصبح المالك الحقيقي للأرض، بينما يتبدل الوضع للمالك الأصلي الى حالة مزارع في الأرض. (٢)

ولقد حاول بعض السوءولين مساعدة الزراع لتسليفهم لشراء البذور والبقر (٣) وكان علي بن عيسى أكثر وزراء ذلك العهد عناية بالزراعة حيث كان يوصي العمال بانصاف الرعية والعدل ويوصي بأن تدفع الضرائب وبأمرهم فيه بالجد والاجتهاد في العمارة (عمارة الأراضي الزراعية) (٤) وربما انه اعتقد ان حفظ نظام الري هو العامل الرئيسي في رقاء البلاد واستمرارها. وكان يسلف فقراء الزراع البذور ثم يسترجع ذلك منهم في موسم الحصاد (٥) كما ان الدولة كانت تدفع بالكثير الى احياء الأرض وتنشيط الزراعة حيث تم احياء الأرض المحيطة بالهجرة (٦) وبذلك بذلت محاولات جمة من قبل الافراد والجماعات والحكومة لتحقيق اجزاء من البطيحة لاستخلاص الأراضي الخصبة من الماء وكانت الأراضي المستخلصة تسمى بالجوامد (٧) ونتيجة لذلك كان يعطى صاحبها حق الملكية التامة (٨).

فلقد اخذت الزراعة من جهود الدولة والخلفاء والولاة والوزراء الكثير ولكن ليس من الجميع بدرجة واحدة على نسق واحد بل اختلفت حسب الاشخاص ورغبتهم وحالة الدولة وحسب الظروف. كما انه لا يفتونا الحديث عن ان الزراعة لم تسلم من النكسات سواء كانت بالحوادث والحروب او بالتمردات، اضافة الى الآفات الزراعية التي كانت تجتاح المنطقة بين الغثينة والاخرى وتلحق بها الضرر، بل وربما تترك المزارع وشأنه دون اية مساعدة منتظرا امله من الله ان يلهيه الصبر ويموت عليه بباب آخر.

- (١) ابن قدامة ص ٢٤.
- (٢) مسكويه : تجارب الامم ج ٦ ص ١٧٢، ١٧٤، ٣٦٧.
- (٣) التتوخي : لشوار المحاضر ج ٨ ص ٦٦.
- (٤) الصاهي : رسائل عيسى لعمال الزراعة ص ٣٣٦ - ٣٣٨.
- مسكويه : تجارب الامم ج ١ ص ٢٧.
- (٥) الصاهي : الوزارة ص ٢٢٨.
- (٦) الاصطخرى : المسالك والممالك ج ٨ ص ٨.
- ابن حوقل : صورة الأرض ص ٢٣٩.
- (٧) الماوردي : الاحكام السلطانية ص ١٧٣.
- (٨) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها.

الحامي قد يجعل الجباة والعمال يتقاعسون عن جباية جزء من الضرائب المستحقة (١) وبعمر الزمان كان الحامي يصبح المالك الحقيقي للأرض، بينما يتبدل الوضع للمالك الأصلي إلى حالة مزارع في الأرض. (٢)

(٣) ولقد حاول بعض المسوولين مساعدة الزراع لتسليفهم لشراء البذور والبقر وكان علي بن عيسى أكثر وزراء ذلك العهد عناية بالزراعة حيث كان يوصي العمال بانصاف الرعية والعدل ويوصي بأن تدفع الضرائب وبأمرهم فيه بالجد والاجتهاد في العمارة (عمارة الأراضي الزراعية) (٤) وربما انه اعتقد ان حفظ نظام الري هو العامل الرئيسي في رفاة البلاد واسعادها. وكان يسلف فقراء الزراع البذور ثم يسترجع ذلك منهم في موسم الحصاد. (٥) كما ان الدولة كانت تدفع بالكثير الى احياء الارض وتنشيط الزراعة حيث تم احياء الارض المحيطة بالبصرة (٦) وبذلك بذلت محاولات جمة من قبل الافراد والجماعات والحكومة لتحقيق اجزاء من البطيحة لاستخلاص الأراضي الخصبة من الماء وكانت الأراضي المستخلصة تسمى بالجوامد (٧) ونتيجة لذلك كان يعطى صاحبها حق الملكية التامة. (٨)

فلقد اخذت الزراعة من جهود الدولة والخلفاء والولاة والوزراء الكثير ولكن ليس من الجميع بدرجة واحدة على نسق واحد بل اختلفت حسب الاشخاص ورغبتهم وحالة الدولة وحسب الظروف. كما انه لا يفوتنا الحديث عن ان الزراعة لم تسلم من النكسات سواء كانت بالحوادث والحروب او بالتمردات، اضافة الى الافات الزراعية التي كانت تجتاح المنطقة بين الغثينة والاخرى وتلحق بها الضرر، بل وربما تترك المزارع وشأنه دون اية مساعدة منتظرا امله من الله ان يلهيه الصبر ويموهن عليه بهاب آخر.

- (١) ابن قدامة ص ٢٤.
- (٢) مسكويه : تجارب الامم ج ٦ ص ١٧٢، ١٧٤، ١٧٧، ٢٦٧.
- (٣) التنوخي : لشوار المحاضر ج ٨ ص ٦٦.
- (٤) الصابي : رسائل عيسى لعمال الزراعة ص ٣٣٦ - ٣٣٨.
- (٥) مسكويه : تجارب الامم ج ١ ص ٢٧.
- (٦) الصابي : الوزارة ص ٢٣٨.
- (٧) الاصطخري : المسالك والممالك ج ٨ ص ٨.
- (٨) ابن حوقل : صورة الارض ص ٢٣٦.
- (٩) الماوردي : الاحكام السلطانية ص ١٧٣.
- (١٠) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها.

١- الصناعة :

لقد كان الدور العباسي الاول عوناً كبيراً للصناعة ان اعطيت اهتماماً من قبل الخلفاء والامراء حتى انتشرت في جميع ارجاء الدولة نتيجة لاعتنائهم بموارد الثروة المعدنية الى جانب الزراعة كما سبق ، فاستخرجوا النحاس والفضة والحديد من مناجم فارس وخراسان وكذلك الرصاص^(١) ، والذهب ومعادن اخرى كما اهتموا بصناعة المواد الزراعية التي هي بداية تطور ونمو الصناعة ، حيث تعددت الصناعات في انحاء الدولة واصبح اسم كل مدينة مرتبط بنوع من الصناعة حيث يمكن القول انه كان هناك شبه تكامل في الصناعة بين اجزاء الدولة انعكس ذلك على تحسن التجارة وازدهارها وبالتالي اعطى مورداً حسناً ، ظهر ذلك في بناء القصور والدوائر والحدائق والرافق العامة ، ان لا يزال اثر ذلك ناطقاً اضافة الى ما تمدنا به الحفريات وما هو محفوظ بالمتاحف والمعارض . وتجلى ذلك من قيمة الضرائب التي كانت تعود على خزانة الدولة بالربح مما دفع عجلة البناء والثراء وظهر نتيجة لذلك الاسواق العامة بكافة المنتجات الصناعية الى جانب الزراعة الذي اعطى مدلولاً فعالاً على مستوى المعيشة وبالتالي ادى الى ظهور حركة غنى ، مما مهد لنشوء حركة رأسمالية في القرن الرابع الهجري تجلت في ثراء الامراء والولاة والتجار وتبع ذلك وجود الصيارفة والجهنزة^(٢) .

الا ان بوادر الاضطراب السياسي في اوائل القرن الثالث كانت نتيجة مباشرة للانحطاط السياسي وفقدان السيطرة الفعلية من ايدى الخلفاء وانتقالها الى ايدى القادة الاثراك جعل الموازين الصناعية تختل وتتأثر نتيجة للوضع المتأزم في العاصمة سواء بسامراء او في بغداد ، ومع ذلك استمرت في تقدمها ولكن بشكل محلي .

وربما كان بداية هذا الوضع القلق لظهور فئة من فئات المجتمع والذي يطلق عليها العيارون والشطار في بغداد ، وكما يقول السعودي انهم كانوا جماعات من اللصوص هدفها النهب من الحوانيت والاسواق وبيوت الاثرياء^(٣) . ويبدو من هذا

(١) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام ج ٣ ص ٣٠٢ .

(٢) المرجع نفسه .

(٣) السعودي : مروج الذهب ج ٦ ص ٤٥٢ - ٤٥٧ .

المصدر في الاغانى ج ٦ ص ٩١ .

القول ان هذه الحركة ناقمة على المجتمع الثرى وارادت ان تتأثر من الاغنيا * ، لصالح الفقرا * ويقال ان عددهم ارتفع زمن فتنة الامين والمأمون الى خمسين الفا ^(١) ومع مرور الزمن اشتدت شوكة هؤلاء * وفرضوا انفسهم على المجتمع وظهر ذلك من اشتراكهم فيما بعد في حصار بغداد اثنا * الفتنة ما بين المستعين والمعتز ^(٢) . ويبدو ان لهم لباسا خاصا يميزهم عن بقية طبقات المجتمع . واذا كانوا مميزين باللباس فكيف يمكن ان نقول انهم فئة متمردة على المجتمع والقيم والذي يبدو انهم اصحاب طلبات شرعية بعيدة عن السطو كما يتصور الآخرون وكما يصفونهم .

ومع ذلك كان المجتمع العراقي آنذاك يمر بتجربة قاسية ان تعرض لشورات وانفصالات متعددة الا انها لم تكن جميعا ذات اهداف اقتصادية وثورة لصالح الفرد الفقير ، والعامل المستغل من قبل الاثريا * والامرا * وظهر ذلك بشكل بارز في ثورة الزنج التي قامت من اجل نسرة وانصاف الزنج الذين كانوا يقومون بعمل يفوق قدرتهم الجسدية دون ان ينالوا الا الشئ * اليسير من العيش ما يقيم الاول ويسد العوز . لذلك كانت هذه الفئة التجربة الحية التي لاقت التجاوب والانصياع لصاحب الزنج . ومع ذلك لم تحقق لها اى هدف رغم ما قدمته هذه الفئة من فداء * وتضحية بل كانت عليهم سوء طالع وعقبة كوفوء لواقعهم الذي افقدهم عشرات الآلاف ومع ذلك اعطت ارهاصا جديدا ومنها اذا اتجاء يدل على ان المجتمع العراقي آنذاك بل المجتمع العباسي ذا ديناميكية حيث ان النشاطات الاجتماعية التي ركبت الاتجاه الاقتصادي كانت ذات حركة حية توجه ذاك الهدف المغفود نحو الهريق الذي يظهر في حالة الطبقة العالية من عيش رغيد وجاء وسلطان ، ويبدو انهم ذا حق بهذا ، فكان ذاك القسم منغمس في المتعة والاكثرية تشن تحت التعسف والظلم ، دون ان تنال العناية التي تليق بكرامة الانسان متجاوزين تعاليم الاسلام الذي لا يسمح لأحد ان يستغل ويستعبد الآخرين ولو من باب الامل . رغم ان هذه التجربة لم تعط الثمرة المرجوة الا انها كانت دافعا للآخرين بالانضمام الى حركة القرامطة التي لم تكن احسن من سابقتها الا انها احدث هزة عنيفة بكيان الدولة واقتصادياتها بل كانت احدى مؤشرات التغيير هزوال الاتراك وسجي * غيرهم .

(١) المسعودى : مروج الذهب ج ٦ ص ٤٥٢ - ٤٥٧ .

الاغاني ج ٦ ص ٩١ .

(٢) الطبرى : تاريخ الامم والملوك ج ٧ ص ٤٨٩ - ٤٩١ .

وبالرغم من ذلك كله الا ان الصناعة اخذت تنمو مع الزمن ضمن اطر واسس تتعلق بطبيعة الواقع فظهر تخصص اصحاب الحرف حيث نرى ان اصحاب المهنة الواحدة يجتمعون في مكان واحد وكذلك صلاتهم الاجتماعية تكاد تكون متقاربة ووصل الامر الى درجة الاعتزاز بالمهنة والافتخار بها على غيرها . ويبدو ذلك عندما ينش الحجاج واسط وضع باعة الطعام والبزازين والصرافين والعطارين في الجانب الايمن الممتد الى جانب الخزائين وخص اصحاب كل حرفة بسوق لا يختلط بهم غيرهم ولكل مهنة صرافا خاصا (١) بسوقهم .

وكذلك بغداد قسمت اسواقها كما يذكر البغدادى مثل محلة البزازيين اصحاب الصابون ، السواقين ، اصحاب السويحة والقطنين . (٢)

وكانت المهن مفتوحة للمسلمين وغيرهم ، وكان الناس احراراً في اختيار المهنة .

لقد تعددت الحرف وتنوعت وتوزعت في انحاء الدولة كما ظهر التخصص بالنوع بكل بلد حسب موجودات الصناعة ، وعلى الرغم من هذا فانه لم يظهر تقسيم للانواع رغم ان اخوان الصفا (٣) قسموا ذلك فيما بعد وهذا يأتي بالفترة الزمنية خارج نطاق البحث . وعلى الرغم من ذلك كله ان جاء التقسيم للاسما متأخرا الا ان الصناعات كانت موجودة رغم ان التقسيم تأخر ، فنرى ان نخس الحديث عن الصناعة في الحياكة والحصر والصباغ والزجاج والدهاغة .

(١) تاريخ واسط ص ٤٣ ، ٤٤ .

(٢) الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد ص ٦٣ .

(٣) قسم اخوان الصفا الصنائع حسب فائدتها :

أ - الصنائع الضرورية للمجتمع كالزراعة والحياكة والنسج .

ب - صنائع تأتي بالدرجة الثانية وهي ما تنتم الى مثل الحياكة لا تنتم الا بالغزل والغزل لا يتم بصناعة الحلج فصارت صناعة الغزل والحلج تابعة للحياكة .

ج - صنائع للجمال والزينة مثل صناعة العطور ، الحرير ، الوش كما صنوها

حسب موضوع الصناعة الى نوعين :

١ . الصنائع الروحية : وتشمل المهن الفكرية .

٢ . الصنائع الجسمية وتشمل الحرف اليدوية بسيطة ومركبة . . . الخ

رسائل اخوان الصفا ج ١ ص ١١٣ - ١١٥ .

الحياكة :

كانت الحياكة من اوائل الصناعات واكثرها انتشارا في المجتمع العباسي حيث كان هناك منافسة على ما يبدو ، الظهور بالملابس الشفافة الموشاة وهذا يتطلب العناية بالحياكة وادى الى انتشارها في كافة ارجاء الدولة كل حسب نوع اوليات الخيوط لديه وان كان رقبها في القرن الرابع الهجري اكثر منه بالثالث .

ويبدو انها كانت من اقدم الصناعات اليدوية لان الجو يجعل العناية بالملابس ضرورية^(١) وكان لها اقسام مثل الستائر والانساط والسجاد والبسط والوسائد .^(٢)

وكان الناس يعنون بالملابس اكثر من غيرها ، لأن لكل طبقة نمط من اللباس ولكل صنف زيه ولكل مناسبة نوعا خاصا من الملابس^(٣) وتبع ذلك المنافسة والباهظة بقيمة اللباس وشكله ونوع حياكته حيث ضمت الصناديق الانواع المختلفة من الملابس وهذا ادى بدوره الى الاهتمام بنوع الحياكة وجودتها والتفنن في اشكالها والوانها وبالتالي الى كثرتها .^(٥)

فلم تكن هذه الصناعة وليدة العصر العباسي بل كانت سابقة له الا انها تقدمت واحرزت سبقا بعيدا من حيث الازدهار والانتان في العصر العباسي فكانت بغداد تصنع المنتجات الحريرية الفاخرة والمتنوعة .^(٦)

كما كانت منتشرة في انحاء الدولة منذ ان غزا سابور ملك فارس الجزيرة وآمد وغيرها من بلاد الروم فصار الديهاج يعمل بتستر والخزيسوس حتى عصر المماليك^(٧)

(١) ابن خلدون : المقدمة ص ٣٤٤ .

(٢) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ص ٥٠ ، ٥٢ .

(٣) الوشاء - الموشى ص ١٢٤ ، حيث يحدد قطع الملابس للرجل الظريف وبشير

الى ملابس المغنين والاغنياء في مجالس السمر .

(٤) الشعالي : لطائف المعارف ص ٧٢ .

(٥) ابن خلدون : المقدمة ص ٣٤٤ .

(٦) ابن الفقيه ص ٢٥٤ .

(٧) المماليك : مروج الذهب ج ٢ ص ١٨٥ - ١٨٦ .

آدم متر : الحضارة الاسلامية ص ٣٥٨ .

وكذلك انتشرت صناعة الحرير في اقليم خوزستان وكذلك انتشرت صناعة الابرسم التي كانت تصدر الى جميع الافاق ^(١) وزاد في اهمية الحياكة وتنوعها اهتمام اوشغف بعض الخلفاء مثل المتوكل الذي كان يرغب في ثياب اللحم التي هي سداها من الحرير ولحمها من القطن تصنع ببغداد فكان يفضلها على سائر الثياب حتى ان اهل بيته شاركوه بهذه الرغبة كما شاع استعمالها بين الناس وسميت بالمتوكلية وهي في غاية الحسن والجمال وجودة الصنع ^(٢) وكذلك المناديل الرقيقة التي كانت انعم من الخبز يسميها ايضا المتوكلية ^(٣).

ولقد سار الابهنا على سيرة الاب فترى الموفق يطلب من كاتبه احصاء مغازن الملابس لثوب اعجبه لبسه فكان عدده ستة آلاف ثوب فطلب المزيد من هذا النوع لحسنه ونعومته ^(٤).

واذا انتقلنا من بغداد الى البصرة فانها كانت مشهورة بالخبز والبز ^(٥) فالخبز نسيج رقيق يعمل من الصوف والحرير ^(٦) وكانت القطعة غالبية الثمن ، اما البز فكان نسيج قطن ثمين ^(٧) والى جانب هذا كانت تنتج اقمشة كتانية وقطنية ممتازة ^(٨).

اما الموصل فلقد تفوقت بصنع انسجة قطنية تدعى الشاش وتصنع كذلك نسيج الحرير الموشى وبذكر الجاحظ ان الستور والسوح تأتي من الموصل ^(٩).

-
- (١) الاضطخري ص ٢١٢ ،
 - ابن حوقل : صورة الارض ص ٢٧٢ .
 - (٢) السعودي : مروج الذهب ج ٧ ص ٢٩٠ - ٢٩١ .
 - (٣) حكاية ابي قاسم البخداي ص ٤٢ .
 - (٤) الفخري في الاداب السلطانية ، ص ١٨٦ ،
 - زيدان : التمدن الاسلامي ج ٥ ص ١٠٧ .
 - (٥) المقدسي ص ١٢٨ .
 - (٦) زيدان : التمدن الاسلامي ج ٥ ص ١٠٦ .
 - (٧) المرجع نفسه .
 - (٨) المرجع نفسه .
 - (٩) الجاحظ : التبصر بالتجارة ص ٢٢ ،
 - الابشهي : المستطرف ج ٢ ص ٦٦ .

وكانت آمد تصنع الوشي والمناديل والطبايسه ^(١) وعرف بنسيج الصوف والكتان وهناك مثلاً " ومن آمد ثياب الصوف والكتان الرومية على عمل الصقلي " ^(٢).

هذه نماذج بسيطة من تقدم الحياكة وما وصلت اليه من تنوع وجوده فمن الانتاج ، النوع والدقة فهناك الحيرة المشهورة بشبابها الحيرية شهرة خاصة ^(٣) و النعمانية تصنع البسة صوفيه غالية حسنه ^(٤) وكذلك بلدة قصر بن هبيرة مليئة بالحياكة وكذلك ميسان وكور دجلة والسواد ودست صناعات لا مثيل لها ^(٥).

واذا سألت عن واسط وستورها المشهورة وما يكتب عليها ^(٦) وكذلك الابله بكتانها الرقيق ^(٧).

واما السجاد فكان صاحب الحظوة والمقام الاول في الاثاث والمفاخرة ودليلاً على الرخاء والثراء والغنى الى جانب السلطة والوجاهة والزعامة فكان يفرش في قصور الخلافة لتبيان روعتها ^(٨) او يملق سجاداً نفيساً على الحائط تخالطه خيوط ذهبية ^(٩) فترى ام المستعدين تطلب صنع بساط خاص لها وكان من الحرير وعليه صور مختلف الحيوانات وكانت صور الطيور فيه من خيوط الذهب وعيونها من العقيق والجوهر ولقد تنفن البغداديون وغيرهم في ذلك العصر في حياكة السجاد . فكان يزين بخيوط الفضة والذهب وكان لها انواع ، منها ما يستعمل للفرش على الارض وهي كبيرة تسمى بسط او مستطيلة والبعض منها يملق للزينة ويسمى انماط ونوع آخر يستعمل للصلاة ويسمى السجادة ^(١١).

- (١) الجاحظ : التبصرة بالتجارة ص ٣٣٠ .
- (٢) المقدسي : احسن التقاسيم ص ١٤٥ .
- (٣) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ص ٥٥ .
- (٤) المقدسي : احسن التقاسيم ص ١٢٨ .
- (٥) ابن الفقيه : ص ٢٥٣ .
- (٦) المقدسي : احسن التقاسيم ص ١٢٩ .
- (٧) المقدسي : احسن التقاسيم ص ١٢٨ .
- (٨) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ص ٥٢ .
- (٩) المصدر نفسه .
- (١٠) زيدان : التمدن الاسلامي ج ٢ ص ١٢٥ .
- (١١) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ص ٥٢ .

الوسائد والمخاديد والمساند من مختلف الانواع كانت تنسج^(١) في العراق .
ويبدو انه كان للخلفاء دور للطراز وهي معامل خاصة وكانت توضع على الملابس والفرس
وتسمى الخليفة والقائد والامير والقاہم وصفاتهم ، وكانت الكتابة تحاك من خيوط الذهب
او من ذات اللون زاهية . فكانت هذه الدور تنتج البسط والشباب والاعلام والبنسود
والترمس^(٢) وهي علامة تشريف سواء كان للخليفة او القائد او الامير الذي يحض بهذا .
وقد وصل الامر انه كان لبعض الولاة دور للطراز وتحت امرته واكثر من دار . ولقد ضم
الى قائمة الدواوين ديوان اسمه ديوان الطراز^(٣) وكان مقره بغداد وكان لمصنوعات
شهرة خاصة وله مشرف يسمى صاحب الطراز والى جانبه الحاكة والصاغة والصباغين^(٤)
وغيرهم .

صناعة الحرير :

كانت تصنع في جميع انحاء الدولة العباسية تقريبا من الحلما وكان اشهر
ما يصنع بعبادان^(٥) وكانت رقيقة مصنوعة بدقة واناقة لدرجة يمكن طيها كالملاهي^(٦)،
وبدل هذا على تفوقها ولينها . وكانت صناعتها تقلد بمصر الذي تعمل من البسود
والقصب وسعف النخيل^(٧) وكذلك اشتهرت ميسان وبغداد حيث كانت مضرب المثل
في مجال صنعها^(٨) .

صناعة الصباغ :

ان الحديث عن الحياكة والمنسوجات الصوفية والقطنية وصناعة الحرير يستلزم
الالمام ولو قليلا بالصباغ لانها تعتبر دينا مكي لصناعات متعددة بل مشكلها الحيوي

- (١) حكاية ابي القاسم البغدادى : ص ٣٦ .
- (٢) الصابي : رسائل الصابي ص ١٤١ .
- (٣) المصدر نفسه .
- (٤) المصدر نفسه .
- (٥) مدينة تقع في جزيرة على نهر شط العرب ليس وراءها الا البحر .
- المقدس : احسن التقاسيم ص ١١٨ ،
- النويري : نهاية الارب ج ١ ص ٣٢٠ .
- (٦) حكاية ابي القاسم البغدادى ص ٣٦ .
- (٧) المقدسي : احسن التقاسيم ص ١١٨ .
- (٨) الثعالبي : نجار القلوب ص ٤٢٨ .

في اللون والتشكيل والمنظر . وهذا يتطلب من عمال وصناع الاصباغ اتقان لدرجة عالية عرفوا بالمهارة والدقة والاتقان ، فهناك اللون الاسود الذي كان شائعاً لأنه كان شعار الدولة العباسية ورمز مجدها الى جانب الابيض والاخضر والقرمزي الذي يعطي المنسوجات والملابس تلك الحلة الزاهية من المنظر واللون ولهذا لا بد من اصباغ وقد وصل الامر بصناعة الاصباغ ان بعضهم تخصص بصبغة لون واحد مثل الفوه والنيلة وكانت الاصباغ المركبة تعمل بخلط الاصباغ الاولى (١)

الصناعات الخزفية والفخارية :

اهدع العراق بالصناعات الخزفية والفخارية ، ويعود ذلك لوجود رواسب وجذور قديمة بتلك المنطقة لهذا النوع من الصناعة ، فتصنع الجرار الكبيرة والصغيرة للما ، وغيره وكذلك الاواني والكؤوس . ولما بنى المعتصم سا مرا جلب اليها صناع الخزف من الكوفة والبصرة . وهذا على ما يبدو يدل على ان هذه المهنة كانت متقنة ومنتشرة بهاتين المدينتين بل لهما السبق في صناعة الخزف والفخار. (٢) وكذلك اشتهرت بلدة (نهر الدير) قرب البصرة بصناعة الغضائر ويبدو ان صناعة الفخار والخزف كانت لامعة متقدمة بهذه الصناعة في القرن الثالث والرابع للهجرة اضافة لجمال الصنعة في هيئة الخزف حتى تغنن في التزجيج وفي استعمال الالوان البسيطة منها والمتوجة وربما ظهر هذا في حفريات سا مرا واعطى نموذجاً متازعاً عن هذه الصناعة التي وصلت الى درجة من الابداع والاتقان وخاصة التزجيج وكذلك الالوان الزاهية والبراقة . وكان الموفق ذو شغف بهذه الصناعات والالوان .

الورق :

ومن الصناعات التي كانت اساس لتقدم العمل وزيادة في المعرفة صناعة الورق . حيث كان للقرنين الثالث والرابع الهجريين انقلاها بالغ الخطورة وسعطفا كبيرا في احداث تغيير في اساليب المعرفة والثقافة آنذاك . حيث تم تقرير احتكار صناعة الورق من اي بلد متخصص او محتر وجاهد ميسورا تحت الايدي في كل وقت وحسب مستوى الشخص المادي وبما كان اي فرد الحصول عليه مهما كان دخله . ويقول الشمالسي :

(١) الجاحظ : التمهرة بالتجارة ص ٢٤ .

(٢) ياقوت : معجم البلدان ج ٤ ص ٨٣٩ .

ان كواغيد سمرقند عطلت قراطيس مصر والجلود التي كان الاوائل يكتبون عليها ولا تكون بسمرقند والصين^(١) فان الكاغد الذي نقلت صناعته من الصين وناله التفجير والتطوير على ايدى المسلمين يعتبر حدثا هاما في تاريخ العالم ، فلقد نجاه المسلمون من الشوائب مثل ورق التوت ومن الغاب الهندي فكان اولا يصنع في ماورا النهر فقط^(٢) اما في القرن الرابع فكانت توجد مصانع الورق بدمشق وطبريا بفلسطين^(٣) وفي طرابلس . الا ان سمرقند بقيت المركز الاساسي والدائم لصناعته .^(٤)

الات القياس :

اما حران فلقد احتكرت نوعا خاصا بها من الصناعة واليهما يعزى ذلك النوع من آلات القياس مثل الاسطرلابات وآلات رياضيه دقيقه^(٥) وكان يضرب الشل في دقة وصحة موازين حران .^(٦)

صناعة العطور والدهون :

فقد كان لها اهميتها في الحياة الاجتماعية في الاسرة والبيت وفي قصور عليّة القوم ومجالسهم . فقد ازدهرت باقليم ساهور من اعمال فارس صناعة العطور واختصت بها وكذلك الزيوت العطرية فكانت تتخذ من البنفسج والنرجس والكارده والسوسن والزنبق والمرسين والبادرنك والنانج .^(٧)

ويعلق الاصطخرى على الكوفة بدهانها الذي عرف بالخيري وكان من البنفسج تفوق ساهور .^(٨)

(١) الثعالبى : لطائف المعارف ص ١٢٦ .

(٢) الاصطخرى ص ٢٨٨ .

(٣) رحلة ناصر خسرو ص ١٢ .

(٤) الهذاني : الاكليل ص ١٣٢ .

(٥) المقدسي : احسن التقاسيم ص ١٤١ .

(٦) حكاية ابي القاسم الهفداوى ص ١٢٣ .

(٧) المقدسي : احسن التقاسيم ص ٤٤٣ .

(٨) الاصطخرى : ص ١٥٣ .

ابن حوقل : صورة الارض ص ٢١٣ .

وكذلك الحال بالنسبة لمدينة جور التي كانت صناعة العطور بها على درجة عالية من التقدم والاتقان وكانت تحضر العطر من زهر الورد والطلع والقيسوم والزعفران والخلاف. وكان عطرهما يحمل الى جميع انحاء الدولة ويصل الى المغرب وخراسان وما وراء النهر والاندلس^(١) وهناك مدن عديدة تصنع العطور مثل البصرة والكوفة تصنع ماء الورد ودهن البنفسج ودهن اللوز^(٢).

وهناك صناعات اخرى مثل النسيج وتجفيف الجبنه^(٤) وحفظ الفواكه بوضعها في العسل والزيت^(٥).

وكانت القدس تشتهر بصنع السجح ويعود ذلك لكثرة الزوار الى الحرم الشريف والاماكن المقدسة. ويبدو ان هذه الصناعة لا تزال من مميزات مدينته^(٦) بيت المقدس.

التجارة

تمهيد :

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " تسع اعشار الرزق في التجارة^(٧) " التاجر الصدوق يحشر مع النبيين والصدّيقين والشهداء^(٨).

لقد عمل الرسول والخلفاء من بعده بالتجارة وذلك رفعا لشأنها وحشاشا وراء الكسب الحلال البعيد عن الشبهة^(٩). ونال التجار التشجيع والدعم من قبل الخلفاء

- (١) آدم متر : الحضارة الاسلامية ج ٢ ص ٢٦٢.
- (٢) الاصطخري : المسالك والممالك ص ١٥٣.
- (٣) ابن ابي اصيبعة : طبقات الاطباء ص ١٦٩.
- (٤) المقدسي : احسن التقاسيم ص ١٤٥.
- (٥) التتوخي : نشوار المحاضرة ج ٢ ص ١٢٤.
- (٦) المقدسي : احسن التقاسيم ص ١٤١.
- (٧) الترغيب والترهيب ج ٢ ص ١٨٠ حديث.
- (٨) المصدر نفسه ص ١٨٢.
- (٩) الجاحظ : البخل ص ٣٠١ ت ٥٢٥٥.

وزادت أهميتها زمن الدولة العباسية حتى ان بعض الخلفاء اصدروا عن بضائع التجار او بعضهم دفعا لهم وتشجيعها^(١) كما صدرت الكتب التي تبحث عن التجارة فنجد الجاحظ مؤلف كتاب التهصرة بالتجارة يورد فيه الصفات العامة في التجارة ، كما بحث عن القيمة والتعامل بالذهب والفضة والاحجار الكريمة والمطور والثياب والمنسوجات وجميع الحاجيات التي يمكن التعامل بها في التجارة كما عرض واردات الدولة^(٢).

كما كتب محمد بن الحسن الشيباني ت ١٨٩ هـ ٩٠٤ م كتاب الكسب الذي ابان به تفهما للتطور الاقتصادي وتوالت الكتب حول هذا الموضوع . ويبدو ان هناك جدالا حول التجارة وجمع الثروة بين الطبقات الاجتماعية والواقع الاقتصادي الجديد لهذا المجتمع وما يترتب على حالته ومواقفه لمبادئ الدين الحنيف . وربما ان التجارة في البداية لم تلق التشجيع والدعم ويعود سبب ذلك لأن الامة كانت محاربة ومشغولة بالجهاد ونشر الاسلام فلم يرق لها ان تترك الجهاد وتتصرف الى التجارة . الا ان الاستقرار السياسي انعكس على الواقع الاقتصادي في تلك الفترة واخذ الدعم من قبل الخلفاء وخاصة بالعصر العباسي الاول والثاني وعلى الاخص في القرن الثالث الهجري والرابع وانعكس هذا على الفعاليات التجارية . وقد احدث القرن الثالث انقلابا كبيرا في التجارة واعطاها الدافع لاستقرارها وازدهارها فيما بعد وخاصة القرن الرابع للهجرة فأصبح التاجر الغني مثل الحضارة الاسلامية والباعث على الاستطالة والنمو في ذلك واصبحت التجارة من المراتب الهامة بعدما زال الهجم والخوف من تعاطي التجارة .

واخذت تجارة المسلمين المكان الاول في التجارة العالمية وكأنها اصبحت تقرر الاسعار وتتحكم في واردات السوق العالمية وربما يعود ذلك لا تساع رقعتها وتنوع منتجاتها واختلاف مناخها وموقعها الاستراتيجي بين شطرى العالم آنذاك ، الصين والهند بالشرق والروس والروم والافرنج في الشمال والغرب ، فظهرت الاسواق الاسلامية مزدهمة بالبضائع والمنتجات الشرقية والغربية^(٣) وقد ذكر يحيى بن آدم

(١)

(٢) نشره الاستاذ حسن حسني عبد الوهاب في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق

مجلد ١٢ ص ٣٢١ ، ٣٥١ ، دمشق ١٩٣٢ .

(٣) آدم متر : الحضارة الاسلامية فصل التجارة .

المتوفي ٢٠٣ هـ ٨١٨ م ان العملة في العراق هي الدرهم وفي الشام الدينار وكذلك مصر^(١) ، واخذت هذه العملة تمثل وحدة التجارة آنذاك وتعطي دفعة لهذه الصنعة مترجمة في وحدة التجارة العالمية ثم اخذت العملة الذهبية تسيطر على موارد الدولة وتأخذ طابع الوحدة في العملة . وهذا سر تقدم تلك التجارة لأن الدينار كان وحدة التعامل لهذه الصنعة واخذ الناس يقبلون على التجارة بعدما تحسنت النظرة اليها حيث كان التجار اقل من مرتبة الاشراف الاجتماعية . وعندما نصح ابن هرمك ان يترك التفكير بالتجارة " انت شريف وابن شريف وليست التجارة من شأنك " ^(٢) ، وكذلك ذكر الوزير المشهور محمد بن عبد الملك الزيات يقول ان اسير المؤمنين " نقلني من ذل التجارة الى عز الوزارة " ^(٣) .

وطبعا هذا نوع من الاحتقار للتجارة ويعيدا عن الفهم الصحيح لتعاليم الاسلام ونظراته المحترمة الى التجارة والتجار والحث عليها . الا ان المجتمع كما يبدو كان ينظر اليها بفكر نظرة الاسلام ومن هنا سقط بالمزلق وسوء التفكير . ويبدو ان النظرة كانت ليست احتقارا او حراما ، بل كانت مقارنة للسلطة التي يتمتع بها اصحاب الولايات والوزراء والكتاب وما يظهر من به من خدم وحشم وسلطة تأمر وتنهى . وربما هذه الاسباب جعلت الآخرين يقولون : انه نقلني من ذل التجارة الى عز الوزارة . ويبدو هنا ان التجارة بحاجة الى اناة وصبر اكثر مما يتمتع به صاحب الجاه ليس الا .

مراكز التجارة :

ولقد ظهرت مراكز تجارية مثل بغداد وسيراف والبصرة والاسكندرية واصفهان وغيرها والتي لعبت دورا كبيرا في التسويق بين الاقطار وظهر عندها التخصص بالاسواق مثل سوق البزازين ، والقصابين والمباغين والوراقين وغيرها من الاسواق . ^(٤)

وكذلك ظهرت البصرة كمركز مهم لموقعها على الخليج وكانت عين العراق

- (١) يحيى آدم : الخراج ص ٥٢ .
- (٢) الجبهشيارى : الوزراء والكتاب ص ١٨٦ .
- (٣) المصدر نفسه ، ص ١٨١ .
- (٤) اليعقوبي : البلدان ص ٢٤٦ ،
- الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ص ٦٥ .

لموقعها ما بين فارس والعراق وكذلك نشطوا بالتجارة اهل اليمن وفارس ونرى امثالا تجارية تصف اهلها هذه المهنة فيقول ابن الفقيه في كتابه البلدان " وقالوا ابعده الناس نجعة في الكسب بصرى وحميرى ، ومن دخل فرغانة القصبى والسوس الاقصى فلا بد ان يرى فيها بصرى او حميرى " (١) كما انهم نسبوا اهل البصرة الى قلعة الشوق والحنين الى وطنهم ويقال ان هناك رسما على حجر :

ما من غريب وان ابدى تجلده
الا سيدكر عند العلة الوطنى

وقد كتب تحت الا اهل البصرة . فكان اهل البصرة يحملونها في رؤوسهم فكان التجار يشتغلون بشراء وبيع البضائع التي يحتاجونها وكان اكثر ما يكون في البسط وادوات الترف والجواهر والرقيق (٢) وطبيعيها ان تكون حركة التعامل مع الخلفاء والاشياء والاشراف وهذا يعود عليهم بالريح وخاصة ادوات الزينة والرقيق وخاصة النساء . ولقد وصل الامر بالتجار ان جمعوا الاموال وارتقوا بها كثيرا . وحدث مثال عليهم التاجر الجصاص الذى ظهر في قصر خمارويه عام ٢٧٢ هـ ثم انتقل الى بغداد وتحكم في سوق التجارة ووصل الامر التدخل في بعض الامور الداخلية نتيجة لغناه الفاحش (٣) ، وهناك مثل آخر لثراء التجار وغناهم فنرى الحكومة لما اصبحت هنكمة في الحروب وخاصة حروبها مع الزنج والصفار فوقع في ضائقة مالية عندما منع الصفار حمل اموال فارس الى الخلافة وقد أدت هذه الضائقة عام ٢٧٠ هـ الى فكرة الاقتراض واول ما ظهر ذلك في صورة قرص غير مضمون الرد ، وذلك ان الامير الموفق احتاج الى المال ليجهز به الجند لمحاربة الصفار من وزيره صاعد بن مخلد ان يحتال في ذلك فقام الوزير والله مالي حيلة الا من خطر النفقات ومنع المرتزقين فقال الموفق : اين يقع ذلك ما احتاج والذي اريد " ان تأخذ من التجار قرضا توظفه عليهم وعليك وعلى الكتاب والعمال ما لانستعين به على اخراج الحملة فاذا انتصرنا ردنا عليهم " (٤)

(١) ابن الفقيه : البلدان ص ٥١ .

(٢) رسائل المعرى ص ٧٥ .

(٣) الجاحظ : التهمزة بالتجارة ص ٥٠ .

وكذلك الاشارة الى محاسن التجارة للدمشقي .

(٤) التتويحي : نشوار المحاضرة ج ١ ص ٢٦١ - ٢٦٢ .

(٥) الشاهشتي : الديارات ص ١١٨ .

فتجارة البصرة برزت الآفاق وتجاوزت الحدود واخترقت المسافات ، وما زالت البصرة تنمو تجاريا شيئا فشيئا منذ الفتح الاسلامي حتى القرن الثالث الهجري وعلى القرب منها ازدادت اهمية المربد واصبح من اعظم الاسواق التجارية وموطن انس وفرح كما اصبح مسرحا للفعاليات الادبية حيث يقصد اللغويون والنحويون للاجتماع بالاعراب الفصحاء للتحدث معهم في بعض مشاكل اللغة واصبح عين البصرة ، الا ان اهميته قلت بالقرن الرابع الهجري وزالت مكانته حتى اصبح مكانا خاليا على طرف الصحراء^(١).

وكانت الفعاليات التجارية تستمر بالبصرة من الصباح حتى المساء فيجري فيها التبادل التجاري في سوق خراقة وسوق عثمان وعند المغرب في سوق القدامين^(٢).

اما الموصل فكانت تعج بالنشاط وكانت مفتاح العراق للتجارة الشرقية وكانت تمون العراق^(٣) خاصة بالفزل والمواد الغذائية مثل الحبوب بالإضافة الى الفواكه . اما سامرا فبلغت اوجها في القرن الثالث ثم فقدت هيبتها ومكانتها بعدما انتقلت الخلافة الى بغداد^(٤).

وكانت المدن الاسلامية ذات مواقع تجارية هامة امتدادا من كابل والشاش وسمرقند ورو وكرمان وفارس والعراق والشام ومصر والمغرب كلها تعج بالنشاطات والفعاليات التجارية التي تحمل المنتجات الزراعية والصناعية منها واليهما مما اعطى فعاليات ونشاطات يشار اليها بالافتخار والاعتزاز ، ورافق ذلك على ما يبدو نشاط ثقافي وعلمي بعيد المدى اذ كانت البلاد وحدة فكرية لاهتم بالحكومات المحلية والمستقلة بل وكأنها بلد واحد يعبرها الرى من الشرق الى الغرب والعكس ، وربما كانت تلك الحكومات دافعا على الازدهار والتقدم العلمي ويعود ذلك الى دعمهم للحركة العلمية^(٥).

-
- (١) ابن حوقل : صورة الارض ص ٢٣٦ .
 - (٢) ناصر خسرو : ص ٩٦ .
 - (٣) ياقوت : معجم البلدان ج ٤ ص ٦٨٣ .
 - (٤) اليعقوبي : البلدان ص ٢٦٣ .
 - (٥) انظر فاتحة ملحق رقم (١) عن الصادرات والواردات والتي تبين مدى الفعاليات والتجارة التي تحدثنا عنها بشيء من الابهاء والتوضيح البسيط لكثرتها .
 - (٦) سنتحدث عن هذا بالتفصيل فيما بعد في موضوع الحركة العلمية والثقافية .

لم تقتصر الامور التجارية على البر ، بل ركبت البحر والنهر معا وقد وصف ابن رسته هذه التجارة بين بغداد والبصرة ويمكن ان نسميها التجارة الداخلية ، حيث تسير السفن الشراعية من بغداد بمحاذاة الضفة الشرقية لنهر دجلة فتمر بالمداين ودير العاقول وجرجرايا وجبل وفم الصلح الى واسط وهناك يتشعب النهر الى ثلاث شعب ولذلك تنقل البضائع من السفن الى قوارب صغيرة — ويعود ذلك لقلة مستوى منسوب الماء وعدم قدرته على حمل السفن الشراعية ثم تدخل هذه القوارب في البطيحة وتسير في ممرات ضيقة بين القصب حتى تصل الى فسحة من الماء الصافي الخالي من القصب تسمى الهول ومن هناك تسير الى هانود ثم تسير في نهر ابي الاسد الى دجلة العوراء حتى تصل صدر نهر معقل ثم تتبع مجراه في مسيرها حتى تصل البصرة ^(١) ويؤكد ذلك المقدسي ، ان مجرى النهر يقل بعد واسط ولذلك تستعمل فيه قوارب صغيرة ومسطحة ^(٢) . ويبدو ان هذه القوارب صغيرة كي يمكن استعمالها في مثل هذه المياه القليلة ^(٣) .

اما نهر الفرات فكانت القوارب تصعد حتى الرقة ولكن الاغلب يأخذ اتجاه مجرى النهر ^(٤) . حيث كانت بعض القنوات تستعمل للمواصلات حيث كانت السفن القادمة في الفرات تسير في نهر عيسى حتى المحول " تقع غرب بغداد على فرسخ منها " فتنتقل الاحمال الى القوارب الصغيرة لتتمكن من المسير في نهر العراء الى بغداد ^(٥) . ويبدو ان هذا الطريق كان يسلكه التجار العالميون الذين يسميهم ابن خرداذبه (الراوانية) ^(٦) وهذا النوع من المواصلات النهرية يستدعي الحراسة والاشراف بنوع خاص حيث تجنى الضرائب كما في الحوانيت ^(٧) كما يوجد محطات ما بين الطرق المائية

(١) ابن رسته : العلائق النفيسة ص ١٢٢ ، ١٢٣ .

(٢) المقدسي ص ١٢٤ ، المسار التقاسيم

(٣) الاصطخري ص ٨١ ، ٨٢ .

ابن حوقل : صورة الارض ص ٢٣٨ .

(٤) المقدسي : احسن التقاسيم ص ١٢٤ .

التنوخى : نشوار المحاضرة ج ٢ ص ٢٥ .

ابن الجوزى : مناقب بغداد ص ٨ .

(٥) اليقوبى : البلدان ص ٢٦٩ .

ياقوت : معجم البلدان ج ٤ ص ٤٣٢ .

ابن حوقل : صورة الارض ص ١٦٦ .

(٦) ابن خرداذبه : الممالك والممالك ص ١٥٤ .

(٧) اليقوبى : البلدان ص ٣٢٤ .

في البريهوت من القصب يوجد بها حراس لضمان المواصلات^(١) ويذكر ابن خرداذبه ان بغداد كانت ملتقى لعدد من الطرق تربطها بمختلف انحاء العالم وهذه الطرق :

- ٠١ طريق شرقي الى حلوان ومنها الى ايران واواسط آسيا .
- ٠٢ طريق شمالي الى الموصل والجزيرة .
- ٠٣ طريق جنوبي غربي الى الكوفة ومنها الى الجزيرة العربية حتى تنتهي بالحجاز .
- ٠٤ طريق جنوبي الى واسط ثم البصرة .
- ٠٥ طريق غربي الى الرقة ومنها الى سوريا فمصر .
- ٠٦ وكانت البصرة والموصل ملتقى لطرق مواصلات هامة^(٢) .

وكانت هذه الطرق تخضع الى الحراسة والمراقبة كما انها تحت سيطرة البريهوت لنقل اخبار الدولة للخلافة وفيها محطات على كل مسافة معينة^(٣) .

وهناك طرق اخرى :

اولا : من الغرب الى الشرق عن طريق مصر ويقوم بها غالبا اليهود الذين كانوا من اكبر المنافسين لتجار المسلمين من فارس والعراق ، حيث كان لهم في اصبهان حي يسمى اليهودية وكان معظم تجار تستر بخوزستان من اليهود الذين كانوا يشرفون على تجارة اللؤلؤ المستخرج من فارس^(٤) .

ثانيا : من اوربا الى المشرق عن طريق انطاكية تصلها بحرا ثم تنقل البضائع على الدواب الى الفرات حتى بغداد ثم يركبون دجلة وفروعه الى الابله ثم الى عمان والهند والصين^(٥) .

ثالثا : من بلاد الروس الشمالية الى المشرق عن طريق بحر قزوين ثم الى مرو فبلخ وبخارى وسمرقند ومنها الى ماوراء النهر ثم الصين . واهم ما يحمل معهم هو لؤلؤ التجارة

-
- (١) ابن رسته : العلائق النفيسة ص ١٨٤ ، ١٨٥ .
 - (٢) ابن خرداذبه : المسالك والممالك ص ١٥٤ .
 - (٣) البيعقوبي : البلدان ص ٣٢٤ ،
 - المقدسي : احسن التقاسيم ص ٦٥ ،
 - الخوارزمي : مفاتيح العلوم ص ٦٣ .
 - (٤) مسكويه : تجارب الامم ج ١ ص ٢٥٦ ،
 - آدم منز : الحضارة الاسلامية ج ٢ ص ٣٢٣ .
 - (٥) ياقوت : معجم البلدان فصل (الالف) . تحت عنوان الابله .

جلود الحيوانات والثعالب والسيوف والشمع والعسل وكانت المعاملة ما بينهم والمسلمين جيدة ويأخذون منهم الجزية على اعتبار انهم مسيحيون . (١)

رابعاً : الطريق البري من أوروبا الى المشرق . ويبدأ من بلاد الاندلس الى طنجة عبر مضيق جبل طارق مجتازاً المغرب الأقصى والوسط والادنى عن طريق تونس حتى مصر ثم يتجه الى بلاد الشام ماراً بالرملة ودمشق ثم يتجه الى العراق ماراً بالكوفة وبغداد والبصرة ثم فارس ماراً بالاهواز ثم الى كرمان والهند فالصين . (٢)

فهذه الطرق كانت شريان الحياة التجارية ومعايير للحضارة ما بين الشرق والغرب وقد أدت الى انتشار الجاليات الاسلامية والعربية في تلك البقاع والواسعة والبعيدة .

وعلى هذا أصبح العرب وسطاء للتجارة العالمية في نقلها وظهورت اهمية لبعض المدن الساحلية مثل انطاكية التي حصنها المعتصم فأصبحت من اهم مرفئ التجارة في بلاد الشام وأصبحت أداة اتصال بين الشرق والغرب . (٣)

وكذلك مرفأ الاسكندرية أصبح من المراكز التجارية الهامة ما بين الشرق والغرب وهي نقطة عبور تجاوة أوروبا الى البحر الاحمر ثم الى غيره من المناطق .

وهناك جده وبرقه والبصرة وكلها اعطت قوة في فعاليات النشاطات التجارية وازدادت على بغداد طابع القوة والازدهار التجاري حيث أصبحت بغداد والاسكندرية تتحكمان في تسعيرة البضائع والضرائب وكأنها بهيمة للتجارة العالمية ومنها توافر الاسعار وعلى اساسها يتم البيع والشراء في جميع الاسواق شرقاً وغرباً . (٤)

وجمع بنو العباس ببغداد وثائق الخلفاء ليطلع الخلفاء على احكام السلف . ويبدو مما سبق ان الحياة الاقتصادية انتعشت وتحسن حالها وربما يعود ذلك الى الهدوء الذي ساد بعد ثورة الزنج والصفار اللذان كانا سبباً في تعطيل الملاحة النهرية وتأخر واردات الدولة الى العاصمة . وبعد ما استقرت الامور وامنت الطريق

(١) ابن خرداذبه : المسالك والممالك ص ١٥٤ .

(٢) المصدر نفسه ص ١٥٤ ١٥٥ .

(٣) المصدر نفسه ص ٦٠ .

(٤) زيدان : موجز في تاريخ العرب ص ٢٢٠ .

فعادت الملاحة النهرية بل الشريان الحيوي الاقتصادى يعود لسابق عهد من العطاء والثراء . ويقول الخطيب البغدادي " اصبحت الشبريات والمعبرائيات بدجلة في ايام الموفق بالله ثمانين الف ، تقدر كسب ملاحها في كل يوم بتسعين الف درهم " .^(١)

ان هذا الرقم يدل على ان الحالة الاقتصادية بدأت تعود الى الملاحنة النهرية بعد الشلل الذي اصبحت به^(٢) ويوضح الازدهار والتحسين الذي طرأ على واقع الاقتصاد البغدادي ، وربما يعود ذلك الى السنوات العجاف الطويلة التي منيت بها العراق والخلافة ، ويعود ذلك لسوء الاحوال الامنية الذي فقد . لذا نرى ان الحياة النشطة اليومية بدأت تعج بها اسواق بغداد نتيجة للاعداد الهائلة التي تحمّل وتنزل البضائع من والى بغداد وسامرا ، بل ربما تكون الحركة دائمة مستمرة ليل نهار ، مما يشير بتحسين احوال العراق عامة والخلافة خاصة وانعكس على الحياة اليومية للشعب .

ويبدو هذا ان الشؤون الداخلية كانت جيدة والاشراف كان يسير نحو الهدوء وضبط الامور حال دون فقدان الامن بل استتبابه وبالتالي انعكس على جميع مرافق الحياة . وربما ان الموفق اعطى التجارة والتجار نوعا من العناية والرعاية لما لهم من اثر في تقدم الامور وانتعاش الحياة .

لذا اصبحت الاموال ترفد بغداد والسامرا من كل جانب بعد الشلل الذي اصبحت به زمن الاحداث الجسام .^(٣) وتحولت الاموال من الموقفة^(٤) الى بغداد . واستقرت الامور ونعم الناس بالحياة السعيدة .

(١) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ج ٢ ص ٧٢٠ .

(٢) اثنا " حرب الزنج استمرت ١٤ سنة (٢٥٥ - ٢٧٠ هـ) وكذلك ثورة الصفار معاصرة لهذه الاحوال .

انظر الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٧ ص

(٣) ثورة الزنج (٢٥٥ - ٢٧٠ هـ) .

الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٨ ص ٤٤٥ - ٥٢٨ ج ١ ص ١٤٦ .

(٤) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٨ ص ١٣٥ .

الخاتمة

ان مفتاح شخصية الموفق نسيجا من اخلاق مربيه وكتابه الاخبار الموفقيات فسي
جميع اهدافه ومغازيه .

لقد كانت الاحداث الجسام لها اثر بعيد في تكوين حياته العامة والخاصة ،
وذلك بعد قتل المتوكل ورضوخ الخلافة تحت مظلة الاتراك والتي شكلت هداية النهاية
للسلطة القوية حيث اصبح الاتراك كل شي^(١) . الا انه استطاع ان يحجم قوتهم
ويوجههم الى ما هو ابعد وانفع للدولة بالتروى والتؤودة والمكيدة لانها انفع من
الشجاعة واجدى من المقاتلة .

لقد عاش حياته العملية وخاصة بعد ادراكه سن الرجولة ، اما قائدا للجيش
او سجيناً منفياً مبعداً ، ولقد اخرجه حرب المستعنين والمعتز رجلا شجاعا طفق ذكره
ورنت اليه الابصار ورمت بالهنان وحركت حياته الى الجد والنشاط وحملت الى دور المسئولية
المباشرة والتي ارهبت جانب اعدائه وحسبت له الحساب .

ان معظم الاراء للمؤرخين يجمعون على انه شخصية جمعت لها الرئاسة
والسيادة والقيادة والادارة .^(٢)

كان الخليفة المعتمد شخص ضعيف ، انصرف الى نفسه ولمذاته وانقطع لها ، الا
انه كان ذا حظ باختياره الموفق اميرا لجيشه ثم وليا لعهد

ورغم انصرافه وانشغاله بنفسه ، بقيت مؤسسات الدولة تسير نحو الامام وتتقدم
يوما بعد آخر رغم سيطرة الاتراك واشتداد نفوذهم ، الا ان الامير الموفق ركز الامور
شيئا فشيئا واشعر الاتراك بأهميتهم وبشركهم في التخطيط نحو تحسين احوال الدولة

(١) الطقطقي : الاداب السلطانية ص ١٨١ .

(٢) التنوخي : نشوار المحاضرة ج ١ ص ١٤٤ .

الجوزي : المنتظم ج ٥ ص ١٢٠ .

الملطي : تاريخ مختصر الدول ص ١٤٨ .

البغدادي : تاريخ بغداد ، ج ٢ ص ١٢٧ - ١٢٨ .

المسعودي : التنبيه والاشراف ٣١٨ ، ٣١٩ .

مؤلف مجهول : كتاب العميون ، ص ١٢ .

فج بهم في قتال المتعدين .

استمر الموفق يقوى ويزيد نفوذه حتى وضع قيادة الجيش الفعلية تحت امرته المباشرة دون الرجوع الى كبار قواد الا تراك وفرقهم ، مما اكسبه حب الناس على اختلاف مراكزهم الا انه وظف هذا الحب في تحسين احوال الرعية والدولة معا . فنشر الامن في المناطق التي حرمت منه ^(١) زمنا طويلا كما زاد في الاحوال القريبة منه امنا .

وبعد هذا انطلق بركز الواقع الاقتصادي ان بحث الحياة فيها ببقاءه فسي البصرة ومناطقها اكثر من عام بعد القضاء على ثورة الزنج وشجع التجار بركوب النهر وتسيير القوافل من الشمال الى الجنوب والعكس ، تجلى ذلك في بناء الموقية والتي زودها بجميع الخدمات والاسواق والمرافق الاخرى حتى اصبحت مركزا اقتصاديا واداريا لتلك المناطق اضافة لكونها نقطة انطلاق للقوات العسكرية ضد المتعدين .

وفي اثناء استتباب الامن وتنشيط التجارة ^(٢) والزراعة التي عادت الى ارض السواد فلم يغفل عن الشؤون الادارية ان كان يختار الولاة والقضاة والجباه من ذوي الاخلاق والثقة حفاظا على الصالح العام . فيرسل الكتب اليهم ويحدد مسؤولياتهم نحو الرعية وحتى الخارجين على السلطة ويأمرهم بالسهر والاصلاح وعدم التسلط الا بحق ^(٣) ويأمرهم بتفقد اموالهم ، وينصحهم بالبعد عن الظلم وهتك عوراتهم .

لقد حدد الامور واصلح الشؤون الادارية البعيدة والقريبة وخاصة داخل سامراء وبغداد فنعم الناس بالدعة والهدوء في تلك الحقبة القصيرة فكان يشغل السياسة حيث لا تنفع القوة ^(٤) فشهد لعودة الامور الى نصابها ، بجلوسه للمظالم

(١) مثل البصرة والسواد والاهواز وغيرها من المناطق .

(٢) قيل انه كان يسير في نهر دجلة بعد القضاء على ثورة الزنج اكثر من ثمانين الف سميرية ومعبرانية وكان دخلها اليومي اكثر من تسعين الف وقيل انها كانت في عهد الخليفة الموفق . انظر البغدادى : تاريخ بغداد ج ٢ ص ٧٢ .

(٣) كتاب الموفق لأحد الولاة كتبه ابن ثوابه كاتب الموفق .

انظر : الاختيار والمنظوم ج ١٤ ص ٣١٥ .

اخذ من كتاب جمهرة رسائل العرب رقم ٢٢٢ - زكي صفوت .

(٤) عمل على الايقاع مابين الحسن بن مخلد وزيره وابن وهب حتى اصطدما وحصل على ما يريد ويبدو انهما كانا صاحبي نفوذ وقوة آنذاك .

وسمعه لهم ووصل الامر لأحد قضاة انه نادى في المجلس من له مظلمة فليتقدم بعرضها ومن كانت له حاجة حتى ولو عند الامير الموفق الناصر لدين الله وليأخذ حقه من الامير.

كما انه شجع الحركة العلمية وجالس العلماء والا دها^١ وتشقف بثقافة عصره الا انه كان بعيدا عن التعصب فلم يقدم احدا على حساب الآخرين بل كان الجميع يشعر انه القريب منهم لذا انبروا لمساعدته في نشر الامن عن طريق مجالسهم وخطبهم وعلاقاتهم العامة مع الناس مما عكس ذلك على حالة البلاد . ويعود ذلك الى ثقافته وخبرته التي ادركها رغم سنه .

لم يحق هذا الامر عند رعيته من المسلمين بالحب والتقدير الا انه شمل الطوائف الاخرى بتسامحه وحبه الذي بلغ انصاف المسيحيين وبناء^١ ما هدم من كنائسهم دون تمييز وتفريق . كما عين في مناصب الدولة منهم حيث كان طبيبه الخاص غالب النصراني^(١) والذي اصبح طبيبا لولده المعتضد فيما بعد .

لم تؤثر حياة الترف والنعيم به ان خرج منها قويا شديد الارادة والنفس، غير مدلل ، شد المثزر وحمل السيف وسار في طريق المجد حتى وصل الى لقب الامير الموفق الناصر لدين الله وولي عهد امير المؤمنين بجدارة وحكمة .

الا ان الكتب لم تحدثنا عن حياته صغيرا ولم يشرکه والده في المسوئوليات كما عمل مع اخوته الثلاث ، وقد كانت هذه نعمة له سلم من القتل من قبل الخلفاء وبقي يمارس اعماله حتى وافته المنية بعد عودته من الجبل بعد ان وطد أمن الدولة ووضع حدا للتدخلات التركية وحسن الامور الاقتصادية ورعى الحياة الثقافية ورفع من مستوى جميع مؤسسات الدولة فأعاد للمخلافة هيبتها للنفس ومهد الطريق لولده المعتضد الذي احسن تربيته ولم يسلم من حبسه حتى اخرجه غلامه عند وفاة والده ، مات وهو قدير العين بما قدم والده ولي التوفيق .

(١) ابن ابي اصيبعة : عيون الاطباء ص ٣١١ .

المخطوطات :

- الغياثي (ت حوالي ٨٨٣هـ / ١٤٧٨م) ، عبدالله بن فتح الله البغدادي :
التاريخ الغياثي . مخطوطة مايكروفيلم موجودة في المكتبة المركزية /
بغداد تحت رقم (٢٥٢) .

- قدامة (ت ٣٣٧هـ / ٩٤٨م) . ابو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي :
صفة الكتابة . مخطوطة مصورة في المكتبة المركزية /
بغداد تحت رقم (٣٧٧٣٣) .

مؤلف مجهول :

- كتاب فيه اخبار العباس وفضائله ومناقبه وفضائل ولده ومناقبهم .
مخطوطة مصورة في معهد الدراسات الاسلامية / بغداد
تحت رقم (١٦٧٩) .

المطبوعات :

- ابن ابي الحديد (ت ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م) ابو حامد عبد الحميد بن هبة الله المدائني :
شرح نهج البلاغة ، تحقيق حسن تميم ، دار مكتبة الحياة /
بيروت ١٩٦٣ .

- ابن ابي اصيبعة (ت ٦٦٨هـ / ١٢٦٩م) . ابو العباس ، موفق الدين احمد بن
القاسم بن خليفة السعدي الخزرجي :
عيون الانباء في طبقات الاطباء (٢ ج) ، دار الفكر ،
بيروت ، ١٣٧٦هـ / ١٩٥٦م .

- ابن الاثير (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٣م) . ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد الشيباني :
الكامل في التاريخ ، ٩ اجزاء . عني بمراجعة اصوله والتعليق عليه
نخبة من العلماء ، الطبعة الثانية ، دار الكتاب العربي ،
بيروت (١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م) .

- ابن الاخوة (ت ٧٢٩هـ / ١٣٣٨م) . محمد بن محمد بن احمد القرشي :
معالم القرية في احكام الحسبة . عني بنقله وتصحيحه روين
لوى ، مطبعة دار الفنون ، كمبرج ١٩٣٧ .

- ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ / ٣٢٨م) : شيخ الاسلام ابو العباس تقي الدين احمد بن عبد الحميد الحراني النميري :
الحسبة في الاسلام . حققه وخرج احاديثه عبدالعزيز رباح ،
مكتبة دار البهان - دمشق ١٣٨٧ / ١٩٦٧ .
- ابن الجوزي (ت ٩٧هـ / ١٢٠١م) : أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد
* المنتظم في تاريخ الملوك والامم (الاجزاء من خمسة الى عشرة)
الطبعة الاولى ، حيدر اباد ١٣٥٧-١٣٥٨ / ١٩٣٨-١٩٣٩ .
- * نقد العلماء او تلخيص اهللس ، ط ٢ دار الكتب العلمية ، بيروت
١٣٦٨ هـ .
- * مناقب بغداد ، نشرة محمد بهجه الاثدي ، مطبعة دار السلام
١٣٤٢ / ١٩٢٣ .
- * المصباح المضي في خلافة المستمين ، تحقيق ناجيه عبداللسه ،
مطبعة الاوقاف ، بغداد ١٩٧٦ .
- ابن حجر (ت ٨٥٢ / ١٤٤٨) : شهاب الدين ابو الفضل احمد بن علي بن احمد
الكتاني العسقلاني المصري الشافعي :
* الاصابة في تمييز الصحابة (٤ اجزاء ، المكتبة التجارية الكبرى ،
القاهرة ١٣٥٨ .
- * الدرة الكامنة - حيدر اباد الدكن ١٣٣٢ / ١٩١٣ .
- * تهذيب التهذيب (١٢ جزء) دار صادر ، بيروت ١٩٦٧ عسن
طبعة حيدر اباد الدكن .
- ابن حوقل (ت ٣٦٧ / ٩٧٧) : ابو القاسم محمد بن علي البغدادي الموصللي :
صورة الارض ، طبعة ليدن سنة ١٩٦٧ .
- ابن حزم (ت ٤٥٦ / ١٠٦٤) : ابو محمد علي بن احمد بن سعيد حزم الظاهري
الاندلسي :
* جمهرة انساب العرب ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، طبعة ٣ ،
دار المعارف بمصر ، (١٣٩٠) .

- * جوامع السيرة وخمس رسائل اخرى ، تحقيق احسان عباس ، وناصر الدين الاسد . دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٢ .
- ابن خلكان (ت ١٢٨٢ / ٦٨١) : ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر :
وفيات الاعيان وانبا ابنها الزمان . تحقيق الدكتور احسان عباس ، دار صادر ، بيروت (سنة ١٩٦٩) .
- ابن خرداذبه (ت ٨٩٣ / ٢٨٠) : ابو القاسم عبيد الله بن عبدالله :
المسالك والممالك : باعثنا دى خويه (بريل - ليدن ١٨٨٩) .
- ابن خلدون (ت ٨٠٨ / ١٤٠٥) : عبد الرحمن بن محمد
المعبر وديوان المبتدأ والخبر .
- * المقدمة . دار الكتاب اللبناني ، بيروت (١٩٥٦ / ١٩٦١) .
- ابن رسته (ت ٩٠٣ / ٢٩٠) : ابو علي احمد بن عمر :
العلائق النفيسة : باعثنا دى خويه مطبعة بريل - ليدن (١٨٩٢) .
- ابن سعد (ت ٨٤٥ / ٢٣٠) : ابو عبدالله محمد بن سعد بن منيع الزهرى البصرى :
الطبقات الكبرى (٨ اجزاء) ، ط . سخاوى ، ليدن ، سنة ١٩٠٥ .
- ابن شداد (ت ١٢٨٥ / ٦٨٤) : ابو عبدالله عز الدين محمد بن علي بن ابراهيم :
الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة . تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق سامي الدهان ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت (١٩٥٦ / ١٣٢٥) .
- ابن الصيرفي (ت ١١٤٧ / ٥٤٢) : ابو القاسم امين الدين علي بن منجب سليمان :
قانون ديوان الرسائل . القاهرة (١٩٥٢) .
- ابن الطقطقي (ت ٣٠٩ / ٧٠٩) محمد بن علي بن طباطبا
الفخرى في الآداب السلطانية والدولة الاسلامية . دار بيروت ، بيروت (١٩٦٠ / ١٣٨٠) ، ثم دار صادر بيروت (١٩٦٦ / ١٣٨٨) .

- ابن طيفور (ت ٢٨٠/٨٩٣) : ابو الفضل احمد بن طاهر الكاتب الخراساني :
تاريخ بغداد . باعتنا عزت العطار الحسيني ، القاهرة . (١٣٦٨ /
 ١٩٤٩) ، ثم طبعة بيروت (١٣٨٨ / ١٩٦٨) .
- ابن عديده (ت ٣٢٨ / ١٥٩٦) : ابو عمر احمد بن محمد بن عبد ربه بن عجب
 ابن احمد بن سالم القرطبي الاندلسي :
العقد الفرید - ٧ اجزا . تحقيق محمد سعيد العريان ، القاهرة
 (١٣٥٩ / ١٩٤٠) ، مطبعة الاستقامة ، الطبعة الثانية ، القاهرة
 (١٣٧٢ / ١٩٥٣) .
- ابن العماد (ت ٥٨٩ / ١٦٧٩) : ابو الفلاح عبد الحي بن العماد
شذرات الذهب في اخبار من ذهب . ٨ اجزا ، مطبعة
 القدسي ، القاهرة .
- ابن العساكر (ت ٥٧١ / ١١٧٦) : ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن
 عامر الدمشقي :
 * تاريخ مدينة دمشق ، نشر منه مجلدان بتحقيق الدكتور صلاح الدين
 المطبعة الهاشمية بدمشق ١٩٥٤ .
- * تهذيب تاريخ دمشق الكبير . هذبه وركبه الشيخ عبد القادر بدران
 ج ٢٠ دار المسيرة ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٣٩٩ / ١٩٧٩ .
- ابن الفقيه (ت ٢٨٩ / ٩٠٢) : ابو بكر احمد بن محمد الفقيه الهمداني :
 * مختصر كتاب البلدان . باعتنا جي ديفويه ، مطبعة بريل
 لندن ١٣٠٢ / ١٨٨٥ .
- * بغداد مدينة السلام . الطبعة الثانية ، وزارة الاعلام - بغداد
 ١٩٧٧ .
- ابن قتيبة (ت ٢٧٦ / ٨٨٩) : ابو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري :
 * المعارف . تحقيق ثروت عكاشه . الطبعة الثانية . دار المعارف
 بصر . القاهرة ١٣٨٨ / ١٩٦٩ .
- * عيون الاخبار . مجلدان ، القاهرة ١٩٦٣ .

- ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ / ١٣٥٠) : ابو عبدالله محمد بن ابي بكر الزرعي
الدمشقي :
- * الطرق الحكيمة في السياسة الشرعية . قدم له وعرف به محمد
محي الدين بن عبد الحميد . راجعه وصححه احمد عبد الحلوم
العسكري - المؤسسة العربية للطباعة والنشر ، القاهرة ،
٠ (١٩٦١ / ١٣٨٠)
- * احكام اهل الذمة : تحقيق صبحي الصالح ، طبعة دمشق ١٩٦١ .
- ابن كثير (٧٧٤ / ١٣٧٢) عماد الدين ابو الفداء اسماعيل بن عمر الدمشقي :
الهداية والنهاية في التاريخ - ١٤ جزء ، مطبعة السعادة -
القاهرة ١٩٣٢ / ١٣٥١ .
- ابن الكازروني (ت ٦٩٥ / ١٢٩٦) : ابو الحسن ظهر الدين علي بن محمد :
مختصر التاريخ من اول الزمان الى منتهى بني العباس . تحقيق
الدكتور مصطفى جواد . مطبعة الحكومة - بغداد ١٣٩٠ / ١٩٧٠ .
- ابن المعتز (ت ٢٩٦ / ٩٠٨) : عبدالله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم العباسي :
ديوان ابن المعتز . طبعة بيروت ، دار صادر ، ثم طبعة
دمشق سنة ١٩٥٠ .
- ابن منظور (ت ٧١١ / ١٣١١) : جمال الدين محمد بن مكرم :
لسان العرب ١٥ مجلدا ، دار صادر ودار بيروت ، (بيروت
٠ (١٣٧٤)
- ابن مسكويه (ت ٤٢١ / ١٠٣٠) او علي احمد بن محمد بن مسكويه الخروفي :
تجارب الامم (جزان) مطبعة شركة التمدن ، مصر - القاهرة
٠ ١٩١٤ / ١٣٣٢
- ابن النديم (ت ٣٧٨ / ٩٨٨) : ابو الفرج محمد بن اسحق بن ابي يعقوب السورقي
البغدادي :
- الفهرست . دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت (١٣٩٨ هـ /
٠ (١٩٧٨ م)

- ابن هشام (ت ٢١٣/٨٤٢) ابو محمد عبد الملك بن ايوب الحميري :
السيرة النبوية ٤ اجزاء تحقيق مصطفى السقا وآخرون ، القاهرة
 . ١٩٥٥
- ابن الوردي (ت ٧٤٩/١٣٤٨) : ابو حفص زين الدين عمر بن جعفر بن محمد بن
 ابي الفوارس الشهير بابن الوردي الشافعي :
 * تتمة المختصر في تاريخ البشر . الجزء الاول ، تحقيق احمد
 رفعت البدر اوى ، الطبعة الاولى ، دار المعرفة ، بيروت
 . ١٩٧٠/١٣٨٩
- * تاريخ ابن الوردي ج ٢ الطبعة الثانية ، المطبعة الحيدرية -
 النجف ١٩٦٩/١٣٨٩
- ابو الفداء* (ت ٧٣٢/١٣٣١) : الملك المؤيد عماد الدين ابو الفداء اسماعيل
 ابن علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن ايوب الشافعي :
 * المختصر في اخبار البشر ، مجلدان ، دار المعرفة للطباعة والنشر
 بيروت .
- * تقويم البلدان . طبعة باريس (١٨٦٠) .
- ابو يوسف (ت ١٨٢/٧٩٨) يعقوب بن ابراهيم :
كتاب الخراج . المطبعة السلفية ، القاهرة (١٣٨٢) ، ثم
طبعة القاهرة (١٣٥٢) .
- ابو يعلى (ت ٤٥٨/١٠٦٥) محمد بن الحسين الفداء الحنبلي :
الاحكام السلطانية : تحقيق محمد حامد الفقي ، مطبعة
مصطفى الباهي الحلبي واولاده ، القاهرة (١٣٥٦/١٩٣٨) ثم
طبعة القاهرة (١٣٧١/١٩٥٢) .
- ابو عبيد (ت ٢٢٤/٨٣٨) القاسم بن سلام :
الاموال ، تحقيق محمد خليل هراس ، مكتبة الكليات الازهرية ،
القاهرة (١٩٦٨) .
- الاشيهي (ت ٨٥٠/٤٤٦) محمد بن احمد ابو الفتح :
المستطرف في كل فن مستظرف . جز ١ ، المطبعة اليمنية ، القاهرة ،
١٣١٤ .

- الازدي (ت ١٤٤٥/٣٤٢) ابو زكريا يزيد بن محمد بن اياس بن القاسم :
تاريخ الموصل ، تحقيق علي حبيب ، دار التحرير للطباعة
والنشر ، القاهرة (١٣٨٧/١٩٦٧) .
- الاصطخرى (ت ١٤١٣/٩٥٩) ابو اسحق (اسحاق) ابراهيم بن محمد الفارسي :
المسالك والممالك : تحقيق محمد جابر عبدالعالي الحسيني ،
القاهرة (١٣٨١/١٩٦١) ثم طبعة بريل ، لندن (١٩٦٧) .
- الاصفهاني (ت ٣٥٦/٩٦٧) ابو الفرج علي بن الحسين بن محمد القرشي الاموي :
* الاغاني : دار الفكر للجمع .
* مقاتل الطالبين ، شرح وتحقيق السيد احمد صقر ، دار احياء
الكتب العربية ، القاهرة (١٣٦٨/١٩٤٨) .
- الاصفهاني (٣٦٠/٩٧٠) حمزة بن حسن الاصفهاني :
تاريخ سني ملوك الارض والانبيا ، الطبعة الثالثة ، مكتبة
الحياة بيروت (١٩٦١) .
- البلوي (ت ٤٠٠) ابو محمد عبدالله بن محمد :
سيرة "احمد بن طولون" : تحقيق محمد كرد علي ، المكتبة
العربية بدمشق ، دمشق (١٣٥٨/١٩٣٩) .
- البغدادى (ت ٤٢٦/١٠٣٧) ابو منصور عبدالقاهر بن طاهر بن محمد بن
عبدالله التميمي البغدادى :
الفرق بين الفرق : دار الآفاق الجديدة ، الطبعة الثالثة ،
بيروت ١٩٧٨ .
- البلاذري (ت ٢٧٩/٨٩٢) ابو العباس احمد بن يحيى الجاهلي بن داود :
* فتوح البلدان : تحقيق عبدالله انيس الطباع ورفيقه ، دار النشر
للجامعيين ، بيروت (١٣٧٧/١٩٥٧) ثم طبعه (١٩٣٢) .
* انساب الاشراف ، الجزء الاول ، تحقيق محمد حميد الله ، مصر ١٩٥٩
الجزء الرابع والجزء الخامس باعتماد كوتين ، القدس ١٩٣٦ .

- البيهقي (ت ٩٣٢/٣٢٠) ابراهيم بن محمد :
المحاسن والمساوى* : تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، القاهرة
 د. ت، ثم دار صادر ودار بيروت، بيروت (١٩٦٠/٣٨٠) .
- البيهوتي (ت ٩٤١/٣٣٠) ابو الريحان محمد بن احمد
 * الآثار الباقية عن القرون الخالية : مكتبة العشي بغسنداد
 (١٩٢٣) طبعة لينج ١٩٢٣ باعثة* س. ادوارد سخاو ،
 ثم طبعة لينج (١٨٧٨) .
- * الجماهر في معرفة الجواهر : مطبعة جمعية دائرة المعارف
 العشمانية ، حيدرآباد (١٩٥٥) .
- التتوخي (ت ٩٤٤/٣٨٤) ابو علي المحسن بن علي القاضي :
 * جامع التواريخ المسمى نفوسار المحاضرة واحبار المذاكرة . خمس
 اجزاء* : تحقيق عبود الشالجي ، مطابع دار صادر ، بيروت ،
 (١٣٩٢/١٣٩١) (١٩٧٢/١٩٧١) .
- * الفرج بعد الشدة : ٢ ج في مجلد واحد ، المحمديسة ،
 القاهرة (١٣٧٥/١٩٥٥) ثم دار صادر ، بيروت ١٣٩٨ -
 ١٩٧٨ تحقيق عبود الشالجي .
- التوحيدى (ت ٩٩٠/٣٨٠) ابو حيان علي بن محمد بن علي بن العباس :
الامتناع والموانسة ٣ اجزاء* ، الطبعة الاولى صححه احمد امين
 واحمد الزين ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ،
 ١٩٣٩ ، ثم الطبعة الثانية ، القاهرة ١٣٧٣/١٩٥٣ .
- الثعالبي (ت ١٠٣٨/٤٣٠) ابو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي النيسابوري :
 * لطائف المعارف : تحقيق ابراهيم الالبيرى ، وحسن كامل
 الصيرفي ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة (١٣٧٩/١٩٦٠) .
- * بتهمة الدهر (٤ اجزاء*) مطبعة الصاوى ، القاهرة ١٣٥٢ /
 ١٩٣٤ .

- الجاحظ (ت ٢٥٥-٨٦٥) ابو عثمان عمرو بن بحر بن فزارة البصري :
- * التاج في اخلاق الملوك : تحقيق الاستاذ احمد زكي باشا ،
المطبعة الاميرية ، القاهرة (١٣٢٢/١٩١٤) .
- * البيان والتهيين . القاهرة ، دار الفكر للجمع (سنة ١٩٦٨) ثم
طبعة (١٣٨٠/١٣٨١) (١٩٦٠/١٩٦١) تحقيق عبد السلام .
- * المحاسن والاضداد : منشورات مكتبة العرفان ، بيروت ، لا . ت .
تم طبعه بالقاهرة (١٢٣٤) .
- * التحصير بالتجارة : نشره حسن حسني عبد الوهاب في مجلة المجمع
العلمي بدمشق (١٩٣٣) (٣٢١-٣٥١) تم طبعه بالقاهرة
طبعة ثانية ١٩٣٥ .
- الجهشيارى (ت ٣٣١/٩٤٢) ابو عبدالله محمد بن عدوس :
- الوزراء والكتاب : تحقيق مصطفى الحلبي واولاده ، القاهرة
(١٩٣٨/١٣٥٧) .
- حاجي خليفة (ت ١٠٦٧/١٦٥٧) مصطفى بن عبدالله :
- كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون ، مجلدان ، مكتبة العشي ،
بغداد (١٩٤١) ثم طبعه طهران (١٩٦٧) .
- الحموى (ت ٢٦٢/١٢٢٩) : ابو عبدالله شهاب الدين ياقوت بن عبدالله الرومي
البغدادى :
- * كتاب المشترك وضعاً والمفترق صقلاً ، طبعة جوتنيج (١٨٤٦) .
- * معجم البلدان ٥ اجزاء ، دار صادر ، بيروت (١٣٧٦/١٩٥٧)
طبعة ١٩٢٤ باعتنا* فردنار وتسفلا .
- الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣/١٠٧٠) ابو بكر احمد بن علي بن ثابت بن احمد :
- تاريخ بغداد او مدينة السلام ٤ اجزاء تصحيح محمد حامد
الفتحي ، مطبعة السعادة ، القاهرة (١٣٤٩/١٩٣١) ، ثم
طبعة دار الكتاب العربي ، بيروت (١٩٣١) .
- * التطفيل : عني بنشره القدسي ، مطبعة التوفيق ، دمشق ١٣٤٦ هـ .

- الخوارزمي (٩٩٧/٣٨٧) ابو عبدالله محمد بن احمد بن يوسف :
مفاتيح العلوم : مطبعة الشرق ، القاهرة ١٤٣٢ هـ .
- الدمشقي (عاش في القرن السادس الهجري) ابو الفضل جعفر بن علي :
الارشاد في محاسن التجارة . مطبعة بريدة المؤيد ، القاهرة
ودشق (١٣١ هـ) .
- الدميري (ت ٨٠٨ / ١٤٠٥) كمال الدين بن موسى :
حياة الحيوان الكبرى ، دار التحرير للطباعة والنشر ، القاهرة
(١٩٣٥) ثم طبعة القاهرة (١٣٧٦ / ١٩٥٦) .
- الديار بكري (ت ٦٨٢ / ١٢٨٣) حسن بن محمد بن الحسين
تاريخ الخميس في احوال انفس نفيس ، جز'ان ، المطبعة الوهبية ،
القاهرة (١٢٨٣ هـ) .
- الدينوري (ت ٢٨٢ / ٨٩٥) ابو حنيفة احمد بن داود بن وتد الدينوري :
الاخبار الطوال ، تحقيق عبدالمنعم عامر ، الطبعة الاولى ،
القاهرة ١٩٦٥ ، ثم طبعة لا يدن ١٩١٢ باعتناء كرتشوفسكي ،
- الذهبي (ت ٧٤٨ / ١٢٤٧) ابو عبدالله شمس الدين محمد بن احمد :
دول الاسلام جز'ان ، الطبعة الثانية ، مطبعة دار المعارف
العثمانية حيدر اباد الدكن (١٣٦٤ / ١٣٦٥) .
- * المبرني خبر من غير ، تحقيق فؤاد سيد ، مطبعة حكومة
الكويت ١٩٦٠ / ١٩٦١ .
- السخاوي (ت ٩٠٢ / ١٤٩٦) شمس الدين محمد بن عبدالرحمن
الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ . حققه فرانس زونرنشال ،
مطبعة المعاني ، بغداد (١٣٨٢ / ١٩٦٣) .
- السمعاني (ت ٥٦٢ / ١١٦٦) ابوسعيد عبدالكريم بن محمد التميمي المروزي :
الانساب ، اعتنى بنشره المستشرق د . م - مارجلوت مكتبة المثنى ،
بغداد (١٩٧٠) ، ثم طبعة لندن (١٩١٢) .

- السيوطي (ت ١٥٠٥/٩١١) جلال الدين ابو الفضل عبد الرحمن بن ابي بكر :
تاريخ الخلفاء : تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة
السعادة ، القاهرة (١٣٨١/١٩٦١) .
- الشاشتي (ت ٩١٨/٣٨٨) ابو الحسن علي بن محمد
الديارات ، تحقيق كوركيس عواد ، مطبعة المعارف ، بغداد ،
(١٩٥١) ثم طبعة (١٣٨٦/١٩٦٦) .
- الشهرستاني (ت ١١٥٣/٥٤٨) ابو الفتح محمد بن عبد الكريم بن ابي بكر :
الملل والنحل ، تحقيق محمد سعيد الكيلاني ، دار المعرفه
للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة الثانية ، اعيد طبعه فسي
الافست (١٣٩٥/١٩٧٥) .
- الصاهي (ت ٩٩٤/٣٨٤) ابو اسحاق ابراهيم بن هلال بن زهرون :
رسائل الصاهي ، نقحه وعلق عليه الامير شكيب اربلان ، المطبعة
العثمانية ، بيروت ، (١٨٩٨) ثم طبعة (١٨٣٨) فسي
المطبعة العثمانية .
- الصاهي (ت ١٠٥٦/٤٤٨) ابو الحسن (او الحسين) الهلال بن الحسن بن
ابراهيم :
* الوزارة او تحفة الامراء في تاريخ الوزراء : تحقيق عبدالستار
احمد فراج ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة (١٩٥٨) .
* رسوم دار الخلافة ، تحقيق ميخائيل عواد ، مطبعة العسائي ،
بغداد (١٣٨٣/١٩٦٤) .
- الصفدي (ت ١٢٦٣/٧٦٤) صلاح الدين خليل بن ابيك :
الوافي بالوفيات ، دار صادر - بيروت .
- الصولي (ت ٩٤٦/٣٣٥) ابو بكر بن محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس بن
محمد الصولي :
اخبار الرازي والمتقي بالله ، او تاريخ الدولة العباسية من سنة (٣٢٢-
٣٣٣) من كتاب الاوراق ، مطبعة الصاوي ، القاهرة .

- الطبري (ت ٩٢٣/٣١٠) أبو جعفر محمد بن جرير :
تاريخ الامم والملوك (١٣) جزأ ، الطبعة الاولى المعارف ،
 القاهرة .
- العسكري (ت بعد ٤٠٠ / بعد ١٠٠٠) ابو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل
 بن مهران :
الاوائل ، القسم الاول تحقيق محمد المصرى ، ولید قصاب ،
 منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي ، (دمشق ١٩٧٥) .
- القلقشندي (ت ١٤١٨/٨٢١) ابو العباس احمد بن عبدالله :
 * نهاية الادب في معرفة انساب العرب ، تحقيق ابراهيم اليازى ،
الطبعة الاولى ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، القاهرة ،
 ١٩٥٩ .
- * صبح الاعشى في صناعة الانشاء (١٤ جزأ) القاهرة ١٩١٤ -
 ١٩٢٨ .
- قدامة (ت ٩٤٨/٢٣٢) : ابو الفرج قدامة بن جعفر بن زياد البغدادي :
نهد من كتاب الخراج وصفة الكتابه ، باعتا ذى جويه ، بريل ،
 لندن ١٨٨٩ .
- الماوردي (ت ١٠٥٨/٤٥٠) ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري :
الاحكام السلطانية والولايات الدينية ، مكتبة ومطبعة الباهي الحلبي
 واولاده بصر ، الطبعة الثالثة ، القاهرة (١٣٩٣/١٩٧٣) .
- المبرد (ت ٨٩٨/٢٨٥) ابو العباس محمد بن يزيد :
الكامل في اللغة ، الطبعة الثانية ، دار الحكمة دمشق ١٩٧٢ .
- المقدسي (ت ٩٨٥/٣٧٥) شمس الدين ابو عبدالله محمد بن احمد المقدسي
 البشـارى :
احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، باعتا ذى جويه ، طبعة
 ثانية بريل - لندن ١٩٠٦ .

- المقرئ (ت ١٠٤/٧٢٢) أبو العباس بن أحمد بن محمد بن يحيى عبدالرحمن :
نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، حققه محمد يحيى الدين
عبدالحميد (٨ اجزاء) ، مطبعة دار السعادة ، القاهرة ،
٠ (١٣٦٧)
- النويري (ت ٧٣٢/١٣٣٢) شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب
نهاية الارب في فنون الادب . دار الكتاب المصرية ، القاهرة ،
٠ (١٩٤٩/١٣٤٩)
- الهمداني (ت ٣٢٤/٩٤٥) أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب :
كتاب الاكليل (جزءان) حققه وعلق على حواشيه محمد بن علي
الاكوع ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة (١٣٨٦/١٩٦٦) .
- اليعقوبي (ت ٢٨٤/٨٩٧) أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب :
* تاريخ اليعقوبي (جزءان) باعثنا دى خويه ، بريل - ليدن .
* كتاب البلدان ، نشرة دى خويه ، بريل - ليدن ١٨٩٢ .
- مؤلف مجهول :
مناقب بغداد ، تحقيق محمد بهجه الاثرى البغدادي ، مطبعة
دار السلام ، بغداد ١٣٤٢ هـ .
- مؤلف مجهول :
العيون والحداثق ، تحقيق نبيه عبدالمنعم ، مطبعة النعماني
النجف (١٩٧٢) مطبعة النعمان .
- مؤلف مجهول :
اخبار الدولة العباسية وفيه اخبار العباس وولده ، تحقيق
الدكتور عبدالعزيز الدوري ، والدكتور عبدالجبار ، دار صادر
بيروت ، ١٩٧١ .
- السعودي (ت ٣٤٦/٩٥٧) أبو حسن علي بن الحسن بن علي
السعودي الشافعي :
* مروج الذهب ومعادن الجوهر ٩ اجزاء ، بيروت ١٣٨٥/١٩٦٦
ثم طبعة باريس (١٨٦١ - ١٨٧٦) .

* التنبه والاشراف ، تحقيق عبدالله اسماعيل الصاوي ، مكتبة
المثنى ، بغداد (١٩٣٨/١٣٥٧) ثم طبعة برهـلـ
 لندن ١٨٩٣ .

* اخبار الزمان ، الطبعة الثانية ، دار الاندلس ، بيروت ،
 (١٩٦٧/١٣٨٦) .

- المقدسي (ت ١٩٣٤/٣٢٢) مظهرين طاهر :
كتاب الهدى والتاريخ ، جزان الخامس والسادس ، شالون ،
(١٩١٩/١٨٩٩) اعادت طبعه في بالافست ، مكتبة المثنى ،
 بغداد ، (هـلا) .

المراجع :

- الالوسي ، محمود شكرى :
بلوغ الارب في معرفة احوال العرب، ٣ اجزاء ، بغداد ١٩٣٦ .
- امين ، احمد :
* فجر الاسلام ، القاهرة ، ١٩٤١ .
* ظهر الاسلام ، جزان ، دار الكتاب العربي ، الطبعة الخامسة ،
بيروت (١٩٦٩/١٣٨٨) .
- البازي ، حامد :
البصرة في الفترة المظلمة ، دار منشورات البصرة .
- بيضون ، ابراهيم :
محاضرات في التاريخ السياسي للدولة العباسية ، بيروت ١٩٧٩ .
- حسن ، حسن ابراهيم :
* تاريخ الاسلام السياسي ٤ ج ، ط ٧ ، القاهرة ، ١٩٦٥ .
* النظم الاسلامية ، ط ٣ ، القاهرة ، ١٩٦٢ .
- حسن علي ابراهيم :
* نساء لهن في التاريخ الاسلامي نصيب ، القاهرة ١٩٧٠ .
* التاريخ الاسلامي العام ، القاهرة ١٩٧٢ .
- حماد ، محمد جاسم :
* الجزيرة الفراتية والموصل ١٢٧ - ٢١٨ / ٧٤٤ - ٨٣٣ دار
الرسالة ، بغداد ١٣٩٧ / ١٩٧٧ .
- دحلان ، احمد بن
الفتوحات الاسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية ، جزان ، مؤسسة
الحلبي وشركاؤه ، القاهرة ١٣٨٧ / ١٩٦٨ .
- الفنجيلي ، خوله شاكر :
بيت المال ، نشأته وتطوره من القرن الاول حتى الرابع الهجري ،
مطبعة وزارة الاوقاف ، بغداد ١٩٧٦ .

- الدوري ، عبد العزيز :
- * العصر العباسي الاول ، مطبعة المثنى ، بغداد .
- * النظم الاسلامية ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٥٠ .
- * الجذور التاريخية للشعبوية ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، ٢٧ ، بيروت ١٩٨٠ +
- * تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري ، ط ٢ ، بيروت ، ١٩٧٤ .
- الرافعي ، مصطفى :
- خسارة العرب في العصور الاسلامية الزاهرة ، دار الكتاب اللبناني ١٩٧٨ ، بيروت .
- رستم ، اسد :
- الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالحرب ، جز ١ ، طبعة اولى ، بيروت ١٩٥٦ .
- الرئيس ، محمد ضياء الدين :
- الخراج والنظم المالية للدولة الاسلامية ، ط ٤ ، دار الانصار ، القاهرة ، ١٩٧٧ .
- الزركلي ، خير الدين :
- الاعلام ، ج ١ ط ٣ (د . ت) .
- زكي ، احمد كمال :
- ابن المعتز العباسي ، المؤسسة المصرية العامة ، القاهرة ١٩٦٤ .
- زيدان ، جرجي :
- تاريخ التمدن الاسلامي ، ٥ اجزاء ، القاهرة ، ١٩٥٨ .
- السامرائي ، حسام قوام :
- المؤسسات الادارية في الدولة العباسية خلال الفترة ٢٤٧-٣٣٤ / ٨٦١ - ٩٤٥ ، مكتبة دار الفتح ١٣٩١ / ١٩٧١ .

- السامرائي ، يونس احمد :
 ساءرا في ادب القرن الثالث الهجري ، مطبعة الارشاد ،
 بغداد ١٩٦٨ .
- السامرائي ، فيصل :
 * الدولة الحمدانية الموصل وحلب ، ج ١ ، ط ١ ، مطبعة الابحاث ،
 بغداد ١٩٧٠ .
- * ثورة الزنج ، مكتبة النار ، بغداد ، ط ٢ ، ١٩٧١ .
- سليمان ، احمد السعيد :
 * تاريخ الدول الاسلامية ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٦٩ .
 * تاريخ التربية الاسلامية ، القاهرة ١٩٦٠ .
 * التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية ، ج ٢ ، ط ٣ ، مكتبة
 النهضة ، القاهرة ١٩٦٥ .
- الشكعة ، مصطفى :
 * سيف الدولة الحمداني ، ط ٢ ، مكتبة المتنبي ، القاهرة ١٣٩٧ /
 ١٩٧٧ .
- * الشعر والشعراء في العصر العباسي ، ط ٢ ، دار العلم
 للملايين ، بيروت ١٩٧٥ .
- * معالم الحضارة الاسلامية ، ط ١ ، دار العلم للملايين ، بيروت ،
 ١٩٧٣ .
- شلبي ، احمد :
 * تاريخ التربية الاسلامية ، القاهرة ، ١٩٦٠ .
 * التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية ، ج ٢ ، ط ٣ ، مكتبة
 النهضة ، القاهرة ١٩٦٥ .
- شلبي ابو زيد :
 * تاريخ الحضارة الاسلامية والفكر الاسلامي ، ط ١ ، القاهرة ١٩٦٤ .

- طلفاح ، خير الله :
كنتم خيرامة اخرجت للناس ، ط ١ ، دار الكتاب العربي ١٣٩٥ .
- الطياوي عبداللطيف :
محاضرات في تاريخ العرب والاسلام ، ج ١ ، دار الاندلس ، بيروت ١٩٦٣/١٣٨٢ .
- العبادي ، احمد مختار :
في التاريخ العباسي والاندلسي ، دار النهضة العربية ، بيروت .
- علي ، ابراهيم فؤاد :
الموارد الاسلامية في الاسلام ، القاهرة ١٩٦٨ .
- العلي ، صالح احمد :
التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الاول الهجري ، ط ٢ ، دار الطليعة ، بيروت ١٩٦٩ .
- علي ، احمد :
ثورة الزنج وقائدها علي بن محمد . منشورات دار مكتبة بيروت .
- عمر ، فاروق :
طبعة الدعوة العباسية ، بيروت ١٩٧٠ .
محاضرات في تاريخ الخلافة العباسية ، مطبعة دار السلام ،
بغداد ١٩٧٣ .
- معروف ناجي :
العملة والنقود البغدادية ، بغداد ١٩٦٧/١٣٨٧ .
بلاد الروم والجزيرة وشهر زور وانديجان ، بغداد ١٩٧٩ .
- النقشبندي ، اسامه ناصر وزميلته :
الاختام الاسلامية في المتحف العراقي بغداد ١٩٧٤ .

١ المراجع المعرّنة :

- متز : الحضارة الاسلامية في القرن الرابع والثالث الهجريين ، ابوريدة ، القاهرة .
- بروكلمان ، كارل : تاريخ الشعوب الاسلاميه ، نقله الى العربية امين فارس ومنير
العلبيكي ، ط ٥ ، دار العلم للملايين ١٩٦٨ ، بيروت .
تاريخ الادب العربي ، نقله الى العربية عبد الحليم النجار ، ط ٢ ،
دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٦٨ .
- حتي ، فيليب : صانعو التاريخ العربي ، ترجمة انيس فريحه وراجعه محمود
زايد ، ط ١ ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٩ .
تاريخ العرب المطول ، ط ٢ ، دار الكتاب للطباعة والنشر ،
بيروت ١٩٥٣ .
- زاماور : معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي . اخرجه زكسي
محمد حسن بك وحسن احمد محمود ، مطبعة جامعة فؤاد ،
القاهرة ١٣٢٠ - ١٩٥١ .
- فان ، فلوتن : السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات ، ترجمة حسن ابراهيم ،
ومحمد زكي ابراهيم ، مكتبة النهضة المصرية .
- فلهاوزن : تاريخ الدولة العربية وسقوطها ، ترجمة محمد عبد الهادي ابوريسده
وحسين مؤنس ، القاهرة ١٩٦٨ .
الخوارج والشيعة ، ترجمة عن الالمانية ، عبد الرحمن بدرى ، ط ٣
الكويت ١٩٢٨ .